المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة آداب الشعوب الإسلامية
- ٣ -

الأدب الأفغاني الإسلامي

تأليف
الدكتور محمد أمان صافي

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة آداب الشعوب الإسلامية
- ٣ -

الأدب الأفغاني الإسلامي

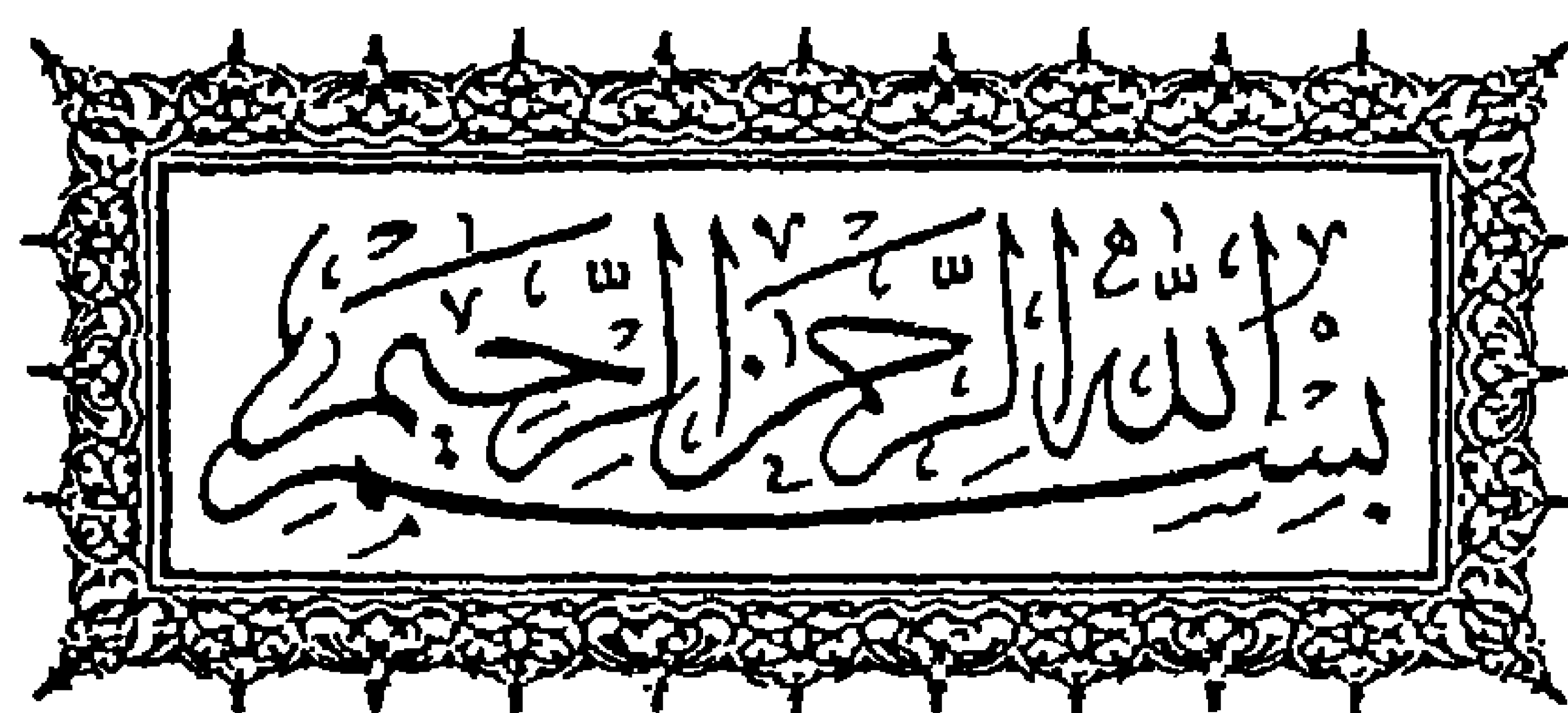
تأليـف
الدكتور محمد أمان صافي

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة

ⓗ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.
صافي ، محمد أمان
الأدب الأفغاني الإسلامي.
٤٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٥ - ٠٨٩ - ٠٤ - ٩٩٦٠
١ - الأدب الأفغاني ٢ - الأدب الإسلامي
أ - العنوان.
ديوي ٨٩٠,٠٥٩ ١٥/١٢٩٢

رقم الإيداع : ١٥/١٢٩٢
ردمك : ٥ - ٠٨٩ - ٠٤ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فلا يخفى على أحد، قديماً وحديثاً، أن البلاد الإسلامية في شرق المعمورة وغربها، وفي شمالها وجنوبها، تؤلف وحدة حضارية وثقافية مستقلة وأصيلة، وأدب شعوب البلدان الإسلامية هو الشاهد على هذه الحقيقة في كل عصر، ذلك لأن منبعه واحد، وهو الإسلام، ففي ظل الإسلام حققت الشعوب الإسلامية حضارة خالدة، وأوجدت أدباً رفيعاً، اتجاهه واحد، وصبغته واحدة، ونعني بذلك الأدب الإسلامي الملتزم، الذي يستنير بضوء الكتاب والسنة، ويسير في طريقهما القويم .

وإذا كنا قد تعرفنا بحكم وجودنا العربي على الأدب الإسلامي المكتوب باللغة العربية، فإننا نشعر بالحاجة إلى تعريف أهل العربية بما كتبه أدباء الشعوب الإسلامية بلغاتهم المختلفة، وهذا ما عنيت به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ فترة ، فتبنت ـ من خلال عمادة البحث العلمي ـ مشروعاً يهدف إلى التعريف بآداب الشعوب الإسلامية المختلفة للكشف عن الروابط الفكرية التي تربط شعوب العالم الإسلامي، والدعوة إلى العودة إلى المنابع الأصيلة في ثقافة الأمة الإسلامية العريقة .

وقد أصدرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن سلسلة آداب الشعوب الإسلامية إصدارين : الإصدار الأول بعنوان «الأدب التركي الإسلامي» عام ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م . والإصدار الثاني بعنوان «الأدب الأردي الإسلامي» عام ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م .

وتقدم الجامعة إصدارها الثالث للمهتمين بآداب الشعوب الإسلامية وهو بعنوان: «الأدب الأفغاني الإسلامي» من تأليف الدكتور محمد أمان صافي المتخصص في مجال الأدب الإسلامي الأفغاني .

وقد عرض المؤلف في كتابه لنشأة اللغة الأفغانية (البشتونية) وأثر الإسلام عليها، كما تناول المؤلف أيضاً أدب الجهاد الأفغاني شعره ونثره وقدم نماذج رائعة منه، وأثبت أصول معظم نصوصه المترجمة مما يفيد الدارسين المتخصصين في الدراسات الشرقية .

وأشكر للمؤلف إسهامه وجهده، ولعمادة البحث العلمي في الجامعة مناشطها المستمرة في سبيل إصدار سلسلة آداب الشعوب الإسلامية واستكمالها، وأسأل الله أن يوفق الجميع لصالح العمل، وأن ينفع به، وأن يجزي المؤلف عن عمله هذا خير الجزاء. كما أسأل الله أن يوفق حكومتنا الرشيدة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين التي تجند كل إمكاناتها لخدمة الإسلام ودعم كل ما فيه مصلحة المسلمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

أ. د. عبدالله بن يوسف الشبل

تصدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

لقد عمدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى دراسة الأدب الإسلامي، وسلكت في ذلك اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : تقديم دراسة نقدية للتعرف على سمات الأدب الإسلامي، ووضع تصور متكامل له، سواء بطباعة الكتب أو عقد ندوات خاصة .

الاتجاه الثاني : القيام بجمع الأدب الإسلامي العربي عبر مراحل تاريخه، وطباعته في سلسلة متكاملة .

الاتجاه الثالث : رصد آداب الشعوب الإسلامية ودراستها .

وقد قامت عمادة البحث العلمي بالجامعة بإعداد كتاب عن « الأدب التركي الإسلامي » وآخر عن « الأدب الأردي الإسلامي » بالإضافة إلى الكتاب الحالي وهو عن « الأدب الأفغاني الإسلامي » (البشتوني) كما تسعى العمادة لطباعة كتب أخرى في هذه السلسلة تعنى بدراسة الأدب الأندونيسي، والأدب الماليزي، والأدب السواحيلي، وغيرها من آداب الشعوب الإسلامية .

ويعد هذا الكتاب « الأدب الأفغاني الإسلامي » (البشتوني) أحد روافد الأدب الإسلامي، وينبوعاً ثراً من ينابيعه . فقد عني بنشأة الأدب الأفغاني الإسلامي. وتتبع مراحله عبر موكب الحضارة الإسلامية ، ثم تكلل عقده بإكليل أدب الجهاد الإسلامي . لقد أعاد الجهاد الأفغاني للإسلام أمجاده، وللأدب روعته ورونقه، فجاء هذا الكتاب سجلاً حافلاً بروائع الأدب .

وعمادة البحث العلمي تقدر للمؤلف الدكتور محمد أمان صافي جهده المتواصل، وإنتاجه القيم ، واثقة أن هذا الكتاب سيثري المكتبة عامة، والأدب الإسلامي خاصة .

والله نسأل التوفيق والسداد .

عمادة البحث العلمي

مقدمـــة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد :

فقد كان جميلاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أن تعنى بالآداب الإسلامية. فتطرح للترجمة والدراسة موضوع الأدب الإسلامي للشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية، وهو موضوع حيوي وثيق الصلة بالوحدة الفكرية والأدبية في العالم الإسلامي، ذلك لأن الشعوب الإسلامية لابد لها أن ترتكز في وحدتها على تراثها الفكري والأدبي تستمد منه عزيمتها نحو وحدتها الفكرية، وتلتف حوله في وحـدة متـماسكة، وتنطلق من مركزه انطلاقة جديدة، وتقوم ببلورة مستقبلها على قواعده الفكرية والأدبية، وعلى جذوره الإسلامية، وهي عوامل مؤثرة عميقة تشكل في الحقيقـة عناصر وحدة وقوة واتحاد، وعناصر الوحدة والقوة والاتحاد من دعائم النصر على التشتت والتفرق والضعف المشين ، وهي بالتالي حافز قوي يدفع الأمة الإسلامية إلى أن تطلب بعث تراثها الأدبي وتلاحمه في إطار وحدتها الفكرية بعد أن لحقتها هزائم التباعد والتنافر، وبعد أن تكالبت عليها غزوات الفكر بعد غزوات السلاح، وغزوات التفريق بعد غزوات التدمير. . بيد أن الشعوب الإسلامية رغم تفرقها لم تتمكن النكبات والغزوات أن تنال من فكرها وأدبها الإسلامي، ذلك لأنها تستمد من تاريخها الإسلامي. ومن أصالتها الفكرية والأدبية قوة للنضال والكفاح والجلد والصمود، ونحن نعلم جيداً تلك المحاولات الكبيرة التي بذلت للنيل من الفكـر الإسلامي، ولإبعاد الشعوب الإسلامية عن دورها الحضاري الإسلامي، ولقطع الصلة بينها وبين تراثها الإسلامي العظيم .

ولقد كنت دائماً من المشتاقين إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع الأدبي لأنه موضوع يروق لي بحثه ودراسته، إذ إنني من المؤمنين بأهميته وبصلته في تكوين اللقاء الأدبي المنشود بين الشعوب الإسلامية وآدابها في كل مكان، ذلك لأن التراث الإسلامي

ينهل من معين واحد وإن اختلفت اللغات والقوالب والتعابير، ومن هذا الإيمان قدمت هذا الكتاب، ولا أزعم أن الكتاب كامل وشامل يوفي بكل ما جاء في أدب الأفغان الذي جله ـ إن لم يكن كله ـ أدب إسلامي إذا أخذنا في الاعتبار أن الأدب الإسلامي هو التعبير الموحي عن قيم الإسلام الحيَّة التي ينفعل بها المسلم، وتنبثق عن تصور الإسلام للحياة والارتباط فيها بين الإنسان وربه، وبين الإنسان والكون، وبين أفراد البشر بعضهم بعضا. على ضوء هذا التعريف نجد أنفسنا أمام نتاج أدبي إسلامي ضخم يمتد في الزمان والمكان من ظهور الإسلام في منازل الأفغان حتى يومنا هذا، ولكني قمت بتقديم هذا الكتاب بهذه الصورة بحافز طرح الموضوع للانطلاق ـ مستقبلاً ـ على صعيد أوسع وأشمل، وإثارته على مدى أعمق وأرحب، وتقديمه من خلال الإطار الذي حددته عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لعل الأمة الإسلامية تجني من بعض ثمار هذا المشروع.. مشروع آداب الشعوب الإسلامية، رغبة في الالتفاف حول تراثها الأدبي الإسلامي، وتقديراً لقيمته الأدبية ونفاسته الفنية، وبالتالي تعمل على العناية به أسوة ببقية الآداب العالمية، وذلك لتتلاقى الآداب الإسلامية بأفكارها في قوالب اللغة العربية.. لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، ولتكمل الآداب بعضها البعض، بغية الوصول إلى دراسات أدبية أكثر شمولاً، وأقوم طريقاً، وأدق تعبيراً، وذلك لفتح المجال في ميادين الأدب الإسلامي المقارن الذي يتم إنشاؤه وإنشاده في مختلف اللغات لمختلف الشعوب الإسلامية.

إن الأدب الأفغاني من أعظم الآداب فائدة، وأجملها متعة، وأصدقها رواية، فلئن اتفقت مذاهب الآداب والفنون على أن الأدب ـ أي أدب ـ يقدم «شيئاً» للإنسان، قد يكون فائدة إنسانية، وقد تكون متعة فنية، أو عذوبة جمالية، أو تسلية نفسية، أو منفعة تعليمية على اختلاف المذاهب، فإن نصوص الأدب الأفغاني تقدم كل شيء إسلامي للإنسان عامة، وللمسلم خاصة، تقدم البناء الفكري والسلوكي والذوقي، وتقدم المتعة الجمالية، والقيم الإنسانية والمنفعة التعليمية، والعذوبة الفنية، والتسلية النفسية في بيانه الإسلامي الساحر الجميل، إنه أدب جدير بالاهتمام وجدير بالترجمة.

فقد قرأنا عن الآداب الأجنبية في العالم، وكتب عنها الدارسون والمترجمون مجلدات تملأ المكتبات، وقدمت فيها رسائل ماجستير ودكتوراه وبحوث ودراسات، ولكننا لم نقرأ أبداً عن الأدب في أفغانستان، ولم نكتب كتاباً واحداً عنه، ولم نحاول أبداً ترجمة شيء منه إلى اللغة العربية . أليس في بيئتنا الإسلامية في أفغانستان واحات أدبية وروضات فنية جمالية قد تعطر تاريخنا الأدبي الإسلامي في ثوبه العربي بزهور جميلة نادرة؟ ومن يدري؟ قد تكون فصولاً إسلامية جديدة ذات خصائص فنية رائعة تميزها عما في البلاد العربية . . فهل من العدل الأدبي أن نسكت عن بيئة أدبية ولغوية وفنية كاملة حافظت على وجدانها الإسلامي قروناً طويلة، وما زالت امتداداتها الإسلامية قائمة حتى اليوم؟ وهل من خدمة اللغة العربية وآدابها وفنونها إغفال تلك المناجم الإسلامية الغنية والمعادن الثمينة ؟

إنها دعوة كريمة مفتوحة للمؤسسات الأدبية في البلاد العربية والإسلامية أن تستفيد من هذه الدعوة الأدبية التي أطلقتها عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فنقوم بتقديم دراسات جادة عن البيئات الأدبية واللغوية في البلاد الإسلامية المنسية، نبحث عن سر بقائها قروناً طويلة رغم عوامل التذويب والضياع، ونتتبعها حيثما كانت ونعكف على دراستها وترجمتها وتقويمها، لنعلم بعد ذلك عوامل خلود الأدب الإسلامي في جذور الحياة في البلدان الإسلامية . . وليتأكد لنا بوضوح أن الأدب الإسلامي عالمي خالد يستمد خلوده وعالميته من خلود الإسلام وعالميته الخالدة .

لا شك أن الأدب العربي هو الجناح الأول للأدب الإسلامي، ولا شك أيضاً أن هناك جناحاً آخر لهذا الأدب العظيم يتمثل في آداب الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية، لا يجوز أن تبقى بعيدة عن الجناح الأول، وبالجناحين يستقيم التحليق في الآفاق الأدبية الإسلامية . . وبالترجمة يمكن فتح باب جديد واسع في الأدب الإسلامي ما زالت دروبه بكراً، وما زالت دراساته وساحاته ميادين واسعة للباحثين والدارسين والمترجمين .

وإذا كان لا بد لي أن أقول شيئاً لتوضيح معالم الأدب الإسلامي في بلاد الأفغان، والذي حاولت أن ألقي الضوء عليه، وأن أنقله إلى العربية في هذا الكتاب، أقول بإيجاز :

١ ـ إنه أدب إسلامي عريق نشأ في ظلال الإسلام، وتحت رعايته ورعاية اللغة العربية، وكانت العناية به إسلامية أفغانية، وكانت نهضته وتطوره مبنيتين على الأسس والمبادىء الإسلامية، إنه نشأ نشأة إسلامية في منبت إسلامي طيب، وفي شعب شديد التمسك بالإسلام يأمر الشعراء والأدباء والكتاب بالتقيد الشديد بالتزام قواعد الإسلام، وتطبيقها في القول والفعل، كما يأمرهم ويحضهم على الالتزام بالخلق القويم .

٢ ـ إنه أدب ينطلق من التصور الإسلامي للخالق العظيم، وللإنسان والكون المحيط بالإنسان، وللحياة التي يعيشها، ويدعو الإنسان إلى عبادة الخالق العظيم في هذه الحياة، ليس هذا فحسب بل يقوم برسم معالم الطريق الرئيسة ليسلكها في رحلة حياته الطويلة، فلا غرابة أن نرى الروح الإسلامية تسري في عروقه المعنوية والصورية، إنه أدب يهتف في شعره ونثره بعظمة الإسلام ، ويدعو بقوة إلى التمسك بأهداب الدين الإسلامي حيث إنه طريق النجاة من الضياع .

٣ ـ واقع الأدب الأفغاني واقع إسلامي، منه يستقي قيمه وسلوكياته، وعليه يعتمد في واقعه الأدبي، حيث أنه لا يعرف العيش في أبراج عاجية بعيداً عن الحياة والناس، والحياة في منازل الأفغان حياة إسلامية، والناس فيها مسلمون شديدو التمسك بالإسلام، ولا بد للأدب أن ينفعل بالحياة وبالأحياء تأثراً وتأثيراً، وقيود الواقع، الحي تشده شداً إلى أن يقوم بتصويره وتجسيده، فيصبح على واقع الحياة والأحياء حلوه ومره. . إنه أدب إسلامي حاول على مدى تاريخه العريق أن يقدم وصفاً مطابقاً للواقع، وأن يعكف على دراسة مشكلات الحياة الإسلامية، ومناقشة حلولها الإسلامية، وجعل من واقع الحياة مصدراً استقى منه أعماله الأدبية بحيث يمكننا أن نرى فيها صورة صافية صادقة وواقعية للحياة الإسلامية . . إن الأدب

الأفغـاني في واقع أمره رحلة على درب الإسلام في أفكاره وتصوراته، وفي معانيه ومبانيه، وفي سلوكه وطرقه .

٤ ـ الأدب الأفغاني مظهر من مظاهر الانتماء الإسلامي في أجلى صوره، ومظهر التغني بأمجاده ومآثره التاريخية الممتدة في جذور انتمائه إلى أعماق التاريخ، وفي اعتزازه بالإسلام وبقيمه ومثله العليا. وقد تمت محاولات عديدة للقضاء على مظهر الانتماء الإسلامي للأدب الأفغاني دون أن يتمكن أحد من النيل من ذلك، وقد ظل مظهر انتمائه الإسلامي أقوى من كل محاولة . ولم تتمكن مظاهر التغريب من التغلب عليه، بل قاوم رياح التغريب، ودافع عن المظاهر الإسلامية .

٥ ـ الأدب الأفغاني الإسلامي أسهم في إقامة المجتمع الإسلامي وفي تكوين الفـرد المسلم، وفي غرس الـولاء الإسـلامي، وفي تنميـة المسؤوليـة الإسلامية، والحـرص الشديد على الذوق الجمالي الإسلامي، ومجابهة الأفكار الهدامة، وتأكيد العبـوديـة لله ، والمشـاركـة في مظاهـر بهجة المسلمين وسرورهم بالانتصارات في الفتـوحـات الإسـلاميـة، وفي تصـويـر تلك الفتـوحات والانتصارات في القديم والحديث، وقد وفق الأدب الأفغاني في تصوير هذه الغايات والأهداف النبيلة في الإطـار الـذي حدده الـدين الإسلامي، وهي غايات وأغراض جميلة تدور حولها الدراسات الأدبية في عصرنا الحاضر. ورغم حملات المذاهب المادية ظل الأدب في أفغانستان يؤدي دوره الإسلامي .

٦ ـ وليس معنى ذلـك أن الأدب الأفغـاني لم يشـذ عن الـطريق الإسلامي، وخصوصاً في عصره الحاضر، ولكنه في جملته إسلامي الأساس والمنطلق، إسلامي الواقع والمظهر والانتماء، إسلامي الإسهام في إقامة المجتمع وتربية الفرد . «ويكفيه فخراً أنه ليس في أدب الناطقين بالأفغانية مكان للكافر والكفر» .

الخطة المرسومة لهذه الدراسة :

القسم الأول في الأدب الأفغاني الإسلامي :

١ ـ عرض مدخل تاريخي موجز بالقدر الضروري المضغوط الذي يخدم موضوع

الأدب الأفغاني الإسلامي، وهو موضوع هذه الدراسة الأدبية، وذلك بصفة تمهيد للكتاب .

٢ ـ التركيز على تأثير الإسلام في نشأة اللغة الأفغانية (البشتونية = البختونية) وكتابتها بالحروف العربية بعد أن عادت إليها الحياة ودبت فيها الحركة، وهجرت نهائياً الهجائية القديمة التي كانت تستخدم في كتابتها، وذلك أيضاً بصفة مقدمة للبحث .

٣ ـ تركيـز الحديث عن الشعراء والأدباء الأفغان الإسلاميين في كل فترة من تاريخ الأدب الأفغاني، وبيان ما أجادوه في الأدب الإسلامي من الأفكار والتصورات والأخيلة، وما صوروه في شعرهم من المعاني والمفاهيم الإسلامية . مع الاعتماد على الشـواهد الأدبية، ونقلها من الأفغانية إلى العربية، وهذا في الحقيقة رحلة الأدب الأفغاني عبر القرون .

القسم الثاني في أدب الجهاد الأفغاني:

١ ـ مقدمة تاريخية موجزة للجهاد الإسلامي في أفغانستان

٢ ـ اختيار وتقديم نماذج شعرية ونثرية من أدب الجهاد، ونقلها من الأفغانية إلى العربية .

ولقد قمت بإثبات الأصول الأفغانية الأصلية الشعرية والنثرية المختارة التي تمت ترجمتها في متن الكتاب كنماذج، بنقلها وكتابتها في آخر كل فصل ليسهل مراجعتها وتطبيقها عند الضرورة.

وتمت كتـابـة الأرقـام الخـاصة بالنصوص الأفغانية المترجمة والأصلية في أواسط السطور قبل كل نص أفغاني (المترجم والأصل) مع إظهارها بخط بارز بين القوسين .

وهكذا حاولت تتبع مراحل الأدب الأفغاني الإسلامي مستنيراً بالمعالم الأساسية للطريق، وقد آثرت الإيجاز والبعد عن التفاصيل حتى يتسع الكتاب لمسيرة الأدب الأفغاني الطويلة .

وإنني إذ أقدم هذا الكتاب إلى القراء في البلاد الإسلامية وغيرها لأؤكد أنني أرحب ـ بصدر رحب واسع ـ بأي نقد موضوعي هادف، وبأي اقتراح لصالح العمل الأدبي في إطاره الإسلامي .

ولا أحسبني، وأنا أختتم هذه المقدمة، في حاجة إلى أن أُذَكِّر القراء أن هذا الكتاب إنما يصدر من جامعة إسلامية بنيت على الإسلام، وتعمل للإسلام، وفي بلد مسلم هو مطلع الإسلام، ومهد التراث الإسلامي على مر العصور، يتحمل في سبيل إحياء التراث الإسلامي والمحافظة عليه عبئاً كبيراً، ومسؤولية أكبر، وقد كان من أكثر البلاد الإسلامية تمسكاً بتراثه الإسلامي، والمحافظة عليه، ولا يزال ينعم ـ ولله الحمد ـ بعهد زاهر يجمع بين المحافظة على خير القديم، والأخذ بخير الجديد، والجمع بين كل ما هو إسلامي من العرب والعجم، وهو عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أمد الله في عمره، وحقق على يديه مزيداً من الخير، ومزيداً من التوفيق والسداد في نقل غرر الكلام وبدائعه الحسان إلى هذه اللغة الكريمة الأمينة لغة القرآن الكريم والحديث الشريف .

وفي ختام المقدمة أرى أن الواجب يحتم عليَّ أن أزجي الشكر الجزيل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعامة وإلى عمادة البحث العلمي بالجامعة بصفة خاصة التي قامت برعاية الدعوة إلى إحياء، أو نقل الآداب الإسلامية وترجمتها إلى اللغة العربية، وهي خطوة رائعة تستحق كل تقدير وتمجيد، وكل إجلال وإكبار، حيث سيقوم عليها صرح البناء الشامخ للأدب الإسلامي إن شاء الله .

ونسأل الله أن يرزقنا الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والتوفيق في الترجمة، وأن يوفقنا إلى ما يرضيه، وينفع المسلمين في آدابهم الإسلامية وأن يوفق أدباء الشعوب الإسلامية إلى تسخير قواهم لترجمة الآداب الإسلامية إلى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، إنه سميع مجيب الدعاء . والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد .

الدكتور محمد أمان خان صافي الأفغاني

مدخـــل
أسماء أفغانستان وأقاليمها

أولاً : في العصور الآرية :

إن آريانا من أقدم أسماء أفغانستان القديمة، وكانت تنقسم إلى ١٦ إقليماً ذكرت في الأدب الويدي بالتفصيل، كما ذكرت في الأدب الأوستي والأدب السنسكريتي، وكانت مدينة بلخ (بخدي) عاصمة أفغانستان الآرية. هذه المناطق والأقاليم كانت مسرحاً للنشاطات الأدبية والاجتماعية والسياسية والعسكرية للأفغانيين الأقدمين في العصور الآرية. وإذا كانت الويديات قد ذكرت هذه الأقاليم بأنهارها ووديانها فإن بطليموس ذكرها أيضاً، وجعلها سبع ولايات بدلاً من ١٦ إقليماً، وهي :

١ - مارجيانا : وهي عبارة عن وادي مرغاب في غرب أفغانستان .

٢ - بكتريانا : وهي تشتمل على مناطق بلخ وبدخشان في شمال أفغانستان .

٣ - آريا : وتشمل وادي هري رود وهرات وغيرهما في غرب أفغانستان .

٤ - باروباميزوس : وتشمل هزاره، وكابل حتى أباسين ونورستان في أفغانستان المركزية والشرقية.

٥ - درانجيانا : وهي عبارة عن سيستان وكندهار في الجنوب الغربي من أفغانستان .

٦ - أراكوزيا : وتشتمل على غزنة وجبال سليمان حتى الأندلس في شرق أفغانستان[1]

(١) سيد بهادر شاه ظفر كاكا خيل : بختانه د. تاريخ به رنا كى ١٣٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٢ ، ومحمد نواز طائر : روهي أدب ٣٨ ، والسر أولف كيرو: بتهان ٩٦ ، ٩٧ . ١١٠ ، ١١٥، ١٤٧، ٢٤٠، الترجمة الأردية، بشتو أكيديمي، جامعة بشاور، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٧ ـ جدورزيا : وهذه عبارة عن مكران وبلوجستان حتى البحر في جنوب شرق أفغانستان[١] .

هذه هي الولايات السبع التي ذكرها بطليموس، ويلاحظ أنه قد أخرج من أفغانستان الآرية عدداً من الأقاليم والمناطق نظراً للتغييرات التي طرأت على خريطة المنطقة نتيجة للحروب والاستقطاعات التي كانت تغير معالمها وحدودها الجغرافية والسياسية من عصر إلى عصر .

ثانياً : في العصور الإسلامية :

وفي العصور الإسلامية الأولى كان المؤرخون يذكرون أفغانستان الآرية بأسماء الأقاليم الخمسة الآتية :

١ ـ باختر[٢]: هذا الإقليم يشمل الآن ولايات بلخ وبغلان وفارياب وبدخشان وجوزجان وتخار وسمنجان وكندز .

٢ ـ غورات[٣]: وإقليم غور يشمل في الوقت الحاضر ولايات غور وبادغيس وهرات وفراه وأرزجان .

٣ ـ كابلستان[٤]: وهذا الإقليم يشتمل الآن على ولايات كابل ولكر وميدان وبراون وكاپيسا ولغمان وننجرهار وكونر .

(١) آريانا دائرة المعارف ٣ : مادة الأفغان، وبختانه د تاريخ به رنا كى ٧٩ ـ ٩٤، وأحمد علي كهزاد ومحمد عثمان صدقي : تاريخ أفغانستان ١ : ٩، ٣٥ ـ ٣٩، ٤٢ ـ ٤٤، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٧٥، ٣٦١، وأحمد علي كهزاد: تاريخ أفغانستان ٢ : ١١، ١٧ ـ ١٨، ٣٦ ـ ٤٢، ٥٧، ومجلة البشتو ٤ ـ ١٢ عدد أغسطس ١٩٨٧م، مقال بقلم محمد برويش شاهين ـ المجمع اللغوي البشتوني جامعة بشاور، وسيال كاكر: بشتو أو بشتانه ٧ .

(٢) كاكا خيل : بختانه د تاريخ به رنا كى ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، وأحمد علي كهزاد ومحمد عثمان صدقي : تاريخ أفغانستان ١ : ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٢٧٤، ومحمد أمان صافي: الأدب العربي في أفغانستان ١ : ٢٦ ـ ٤٣، رسالة الدكتوراه غير مطبوعة .

(٣) الطبري : ٥ : ٢٢٩، و٧ : ٤٠، ١٧٧، وعبدالحي حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : صفحات متعددة، وأبو الفداء: تقويم البلدان ٤٦٤ ـ ٤٦٩، ومحمد تقي بهار : سبك شناسى ١ : ٢٥، ٢٤٧، ٣٧٧، ٤١٢، ٤٣٢، و٢ : ٣٢، و٣ : ٣٦، ٤٩، ٥٠، ٧٠، ١٠٩، ١٨٣، ٣٠٩.

(٤) الطبري : ٢ : ١٠٠، وحبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٧، ١٨، ٢٨، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٤، ٤٤٠، ٩٠٢.

٤ ـ زابلستان[١]: هذا الإقليم في الوقت الحاضر عبارة عن ولايات زابل وغزنه وباميان وكندهار وبكتيا وبكتيكا.

٥ ـ نيمروز[٢]: ويشمل الآن ولايتي هلمند وجخانسور وما بينهما من المناطق والأقسام الإدارية .

ويلاحظ أن عملية الاتساع والانكماش الجغرافي بين الولايات الأفغانية، وكذلك بينها وبين ولايات البلاد المجاورة لها كانت مستمرة منذ أقدم العصور، وحتى العصور المتأخرة الأمر الذي جعل أسماءها القديمة تختلف عن أسمائها الجديدة في كل عصر من العصور التاريخية .

ثالثاً : في العصور الأموية والعباسية[٣]

اشتهرت أفغانستان في العصور الأموية والعباسية باسم خراسان ويقول الأستاذ مير غلام محمد غبار : إن هذا الاسم قد أطلق على الأراضي الأفغانية في العصر الساساني، أي منذ القرن الخامس إلى القرن التاسع عشر الميلادي[٤]، ويبدو أنه كان يطلق على أفغانستان وعلى ملحقاتها الحالية .

رابعاً : في العصور الحديثة[٥]:

إن أفغانستان من أحدث الأسماء الرسمية للبلاد الأفغانية، حيث حل محل خراسان في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً، بعد أن كان متداولاً بين

(١) الطبري : ١ : ٥٠٨، و٢ : ١٠٠، و٨ : ٢٧٣، وحبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : صفحات متعددة، وأبو الفداء: تقويم البلدان ٤٦٤ ـ ٤٦٩، والبلاذري : فتوح البلدان ٣٨٨ ـ ٣٨٩، ومحمد تقي بهار: سبك شناسى ١ : ٢٢، ١٦٨، و٢ : ٤٩، ٣٥٩ .

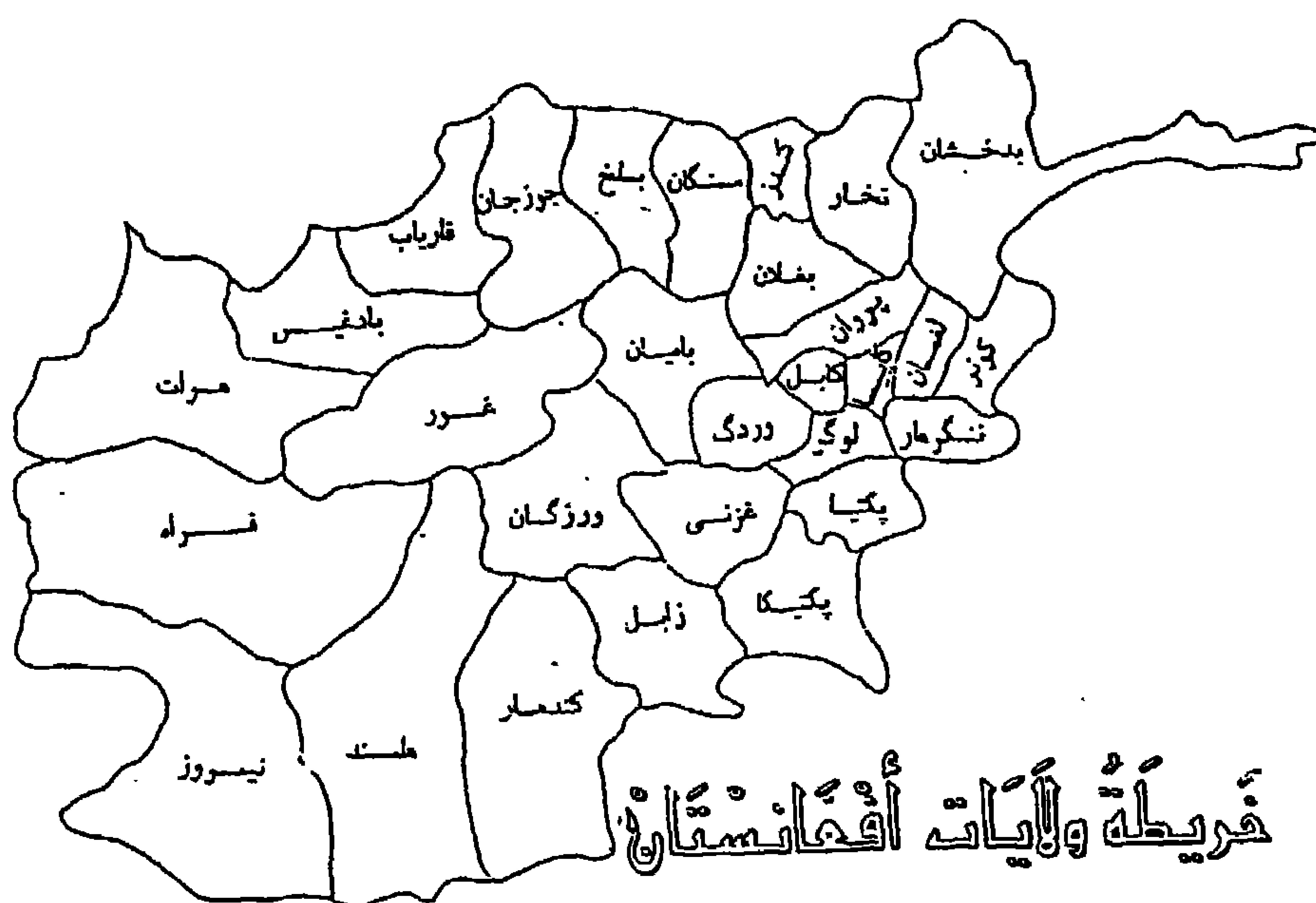
(٢) الطبري: ٢ : ٩٩، ٢٢٨ ـ ٢٣٠، وحبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٣٧، ١٤١، ٢١٦، وبهار: سبك شناسى ١ : ٢١ ، ٢٢، ٢٣٦، ٣٤٠.

(٣) حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٤٠ ـ ١٤٦ وصلاح الدين سلجوقي : أضواء على ميادين الفلسفة والعلم واللغة والفن والأدب ١٤.

(٤) أفغانستان در مسير تاريخ : ٩ .

(٥) كاكا خيل : پختانه د تاريخ به رنا كى ١٠٧، وآريانا دائرة المعارف ٣ : مادة الأفغان، ودائرة المعارف الإسلامية ٤ : مادة الأفغان، والسر أولف كيرو: بتهان ٣٦، الترجمة الأردية، طبعة ثانية ١٩٨٨م.

الأوساط التاريخية والأدبية كاسم للشعب وموطنه[1]، فقد كان المؤرخون في العصور القديمة والحديثة يستعملونه اسماً للشعب والوطن الأفغاني[2] إلى أن أصبح اسماً رسمياً للدولة الأفغانية الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر، أو أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه خريطة إدارية لأفغانستان المعاصرة :



---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧: ٨٧، و ٣٠١، طبعة بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ومحمد عبدالجبار العتبى: تاريخ اليميني ٢٦، نقلاً عن تاريخ أدبيات البشتو ١ : ١٥، والبيروني: كتاب الهند ١ : ٢٧٧.

(2) لمزيد من التفاصيل راجع : جوزجاني: حدود العالم ٤٥ - ٤٦، والعتبى : تاريخ اليميني ٢٦ وما بعدها، والبيروني كتاب الهند ١ : ٢٧٧، وحمد الله مستوفى : تاريخ كزيده ٣٩٥، ومبارك شاه : آداب الحرب ١٠٤٣ نقلا عن تاريخ أدبيات البشتو ٢ : ١٤ - ١٨.

الباب الأول

نشأة الأدب الإسلامي في أفغانستان

الفصل الأول
انتشار الإسلام ونشأة الأدب الإسلامي

إن التراث الأفغاني بما فيه من دين إسلامي كريم، وفكر قويم، ومن لغة غنية بمفـرداتها، مرنة باشتقاقاتها، جميلة بحروفها الأفغانية والعربية، وبما فيه من أدب عريق عميق يصـور نبضات قلوب الأفغان النابضة، وخلجات نفوسهم الدافقة، ونجـوى ضمائـرهم الصـاحية، ومنـاجـاة أفئدتهم الصافية، بدأ التراث الأفغاني الإسـلامي في الظهور والنمو والانتشار مع دخول الإسلام إلى ديار الأفغان خلال القرن الأول الهجري على فترات متقاربة، ثم في غزوات إسلامية اختلفت في التوالي بين التقارب والتباعد، والاستمرارية والانقطاع ابتداء من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنـه[1]، وانتهـاء بعهد الأمير عبدالرحمن خان الذي طهر آخر معاقل الكفر في أفغانستان سنة ١٣١٤هـ = ١٨٩٦م[2].

فتح هرات لبنة الأساس في صرح الأدب الإسلامي :

في أيام الفتـوحات الإسلامية الأولى تم فتح هرات في غرب أفغانستان على يد القائد الإسلامي الأحنف بن قيس التميمي أثناء تعقبه إمبراطور الفرس يزدجرد بعد إلحـاق الهزيمة به في معركة « جلولاء »[3] وقد اتخذها المسلمون فيما بعد قاعدة لهم لإنجاز فتوحاتهم في الأقاليم الغربية والشمالية في أفغانستان الخراسانية .

---

(١) عبدالحي حبيبى : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٤٧، وسيد بهادر شاه كاكا خيل: بختانه د تاريخ به رنا كى ٢٩٩، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣ : ٢ وما بعدها، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤ : ١١٤، وأبو الحسن البلاذري : فتوح البلدان ٣٠٠ .

(٢) الدكتور محمد على البار : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ٢١٧، والدكتور محمد حسن كاون : عبـدالـرحمن خان ونورستان، ترجمة الأستاذ محمد حسن صافي «ضمير» : مجلة آريانا العددان ٣ و ٤ عام ١٣٥٦هـ ش، والبلاذري : فتوح البلدان ٣٨٥.

(٣) اللواء محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ٢٢١ ، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤ : ٢٤، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢ : ٣٦١، وأبو الحسن البلاذري : فتوح البلدان ٢٩٩.

وكان الفتح الأول لهرات في عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما هو معروف في تاريخنا الإسلامي[1]. وقد كان هذا الفتح بمثابة اللبنة الأولى في بناء الصرح الأدبي الإسلامي في أفغانستان .

فتح سجستان المركز الأول للثقافة الإسلامية :

وفي مرحلة أخرى تالية من مراحل الفتوحات الإسلامية الأولى قامت موجة قوية من الموجات القتالية الإسلامية باختراق سجستان في غرب أفغانستان لنشر الإسلام فيها، وقد تم فتحها، وأصبحت منذ هذا الفتح مركزاً ثقافياً، وقاعدة عسكرية لشن الهجمات الإسلامية على مختلف الولايات في غرب وجنوب أفغانستان، وبخاصة على ولاية كابل التي قاومت مدة أطول، وبصورة أكثر شدة من سائر الولايات والأقاليم . . فعندما ولي ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأصبح مسؤولاً عن أمور المسلمين، قام عامله على البصرة عبدالله بن عامر رضي الله عنه بتوجيه قائده عبدالرحمن بن سمرة إلى سجستان للقيام بفتحها، وإقرار الأمور فيها، ولم يرجع من هذه الغزوة حتى بلغ في فتوحاته خواش، وبست، وجبال الغور، ورخج، وزابلستان، وكابل، وذلك بعد أن قام بتأسيس أول مسجد في سجستان . وقد قام بتحطيم كل ما صادفه في طريقه من الأوثان والأصنام والتماثيل[2]. وقد مهد بذلك الطريق لانتشار الإسلام، واستقرار العرب والعربية في البلاد الأفغانية وفيما جاورها من البلدان والأوطان .

وقد قام المسلمون بعد ذلك بوضع خطة حربية لفتح بقية الدويلات والأقاليم الأفغانية في جميع أنحاء أفغانستان الخراسانية، وتوالت فتوحاتهم فتحاً تلو فتح،

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤ : ١٨٠، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣ : ٢ وما بعدها، وتاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٥٩ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٤ : ٢٨، وناصر الدين شاه : أفغانستان والغزو الشيوعي ١٥ .

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ سيستان ٨٥، والبلاذري: فتوح البلدان ٤٨٨، وتاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٦٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣ : ٦١ ـ ٦٤، والطبري ٤ : ١٨٠.

ونصراً بعد نصر، ثم أثناء ذلك فتحت مرو الرود، وطخارستان، وبلخ، وغيرها من المدن والأقاليم الشمالية على يد القائد الإسلامي الأحنف بن قيس سنة ١٨ هـ أو ٢٢ هـ = ٦٣٩ أو ٦٤٢م[١].

كما قام المسلمون بقيادة أمير بن أحمد اليشكري سنة ٣١هـ = ٦٥١م بفتح كل من طوس، وأبيورد، ونساء، وسرخس، ومرو وغير ذلك من الأقاليم الخراسانية، وقد تم الصلح بين الطرفين على مليونين ومائتي ألف درهم[٢].

وقد قام جيشٌ إسلامي بفتح كل من نيسابور وجوين، وآخر بفتح كل من جوزجان، وطالقان، وفارياب. وجيش إسلامي ثالث قام بفتح بادغيس، ويوشنك بالقرب من هرات[٣].

هذا ما كان من الفتوحات الإسلامية في الأقاليم الشمالية والغربية من البلاد الأفغانية. أما في أفغانستان الجنوبية والوسطى، فقد فتح المسلمون زرنج بقيادة كل من عاصم بن عمرو التميمي، وعبدالله بن عمير، ووصلت فتوحاتهم إلى مدينة بست التاريخية. وفتح عبدالله بن سمرة الرخج (كندهار) وزمينداور، وزابل[٤]. (رضي الله عنهم جميعاً).

وبقيادة عبدالله بن سمرة فتح جيش الإسلام مدينة كابل سنة ٣٦هـ = ٦٥٦م، وفي حروب كابل استشهد الصحابي الجليل أبو رفاعة بن حارث العدوي البصري سنة ٤٤ هـ = ٦٦٤م، وكان يقود المعركة من جانب المسلمين المهلب بن أبي صفرة، ومن الجانب الثاني ملك كابل بنفسه[٥].

---

(١) حبيبى : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٤٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ١ : ١٤٩ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ٥٠٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٠، وأفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٤٩، و ١٥٠.

(٥) تاريخ سيستان ٨٥ ، وفتوح البلدان ٤٨٨ ، وأفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٦٠ .

وبعد فتح كابل توجه قائد معركة فتح كابل المهلب بن أبي صفرة إلى الشرق لفتح الولايات الشرقية وتمكن من فتحها سنة ٤٤ هـ = ٦٦٤م، حتى وصل إلى « بنه = بنون » وفي هذا يقول الشاعر العربي الأزدي :

ألم تر أن الأزدليلة بيتوا ببنه كانوا خير جيش المهلب[(١)]

استقرار العرب والعربية في بلاد الأفغان :

وقد زادت الفتوحات الإسلامية في بلاد الأفغان أيام الأمويين قوة وانتشاراً حتى تخطت حدود الأفغان إلى كل من آسيا الوسطى، وبلاد الهند لنشر المبادىء الإسلامية هناك، وقد استقر نتيجة لهذه الفتوحات كثير من أفخاذ القبائل العربية في منازل الأفغان، وباستقرار العرب بهذه الأقاليم، استقر فيها الدين الإسلامي واللغة العربية التي أصبحت بعد ذلك لغة الأدب والعلم والمعرفة والثقافة[(٢)].

يأتي العباسيون وفتوحاتهم في البلاد الأفغانية بعد فتوحات الأمويين، وفي عهدهم الزاهر أدت أفغانستان الخراسانية نصيبها الكبير في ميادين الحياة الاجتماعية، والسياسية، والعلمية، والأدبية، كأبي مسلم الخراساني وثورته في شمال وغرب أفغانستان، وجهوده من أجل تأسيس هذه الدولة. ومن أشهر شعراء الأفغانية في هذه الأيام الأمير كرور بن فولاد الغوري الذي كان يناصر أبا مسلم الخراساني في حروبه لتأسيس الخلافة العباسية والذي أنشد حماسيته المشهورة في الفخر أثناء انتصاراته في تلك الحروب، وهذا مطلعها[(٣)]:

إنني أسد في هذا العالم ليس فيه من هو أكثر مني بطولة

---

(١) فتوح البلدان ٥٣١ .

(٢) البار : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ١٠٥ ـ ١١٢، وحبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٦٥ ـ ١٩٥، وفاروق حامد بدر : تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر ٢٣ .

(٣) حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٣٤، وفضل أحمد: رهنماى أفغانستان ٧٦. وللاطلاع على القصيدة كاملة راجع ص ٧٣ من هذا الكتاب.

وكذلك خالد بن يحيى البرمكي الأديب القائد الذي كان من أبرز قواد أبي مسلم الخـراساني والـذي حارب باسم العبـاسيين نصر بن سيار آخـر ولاة بني أمية في خراسـان[1]. والأسرة البرمكية البلخية الأصل كانت تتمتع بمكانة مرموقة، وشهرة أدبية وسياسية واسعة قبل الإسلام في شمال أفغانستان[2] ومكانتها الأدبية والسياسية في العصر العباسي غير خافية على رجال التاريخ والأدب[3].

الأدب الأفغاني الإسلامي يستمد حياته من الحضارة الإسلامية :

ووقفت الحضارة الإسلامية بعد انتشار الفكر الإسلامي في ديارنا الأفغانية، شامخة بطوابعها الأبدية، ومنابعها الخالدة، وآثارها الدائمة، ونحن لا نبالغ، أو نلقي القول على عواهنه، إذا قلنا وقررنا: أن الحضارة الإسلامية لا تموت، وآدابها الإسلامية لا تهن، ولا تضعف، ولا تزول، لأن خلودها الأبدي مرتبط ومتصل بالقرآن الكريم الذي يسري في الأفغان، وخلاياهم وشرايينهم. وإذا كانت اللغة العربية وآدابها قد خضعت لعوامل الضعف والوهن في أفغانستان، فإن ذلك لا يعني أبداً فناء الأدب الإسلامي، وانتهاء أثره الخالد في حياة الأفغان، والحقيقة المؤكدة أنه فعال دائماً، ومؤثر في كل زمان ومكان، ولا يزال كذلك حتى اليوم. إنه يتمتع بقوة غالبة، وبقوة أخرى صامـدة، والمراد من قوته الغالبة فترات نصره الباهر، وغلبته العظيمة، ومده المؤثر العظيم، والهيمنة الكاملة لحضارته الإسلامية أيام انتشار اللغة العربية وآدابها، والمراد بالقوة الصامدة تلك القوة السحرية الفائقة التي تعمل عملها في زمن الضعف، أي ضعف ثوبـه العـربي والوهن الأدبي بعد قيام كيانات الدويلات الانفصالية، والتي تعمـل عملهـا أيضـاً أيام الضعف والـوهن في الأمة الإسلامية فقد استمر انتشار الإسـلام، وصمود الفكر الإسلامي وآدابه في ربوع البلاد الأفغانية، وفي البلدان

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٤، وابن الأثير ٤ : ٢٩٩ وما بعدها، وتاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي إلى وقتنا الحاضر ٢٤، وثريا حافظ عرفة: الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول.

(٢) تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ٣٧٣ وما بعدها.

(٣) راجع في ذلك : محمد أحمد برانق : البرامكة في ظلال الخلفاء، والجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ١٨٩ ـ ١٩٥، وتاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ٣٧٣ ـ ٤٠٧.

المحيطة بها في زمن التفكك والوهن والضعف الذي تعرضت لها الخلافة العباسية في بغداد التي كانت تمثل قوة الخلافة الإسلامية. ولم يكن من باب المصادفة قيام فقهاء الإسلام في الديار الأفغانية وفلاسفته وعلمائه، وأمراء الدويلات وقوادها من أكثر وأكبر الناس اهتماماً بالآداب الإسلامية شعراً ونثراً، وبمؤثراتها الإسلامية .

الفصل الثاني
تمكن الأدب الإسلامي وتزعزع اللغة العربية

كانت أفغانستان بعد الفتح الإسلامي، وأثناء انتشار الإسلام فيها مسرحاً للصراع بين الدويلات والعقائد، واللغات والآداب، وكان النصر فيه من نصيب الحق.. قضى دين الحق على الدويلات والعقائد، وتمكنت لغة القرآن، ولغة نبي الإسلام، وآدابها من القضاء على لغات الأفغان وآدابها، وظل الأمر كذلك حتى القرن الثالث الهجري، إلى أن أخذت الحياة تدب في اللغات والآداب الأفغانية من جديد.. وبدأت بداية النهاية بنشأة الدويلات الأفغانية.

الأسرة الطاهرية وبداية تزاحم الأفغانية والفارسية للغة العربية:

من أشهر الشخصيات السياسية والأدبية في أفغانستان الخراسانية طاهر بن الحسين الذي ولد في بوشنج بالقرب من هرات في غرب أفغانستان، وهو مؤسس الدولة الطاهرية، وهو الذي قد مال بجيشه وجهده إلى المأمون في صراعه مع الأمين، فكان النصر من نصيب المأمون، وكانت خراسان من نصيب طاهر بن الحسين قائد المأمون، طعمة له ولبنيه على تأييده له في هذا الصراع. وقد أدى اهتمام الدولة الطاهرية باللغة العربية إلى تشجيع الحركة العلمية، وظهور المئات من العلماء والأدباء والشعراء، وكانت بلخ وهرات ونيسابور وزرنج وبست وغزنه من المراكز العلمية والأدبية في أفغانستان الطاهرية[1]. وكان الطاهريون يقدرون العلم والعلماء، ويجرون الرواتب والأرزاق على الفقهاء والأدباء، فرغبوا الناس في العلم، وكانوا هم أنفسهم يتشاغلون بالعلم، كما كانوا يتشاغلون بشؤون القتال والقيادة.

---

(١) الدكتور أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون ٣: ١٧، والطبري ٨: ٥٧٧ ـ ٥٩٥، والدكتور رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي ٢٢ الترجمة العربية، والدكتور أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية والأسر الحاكمة ١: ٢٦٩، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ١٩٨ ـ ٢١٦، وابن الأثير ٥: ١٥٢ ـ ١٦٥، وخليلي: هرات ٢٣، وأبو العنين: أفغانستان بين الأمس واليوم ٣٧.

لا شك أن الطاهريين قد اهتموا بشؤون البلاد والعباد والآداب في خراسان، إلا أنهم قد وضعوا بذلك حجر الأساس لإحياء اللغات الأفغانية وآدابها بشكل لا شعوري، إذ كان لشبه استقلالهم السياسي، وعنايتهم بالأدب أثر عميق في إيجاد نهضة أدبية كان لها أثرها الخطير في خلق شخصية شبه مستقلة لحاضرتهم، الأمر الذي مهد للاستقلال الأدبي، ومن هنا نرى أن تأثير الدولة الطاهرية لم يقتصر على المجال السياسي وإنما تعداه إلى المجال الأدبي واللغوي في تهيئة الظروف، وتمهيد الطريق لانطلاقة أدبية ولغوية على نطاق واسع وبشكل خطير، بلغت ذروتها القصوى في أحضان الدول التي تعاقبت في البلاد الأفغانية بعد القضاء على الدولة الطاهرية، وانتقال السلطة إلى الدولة الصفارية .

ظهرت في أفغانستان الخراسانية دول إسلامية عديدة كالطاهرية في غرب أفغانستان، والصفارية في سجستان، والسامانية في الشمال، والغزنوية في غزنة، والسلجوقية في مرو، والغورية في بلاد الغور، ولا شك أن ظهور هذه الدول المتعاقبة قد حوَّل السلطان الأدبي من بغداد إلى هذه الأقاليم، وقد أحدث ذلك انقلاباً عظيماً في الحياة الأدبية، وقد تنافس أمراء هذه الدول في تشجيع الشعراء ونشر العلوم والآداب، كما حدث تنافس محمود بين العلماء والأدباء والشعراء. . من العرب والعجم، ففي الوقت الذي أعطى الخراسانيون عقولهم للثقافة العربية وآدابها، فقد مهدوا في الوقت نفسه لثقافتهم وآدابهم الكامنة في نفوسهم، مكتوبة في لغاتهم المحلية . ومن هنا نرى أن الطاهريين قد وضعوا حجر الأساس في إعادة الحياة إلى الصرح الأدبي (الأفغاني ـ الفارسي) الذي كان قد دب فيه بصيص من شعاع النشاط أيام أبي مسلم الخراساني والبرامكة البلخيين، إلى أن وصل الأمر إلى الدولة الطاهرية فتولت أمر العناية اللاشعورية به إلى جانب عنايتها باللغة العربية وآدابها .

الدولة الصفارية وتزعزع مكانة اللغة العربية :

ويعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية(1) في سيستان في غرب أفغانستان، تمكن من إخضاع الدولة الطاهرية، وتدميرها وإنهاء حكمها وأمرها في عام ٢٥٩هـ =

(١) راجع : مير محمد صديق فرهنگ : صفاريان، وعمر كحالة : العالم الإسلامي ٢ : ١٨٠، وحسن إبراهيم =

٨٧٢م، ثم اتجهت جيوشه نحو بقية الأقاليم الأفغانية، فأخضع لنفوذه حكام كل من أقاليم الرخج، وزابلستان، وكابلستان حتى وصل نفوذه إلى الهند، فأذعن له حكام كل من الملتان والسند، وقد انتهت الدولة الصفارية في أفغانستان سنة ٢٩٧هـ = ٩٠٩م . واستولت الدولة السامانية على أملاكها في بلاد الأفغان .

ويعقوب بن الليث لم يكن من الذين يتذوقون اللغة العربية وآدابها، وكان كما يقال يفضل أن يمدح باللغة الدرية (الفارسية) بدلاً من العربية، وهو الذي قد شجع الشعراء في سيستان الأفغانية أن ينظموا الشعر بهذه اللغة[١] الأمر الذي عدَّه مؤرخو الأدب المرحلة الأولى العملية من مراحل التحول في بناء صرح الآداب واللغات القومية في البلاد الأفغانية. . واتخذ الإحياء الأدبي واللغوي طريقه إلى الآداب الأفغانية ولغاتها ابتداء من أيام الصفاريين. ورغم ذلك فقد ظلت اللغة العربية أساساً صلباً للمعارف الإسلامية بفروعها العربية والأفغانية. ومن شعراء هذا العصر باللغة الدرية محمد بن وصيف السكزي، وبسام كرد الخارجي ومحمد بن مخلد[٢] .

ويلاحظ أن الدولة الصفارية في سيستان قد قامت بإحياء الميول العسكرية الفطرية في نفوس الأفغانيين بعد أن وحدت أقاليمهم تحت لوائها، وقامت بإخضاع القبائل الخلجية لسلطانها، فالتحقت أعداد كبيرة من الأفغان بالجيش[٣] للعمل في صفوف الصفاريين الزاحفة .

من سيئات الدولة الصفارية في سجستان أنها قضت على الوحدة الفكرية والأدبية واللغوية بجانب قضائها على الوحدة السياسية التي تحققت مع الفتح الإسلامي

= حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٣ : ٦٥ - ٦٧، والدكتور حامد غنيم أبو سعيد؛ عصر الدول الإقليمية ١ : ١٩٠، ٢٨٤، ٣٤٨، والدكتور محمد حلمي أحمد: الخلافة والدولة في العصر العباسي ١٣١ - ١٦٣.

(١) آريانا دائرة المعارف ٣: ٢٤٣٣، وتاريخ سيستان ٢٠٩، طبعة طهران والدكتور على الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ٤٢.

(٢) محمد تقي بهار: سبك شناسي ٢ : ١ - ٢، والدكتورة إسعاد عبدالهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي ٢٩ - ٣٢، والدكتور محمد نورالدين عبدالمنعم: دراسات في الشعر الفارسي ٢٩.

(٣) كاكا خيل: پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٣٢ - ٣٣٣، وميرغلام محمد غبار: أفغانستان در مسير تاريخ ٨٩ - ٩٦ .

لأفغانستان الخراسانية التي عاشت متحدة في الفكر واللغة لمدة ثلاثة قرون تقريباً ترفرف فوق ربوعها لغة واحدة هي لغة القرآن، والسنة النبوية المطهرة، وفكر واحد هو فكر الإسلام الشامل الكامل، وكانت العربية هي لغة الدين الإسلامي، ولغة الأدب الراقي، ولغة السياسة، ولغة أهل العلم والمعرفة، فجاءت الدولة الصفارية، واتخذت هذه الخطوة لإحياء الآداب واللغات المحلية للقضاء على الوحدة الأدبية والفكرية للأمة الإسلامية، إذ المرحلة التي مرت بها الآداب واللغات الإقليمية أيام الصفاريين كانت ذات آثار سيئة في الأوساط الأدبية، حيث تزعزع فيها مقام اللغة العربية ومكانتها الأدبية، وأصبح الاهتمام بها في المقام الثاني، وصارت تابعة بعد أن كانت متبوعة .

وكانت الدولة الغورية في أفغانستان الوسطى تعاصر الدولة الصفارية في سيستان جنوب أفغانستان، وكان على رأسها الأمير سوري بن محمد الغوري حفيد الأمير بنجي بن نهاران[1] الغوري، كان يتولى شؤون الدولة الغورية أيام الخليفة هارون الرشيد الذي أقره على إمارته، ولقب بقسيم أمير المؤمنين[2]، وكانت الدولة الغورية مهد الأدب الأفغاني واللغة الأفغانية (البشتو) وكانت الأسرة الغورية نصيرة للآداب الأفغانية وحاميتها، ولم تتمكن الدولة الصفارية من إخضاعها لنفوذها رغم انتصاراتها في الحروب، وتمكنها من إخضاع أقاليم أفغانية كثيرة لسلطانها .

وزعيمها الأول في العصر الإسلامي هو شنسب بن خرنك، وقد أسلم على يدي علي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه . ومن شعراء الأسرة الغورية المشهورين الأمير كرور بن فولاد الملقب ببطل العالم (جهان بهلوان) المتوفى سنة ١٥٤هـ = ٧٧٠م[4].

(١) الجوزجاني : طبقات ناصري ١ : ٣٢٤، وكاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٧٥.
(٢) حبيبى : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٣٦ .
(٣) السمرقندي : جهار مقاله ٩٤ ، الترجمة العربية، والجوزجاني . طبقات ناصرى ١ : ٣١٨ .
(٤) محمد بن داود : پته خزانه ٣٠، وتاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٣٢ .

الدولة السامانية واهتمامها بالعلوم والآداب :

ونصر بن أحمد بن سامان هو مؤسس الدولة السامانية[1] الذي تولى ولاية آسيا الوسطى أيام العباسيين، وعندما قوي سلطانه قام بضم أراض كثيرة في بلاد ما وراء النهر، وخراسان، وطبرستان، وفارس إلى الدولة السامانية، وقد اتخذ السامانيون ـ وهم من بلخ في شمال أفغانستان ـ مدينة سمرقند عاصمة لدولتهم، وقد حكموا أفغانستان الخراسانية مائة وعشرين سنة، تناول الحكم فيها أحد عشر حاكماً من حكام هذه الأسرة البلخية[2]. ومن أشهر كتاب هذا العصر الساماني أبو منصور المعمري، وأبو المؤيد البلخي، وأبو علي محمد البلعمي[3] وغيرهم .

وإذا كان الطاهريون قد ألقوا في أفغانستان النواة الأولى للانفصال أو الاستقلال، فإنهم قد مهدوا ـ ولو بدون شعور منهم ـ الطريق للاستقلال الأدبي، ودليلنا على ذلك، بالإضافة إلى ما مر، موقف عباس المروزي الذي يقال[4] إنه مدح الخليفة العباسي المأمون باللغة الدرية (الفارسية) أثناء وجوده في عاصمة خراسان آنذاك، مع أنه كان يجيد الإنشاد باللسان العربي إجادة كاملة، هذا الطريق الذي فتحه الطاهريون قد اتخذ فيها بعد منطلقاً خطيراً لحركة أدبية ولغوية واسعة أيام الدولة السامانية، وصلت ذروتها في العصور الغزنوية والغورية والسلجوقية حيث أصبحت غزنه وهرات وفيروز كوه وبلخ وبادغيس وفراه وكندهار ولغمان مراكز أدبية راج فيها الأدب والعلم، كما راجت فيها اللغات الإقليمية، بجانب اللغة العربية وآدابها،

---

(١) سامان : اسم قرية في خراسان كانت تتبع لبلخ في شمال أفغانستان، والسامانيون أسرة أو سلالة حكمت في آسيا الوسطى (ما وراء النهر) وخراسان (أفغانستان وإيران).

(٢) الطبري ٩ : ٤٦٧ و٥٠٧، وابن الأثير ٥ : ٣١٢ ـ ٣٣٧ و ٣٤٠، ومحمد تقي بهار: سبك شناسى ٢ : ١ ـ ٢، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٣ : ٧٢ ـ ٧٩.

(٣) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٦٤ ـ ٢٦٦، ومحمد تقي بهار : سبك شناسي ٢ : ١ ـ ٢، والدكتور شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ٤٨٢ ـ ٤٨٤ .

(٤) شبلي نعماني : شعر العجم ١ : ١٨ ، الترجمة الفارسية، والدكتور رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ٢١، ترجمة محمد موسى هنداوي.

وكانت غزنه في مقدمة تلك المراكز التي بدأت تنافس بغداد عاصمة الخلافة العباسية(1) في المجالين الأدبي والسياسي.

كانت الدولة السامانية أبعد الدول الإقليمية عن حاضرة اللغة العربية بغداد، الأمر الذي هيأ لها طريق الاستجابة لتيار الحركة القومية الاستقلالية، وكانت استجابتها وتأثيرها أكثر ظهوراً في عملية الإحياء من استجابة الطاهرية والصفارية وتأثيرهما في ذلك، فقد قام السامانيون عملياً بإحياء الثقافة الإقليمية الجامعة للمؤثرات الإسلامية في ثوبها العربي والأفغاني، ونتيجة لهذه الاستجابة العملية بدأت الكتابة باللغات المحلية إلى جانب اللغة العربية، وحفل البلاط الساماني بكثير من العلماء والشعراء باللغات الإقليمية والعربية. وظهور الشعراء الإقليميين في هذا العصر كان مقدمة للشعراء في العصر الغزنوي .

بدأت حركة التأليف والترجمة نشطة، فقد تمت ترجمة تفسير الطبري، وتاريخ الطبري عام ٣٥٢هـ = ٩٦٣ م كما تم تأليف عدد من الكتب ككتاب شاهنامة أبي منصور محمد بن عبدالرزاق الذي يرجع تاريخ تأليفه إلى عام ٣٣٦هـ = ٩٤٧ م، إحياء للأمجاد اللغوية والأدبية السابقة، وقد كتب لهذه الحركة الانفصالية الخطيرة النجاح والتوفيق. . فسارت بالآداب إلى مدارج الارتقاء والتطور، وباللغات المحلية إلى الحياة والنشاط والحيوية .

وظلت اللغة العربية حية نشطة إلى جانب الشروع في إحياء اللغات الإقليمية وآدابها المحلية التي بدأت تنافس العربية في الفكر والأدب علناً دون خوف أو وجل، وبدأت عملية التأثير والتأثر تظهر في هذا العصر أكثر وضوحاً، وذلك نظراً لبعد الدولة السامانية عن بغداد عاصمة «العربية» والخلافة العباسية كما مر، ولأنها ورثت إمارة الطاهريين والصفاريين الذين سبقوها إلى ذلك، وبالإضافة إلى ذلك كانت ثالث الإمارات والدول الانفصالية في الظهور والنشأة وفي العمل والنشاط، فكان

(1) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٣ : ١٤٢، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢ : ١١٣، وعلي الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ١٨ وما بعدها .

استشعارها القومي ، واستظهارها للأدب الإقليمي المنافس للأدب العربي قوياً ومتفوقاً على استجابة غيرها من الدول الإقليمية التي سبقتها في هذا الميدان، وهي تُعدُّ من أهم الدويلات الانفصالية ذات الشأن في نهضة الأدب الدري وإحياء الثقافة القومية في أفغانستان .

وكانت الدولة الغورية في قلب أفغانستان تواصل نشاطها الأدبي والفكري، وتعيش في سلام وأمن ولم تتمكن الدولة السامانية كالصفارية السيطرة عليها، أو أن تؤثر في مصيرها الأدبي والفكري، واستمرت في عملية إدماج الأسس الثقافية والحضارية في وحدة فكرية متماسكة .

الدولة الغزنوية ودورها الأدبي والعلمي :

قامت الدولة الغزنوية على يد سبكتكين في قلب أفغانستان، وقد اضطلعت هذه الدولة بدور من أعظم وأخصب أدوار التاريخ الإسلامي في المجالين الأدبي والسياسي بجانب المجال العسكري لنشر الإسلام وحضارته في كل من أفغانستان وإيران وآسيا الوسطى والبلاد الهندية، إذ استطاع مؤسس الدولة الغزنوية في مدة حكمه القصيرة أن يحكم قبضته على بلاد كثيرة، وأن يمد حدود سلطنته إلى مدى أوسع في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب[1] .

وقد مهد لظهور الدولة الغزنوية القائد المقاتل ألب تكين الذي انتزع غزنه من حاكمها « لويك » وقام بغزو زابلستان، وأقام إمارة مستقلة ورثها من بعده ابنه أبو إسحاق إبراهيم الذي جرت بينه وبين « لويك » حرب في شرق كابل، وقد انهزم فيها إبراهيم وفر هارباً إلى بخارى، ثم ورثها بلكا تكين أحد قواد ألب تكين، وبعد وفاته ورثها يريتكين، وكان كسابقه أحد قواد ألب تكين المشهورين، ثم ورثها سبكتكين

(١) خليلي : سلطنت غزنويان ٦ ـ ١٩، وطبقات ناصري ١ : ٢٢٧، والساداتي: أفغانستان قلعة الإسلام ١٦، وتاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ٧٤ ـ ٩٩، وتاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ٣١ ـ ٣٣، وجلالى : غزنه وغزنويان.

مؤسس الدولة الغزنوية في أفغانستان، واتخذ من مدينة غزنه عاصمة للدولة الجديدة[1].

ويلاحظ أن اللغة الأفغانية كانت لغة الدولة والأدب أيام الأسرة اللويكية التي حكمت غزنه وزابلستان وكرديز، والتي يعود تاريخ حكمها في القدم إلى العصر الكوشاني في أفغانستان. وقد وصل إلينا بيت واحد من الشعر الأفغاني يرجع إلى هذه الأسرة[2]، ويبدو من سياقه أنه أنشد أثناء الفتوحات الإسلامية في أفغانستان، وهو يقول ما معناه:

في أرض غزنه دفن لويك، وأضاع اللويكيون عظمتهم
ولكنني استنفر جيشي ...؟ فلا تتعاون مع العرب[3]

ومن غزنه خرج السلطان محمود الغزنوي أعظم سلاطين المسلمين في حملاته الإسلامية الخالصة غرباً وشرقاً وقام بتحطيم رموز الشرك والظلم والاستبداد هنا وهناك حتى لقب بمحطم الأصنام، وما أشرفت حياة هذا السلطان محطم الأصنام على النهاية حتى كان يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء قوية البنيان قويمة الأساس من عاصمته غزنه في قلب أفغانستان يسودها الإسلام، وكان لشخصية السلطان محمود الزابلي[4] الإسلامية أثر عظيم وعميق حيث أصبح بطلاً إسلامياً مرموقاً في منازل الأفغان وفي التاريخ الإسلامي بصفة عامة. وقد توفي محمود سنة ٤٢١هـ =

(١) حبيبي: تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١: ٣١-٤٧، وابن الأثير ٧: ٨٥ حوادث سنة ٣٦٦، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٣: ٨٣-١٠٠، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٦٦-٢٦٧، والدكتور أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٢: ٥٨٧-٥٩٣، وسلطنت غزنويان ١ وما بعدها.

(٢) حبيبي: د پشتو أدبياتو تاريخ ٢: ٦٣، وطائر: روهى أدب ٥٤.

(٣) حبيبي: د پشتو أدبياتو تاريخ ٢: ٣٨، وطائر: روهى أدب ٥٤-٥٥.

(٤) الزابلي: لقب من ألقاب السلطان محمود الغزنوي، وهو مأخوذ من نسبته إلى زابل أو زابلستان إحدى الولايات الأفغانية حيث كانت أمه ابنة أحد أمراء هذه الولاية، ومن ألقابه أيضاً يمين الدولة وأمين الملة الذي منحه الخليفة العباسي القادر بالله. راجع: خليل الله خليلي: سلطنت غزنويان ص ٢٠ وما بعدها، وغلام جيلاني جلالي: غزنه وغزنويان.

١٠٣٠ م[١] بعد حكم استمر ٣٣ عاماً فخلفه ابنه مسعود الأول[٢] ومن بعده تولى الحكم مودود بن مسعـود[٣] حتى اضطر السلطان بهرام شاه الغزنوي إلى الاعتراف بسيادة السلاجقة[٤].

وقد اشتهر الغزنويون بتشجيعهم للعلوم والفنون والآداب، وكان يقيم في غزنه في أيامهم أكثر من ٤٠٠ من الشعراء المشهورين والعلماء المرموقين منهم شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري والبيروني والفردوسي والثعالبي والعتبي والعنصري والفرخي[٥].

طلب محمـود الغزنوي من «مأمون خوارزم» صفوة مختارة ممتازة من رجال العلم والفلسفة في مقدمتهم البيروني، والطبيب ابن الخمار، والرياضي أبو نصر بن العراق، وابن سينا، وأبو سهل المسيحي، وعندما تم له الاستيلاء على إمارة «مأمون خوارزم» استـدعـاهم، وعـرض عليهم رغبته في ذهابهم إلى بلاطه في غزنه، فوافق الجميع باستثنـاء الأخـيرين. وفي هذا ما يدل على اهتمام الدولة الغزنوية بجمع العلماء في عاصمتها غزنه التي جعلتها مركزاً من أهم مراكز العلوم والآداب في أفغانستان، وقد عمت النهضة الأدبية والعلمية مدناً أخرى في هذه الدولة مثل هرات وزرنج وبست وفيروز كوه والرخج ومرو وبغشور وبادغيس وبنجده وبلخ والطالقان وغيرها.

كان لعنـاية الـدولة الطاهرية بالأدب العربي ولغته العربية تأثير قوي في ازدهار حاضرتها بالعلم والأدب والثقافة، كما كان لعناية الدولة الصفارية بالآداب الإقليمية تأثـير قوي أيضـاً، إذ مهدت بذلك الطريق للاستقلال الأدبي في أفغانستان. وأما

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧: ٣٤٦، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٦٧ - ٢٧١.

(٢) خليلي: سلطنت غزنويان ص ١٥٧، وجلالي: غزنه وغزنويان، وكاكا خيل: پختانه د تاريخ په رنا كى ص ٣٦٥، وابن الأثير ٧: ٣٤٧.

(٣) محمد علي البار: أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ١٥٠.

(٤) أحمـد كمال الـدين حلمي: السـلاجقة. والبنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٧١، والدكتور عبدالنعيم محمد حسين: سلاجقة إيران والعراق ٩ - ١١.

(٥) راجع: رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، الترجمة العربية، وعلى الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، وابن الأثير ٧: ٣٤٧ - ٣٤٨، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٧١ وما بعدها.

الدولة السامانية فقد قامت ببذل محاولات لإحياء الثقافة الإقليمية. مع القيام ببذل مساعي جادة للحفاظ على التوازن بين الآداب واللغات العربية والإقليمية بجانب الحفاظ على التعادل بينها .

أما الدولة الغزنوية فكانت لها من الوسائل الأدبية والثقافية والحضارية المتعددة التي مكنتها من أن تحتل مكانة مرموقة في التاريخ الأدبي في أفغانستان ، ومن هنا نرى أن يجتمع في غزنه أكثر من أربعمائة من شعراء الدرية وحدها، كانوا يبنون أفكارهم الأدبية على أفكار من سبقهم من الشعراء والمفكرين في الدول الإقليمية السالفة، حتى بلغ نتاجهم الفكري والأدبي إلى حد الكمال والجمال، والرونق والروعة، وغلبت اللغات الإقليمية وبالأخص اللغة الدرية على اللغة العربية فكان في ذلك مقتلها، حيث بدأ الصراع بين أبي العباس الأسفراييني، وأبي القاسم الميمندي (الميوندي) كان الأسفراييني قليل البضاعة في الصناعة العربية، فأحل الدرية محل العربية في المكاتبات والمخاطبات أيام وزارته في غزنه، ولما سعدت الوزارة بالميمندي أمر بتحاشي الكتابة بالدرية[1] وعادت العربية إلى المكاتبات والمخاطبات في وزارته في أيام الغزنويين.

وإذا كان للدولة الغزنوية ولغيرها من الدول الانفصالية أثرها السيىء على الدولة العباسية سياسياً وعربياً، فإنها قد أدت مع ذلك إلى تأكيد الآداب وتعددها، وتطوير الحضارة وازدهار العلوم، وإلى التنوع في فروع المعرفة، وأصبحت الحواضر الإقليمية مراكز علمية يأوي إليها العلماء والأدباء والمفكرون، وعمت النهضة الأدبية الإقليمية كل تلك الحواضر، وكان لغزنه نصيب الأسد في ذلك، حيث قامت الدولة الغزنوية، وبخاصة في عهد السلطان محمود الغزنوي بالعمل على إحياء الآداب الأفغانية ولغاتها الإقليمية، وفي عهده أنجز الفردوسي نظم الشاهنامة في نحو ستين ألف بيت من الشعر الدري، وكان الفرخي السيستاني، والعنصري البلخي، والعسجدي ومنوجهري يتبارون في تمجيد فتوحاته ومديح أبنائه .

(١) العتبي : تاريخ اليميني ٣ : ١٧٠ .

وهكذا حلت اللغات الأفغانية وآدابها محل اللغة العربية وآدابها، وقد حاولت كل لغة من لغات أفغانستان العديدة أن تنفرد مستقلة بمزاولة الحياة الأدبية والفكرية في الإقليم الذي نشأت فيه، وانتهت تلك الوحدة الأدبية والالتزامات اللغوية التي كانت ترفرف فوق قلاعها الأدبية راية اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية .

كان موقف الدولة الغزنوية من الدولة الغورية التي كانت تعاصرها بقيادة الأمير محمد السوري (الغوري) أيام كل من سبكتكين وابنه محمود موقفاً غير ودي على الدوام وذلك منذ أن هاجم سبكتكين الدولة الغورية لإخضاعها، ولم يتمكن من ذلك، كما لم تتمكن الصفارية والسامانية من إخضاع الغورية والتسلط عليها، باستثناء محمود الغزنوي الذي استطاع أن يستولي عليها، وأن يقوم بأسر الأمير محمد[1] السوري (الغوري) الذي مات متأثراً بالهزيمة، وقد رثاه الشاعر الأفغاني الشيخ أسعد بن محمد الغوري بقصيدة عبر فيها عن حزنه العميق على وفاته، وقد كان من شعراء البلاط الغوري[2].

ومن علماء الدولة الغورية المشهورين الأمير عباس بن شيس السوري (الغوري) وكان من علماء الفلك والنجوم، وشيد لنفسه قصراً كانت بروجه بعدد بروج السماء[3]. ومن شعرائها المشهورين أيضاً السلطان علاء الدين الحسين الغوري كان أديباً وشاعراً[4].

السلاجقة وأثرهم الإسلامي في الثقافة والأدب :

وفي هرات الأفغانية تم وضع الأساس للدولة السلجوقية في بلاد الأفغان، فقد ظهرت هذه الدولة على يد الزعيم سلجوق بن دقاق الذي قام بتوحيد القبائل تحت زعامته[5]، وقد كان عمله هذا نواة للدولة السلجوقية التي سادها أبناؤه وأحفاده بعد

---

(١) ابن الأثير ٧ : ٢٥٣ ، والجوزجاني : طبقات ناصري ١ : ٣٢٩ .

(٢) حبيبي : لغة البشتو ٢١ ، وطائر : روهي أدب ٦٠ .

(٣) كاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٧٨ - ٣٧٩

(٤) كهزاد : لشكركاه ١٤٥ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨ : ٢١ ، حوادث سنة ٤٣٢هـ، والدكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ١ : ٣١٣ - ٣٢٠ .

سيطرتها على العالم الإسلامي ومن أشهر من حكم البلاد الأفغانية من هذه الأسرة السلطان سنجر بن ملكشاه[1]، وهو من أعظم سلاطين السلاجقة في أيام انقسام الدولة السلجوقية وقد امتد نفوذه إلى آسيا الوسطى[2] والعراق بعد أن استولى على غزنه في قلب أفغانستان، وألحق الهزيمة بالسلطان أرسلان شاه الغزنوي[3]. ولدور السلطان سنجر السياسي سمى السلاجقة الذين يقوم بتمثيلهم باسم سلاجقة خراسان تمييزاً لهم عن سلاجقة العراق[4]، والسلاجقة كالأفغان يحسنون الفتح والغزو، كما يحسنون فنون الحرب والضرب والقتال، وقد أجاد ملوكهم تلك الفنون ولذلك كان عصرهم عصر خير وبركة وازدهار للفتوح الإسلامية .

وإذا كان السلاجقة قد ألحقوا الهزيمة بالغزنويين فإن الغوريين قد أرغموهم على نقل عاصمتهم من غزنه إلى لاهور في البنجاب. وقد وقع آخر سلاطين الغزنوية وهو السلطان خسرو ملك أسيراً في أيدي الغوريين، وتم إعدامه هو وابنه بهرام شاه سنة ٥٨٧هـ = ١١٩١ م في غرجستان[5]. وبذلك انتهت الدولة التي امتد حكمها نحو قرنين من الزمن .

ويبدو واضحاً أن الحكم أو السيطرة والتسلط على زمام الأمور كان يتم بالتبادل بين حكام الأسر الثلاثة الغزنويين والسلاجقة والغوريين في هذه الفترة من تاريخ أفغانستان .

أصبحت مشاركة اللغات الإقليمية في الحياة الفكرية في البلاد الأفغانية أمراً لم يعد في حاجة إلى مزيد من الحديث والإيضاح، وإقامة البراهين، فقد أصبح المجال

---

(١) فضل أحمد : رهنهاي أفغانستان ٧٦، والدكتور أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ١ : ٣١٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨ : ١٨٨ حوادث عام ٤٩١هـ، والدكتور عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ١٠٨ ـ ١١٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨ : ٢٧٠ حوادث عام ٥٠٨هـ.

(٤) محمد أمان صافي : أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ٤٣٥ .

(٥) خليلي : سلطنت غزنويان ٢٧١، وبروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٧١، وما بعدها.

الفكـري قاسـماً مشـتركـاً بين اللغات الإقليمية واللغة العربية، ابتداء من العصر الساماني، وقد تدرج الأمر حتى بلغ إلى إلغاء اللغة العربية في المكاتبات الرسمية أيام الغـزنـويين بأمر سلطاني استصدره الوزير أبو العباس الإسفراييني لقلة بضاعته في العربية. أما الدولة السلجوقية فقد جاءت إثر الدولة الغزنوية، وقد عرفنا أمر اللغة العربية ومصيرها في أيامها، لم تكن الدولة السلجوقية في حاجة إلى القيام بشيء أكثر من أن تقوم ببناء المدارس والمكتبات في أفغانستان السلجوقية. فقام وزير السلاجقة الشهير نظام الملك ببناء المدارس النظامية في كل من بلخ، وهرات، ونيسابور، ومرو، وغزنه، وألحق بكل مدرسة مكتبة كبيرة تغص بالكتب في كل علم وفن، وكانت في كل جامع من الجوامع (المساجد) الكبيرة مكتبة كبيرة تضم ما يقفه العلماء على طلاب العلم والمعـرفة في المساجد الكبيرة. ومن المكتبات المشهورة خزانة كتب ابن حبان البستي صاحب كتاب الجرح والتعديل المتوفي سنة ٣٥٤هـ = ٩٦٥ م الذي قام ببناء خزانـة كتبـه في نيسـابور، كما قام ببناء مساكن لطلاب العلم الغرباء وأجرى لهم الرواتب الشهرية.

التمازج الأدبي والحضاري في العصر الغوري :

وفي أفغانستان ازدادت قوة زعماء الغوريين شيئاً فشيئاً، وتمكنوا من طرد الغزنويين بعـد صراعات حادة وحروب طويلة كانت تدور رحاها بينهم وبين الغزنويين حيناً وبينهم وبـين السـلاجقـة حيناً آخر حتى تمكنوا من إحكام قبضتهم وطرد كل من الغـزنـويين والسلاجقة من حواليهم، وقاموا بمد نفوذهم وتوسعة إمبراطوريتهم في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب، وظهر فيهم أباطرة عظماء من أمثال السلطان علاء الـدين الحسـين بن الحسن الغـوري مدمـر قلاع الغزنويين في كل من غزنه وبست[1]. والسلطان غياث الدين بن بهاء الدين سام الذي بسط نفوذه في كل من

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩ : ٣٣، وأحمد علي كهزاد: لشكركاه. وجلالي: غزنه وغزنويان، والدكتور أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٢: ٥٩٤ ـ ٦٠٣، والساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ١ : ١٠٠ ـ ١٣١، وتاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ٣٤ ـ ٣٦.

خراسان وسجستان، وحكم أفغانستان لمدة أربعين سنة[1]. والسلطان شهاب الدين محمد الغوري الذي مد نفوذ الإمبراطورية الغورية إلى أعماق الهند، إلى ما وراء الحدود التي وصل إليها الغزنويون قبلهم، وفتح كلاً من الملتان والسند، وبشاور ولاهور، وأجمير ودهلي[2]، وغيرها من الأقاليم والمدن الهندية[3]. وقد وضع بذلك حجر الأساس للدولة الغورية وحضارتها الإسلامية التي استمرت في الهند حتى عام ١٢٧٣هـ = ١٨٥٧ م.

محمد الغوري ذلك المجاهد الذي أصيبت إحدى يديه في المعركة الإسلامية التي خاضها بنفسه في « تراوري » والتي هاجم فيها أميرها العنيد «برتوي» وكان معه في هذه الموقعة التي لم يوفق فيها الشاعر الأفغاني «ملكيار غرشين» فأنشد قصيدته الحماسية الرجزية الشهيرة[4] يشجع فيها همم جند الإسلام من الأفغان الذين كانوا يخوضون مثل هذه المعارك الإسلامية بعيداً عن بلادهم.

واستطاع شهاب الدين محمد الغوري أن يقود عدة حملات إسلامية على الهند بنجاح، وفي سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م أخضع الغزنويين في معاقلهم الأخيرة في لاهور[5]، وعاود الهجمات الإسلامية على الهند حتى دخل شمال الهند كله في طاعة الغوريين، وحكموا تلك الأقاليم قروناً طويلة، بعد أن نشروا فيها الإسلام[6] والحضارة الإسلامية. وشهاب الدين الغوري أول من قام ببناء مسجد في دلهي[7].

(١) كاكا خيل: پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٧، وأحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٢ : ٥٩٥، وخان روشن خان : تذكره ٢٠٢ وما بعدها، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٧٧.

(٢) كاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٩١ - ٣٩٢، وخان روشن خان: تذكرة ١٢٨ وما بعدها.

(٣) پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٩٣، وغوستاف لوبون : حضارة الهند ٢٢٠، وسلطنت غزنويان ٦٨ .

(٤) عبدالحي حبيبى : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤١ - ١٤٤ طبعة ثانية.

(٥) خليلي : سلطنت غزنويان ٢٧١ ، وابن الأثير ٩ : ٢٢، ٢٨، ٣٣ - ٣٦، ٧٠، ٧٤، ٨٢، ١٨٩، ٢١١، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٠ - ٢٨٢.

(٦) پير معظم شاه : تواريخ حافظ رحمت خانى ٣٤٥ - ٣٥٠ الترجمة الأردية.

(٧) پير معظم شاه : تواريخ حافظ رحمت خاني ٤٧٥، تحقيق خان روشن خان، پشتو اكيديمى، جامعة پشاور، الطبعة الثانية ١٩٧٦م.

وإذا كان يوجد في الهند اليوم أكثر من خمسين مليون مسلم يمثلون الحضارة والآداب الإسلامية هناك فإن الفضل في ذلك يرجع إلى الله أولاً ثم للغوريين الذين مهد لهم الغزنويون من قبل. وفي الحقيقة أن السلطان محمد الغوري كان أكثر من ند للسلطان محمود الغزنوي في فتوحاته في الهند وفي توطيد أركان الحضارة الإسلامية فيها .

وقد توفي السلطان شهاب الدين محمد الغوري شهيداً سنة ٦٠٢هـ = ١٢٠٥ م[١] في الوقت الذي استولى فيه خوارزم شاه على إيران، وأخذ يقتحم الطريق عنوة في أفغانستان. وقد تم تقسيم الإمبراطورية الغورية بعد وفاته بين كل من السلطان محمود ابن غياث الدين محمد الغوري في فيروز كوه، وتاج الدين ألدز في غزنه، وقطب الدين أيبك في الممتلكات الغورية في الهند[٢]، وكان الأخيران يظهران الطاعة والولاء للسلطان محمود الغوري في العاصمة المركزية فيروز كوه[٣] .

أدخل الأفغان في العصر الغوري الحضارة الإسلامية إلى الهند، وكان لهم أثرهم البالغ في لغاتها وآدابها، ومعتقداتها، وفي كثير من أنحاء الحياة فيها، ولكن تأثيرهم الديني والأدبي كان أعمق جذوراً، وأكثر بقاء، ودليلنا على ذلك آثارهم الإسلامية والأدبية التي تنطق بذلك صراحة، فقد انتشر الإسلام، واتسع الأفق الفكري والأدبي اتساعاً كبيراً نتيجة لعملية التصفية والانتقاء، وحركة تبادل الثقافات والعلوم والآداب، ولتأثير حركة الترجمة التي بدأت في العصر الغزنوي واستمرت أكثر نشاطاً في العهود الغورية .

وفي هذه الفترة الخطيرة من تاريخ أفغانستان اشتدت الحملات الخوارزمية على الغوريين، واشترك في هذا الصراع المرير عنصر جديد، وهو عنصر المغول الذي تمكن

---

(١) كاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٩٤، وتاريخ فرشته ١ : ٦٠، وابن الأثير ٩ : ٢٧٢، وخان روشن خان: تذكره ٢٢٠ ـ ٢٢٢، ٢٢٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩: ٢٩٤، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٤: ١٧٣، وتاريخ ابن الوردي ٢ : ١٧٦ ـ ١٧٧، وخان روشن خان: تذكره ١٥٢، وابن الأثير ٩: ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٦.

(٣) كاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٤٩٨، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩: ٢٧٢، وأبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني: كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ٢٨٣.

من إسقاط الدولة الغورية والخوارزمية في البلاد الأفغانية معاً، وانتقل الغوريون بثقلهم السياسي والثقافي والأدبي إلى دهلي في الهند، شأنهم في ذلك شأن الغزنويين الذين انتقلوا بدورهم من غزنة في أفغانستان إلى لاهور في الهند نتيجة للضغوط الغورية . وذلك بعد أن وقفت الغزوات والحروب التي قام بها الغزنوية والخوارزمية في طريق تقدمهم، وفقدوا بذلك سلطانهم في أفغانستان ولكنهم نجحوا في تأسيس امبراطوريتهم الأفغانية الإسلامية في الهند، ورثها بعدهم أحفادهم وحلفاؤهم من الموالي قروناً طويلة .

وفي أثناء الحروب والصراعات الدامية التي قام بها المغول ظهر وبرز فرع أو غصن آخر من أغصان الأسرة الغورية، وقد اشتهر هذا الغصن في التاريخ الأفغاني باسم الأسرة الكرتية التي استمر حكمها من سنة **٦٤٣هـ = ١٢٤٥م** إلى سنة **٧٩١هـ = ١٣٨٩م**[١]. وكان حكام وأمراء هذه الأسرة من محبي العلم والأدب والمعرفة، وكانوا هم أنفسهم أدباء وعلماء وفضلاء، وكان بلاطهم في هرات مجمعاً للشعراء والأدباء والعلماء، ومن أشهر علماء عصرهم في البلاغة سعد الدين التفتازاني الذي أهدى كتابه المطول في البلاغة العربية إلى الأمير معز الدين حسين الكرتي[٢].

جنكيز يدمر الحضارة الإسلامية في أفغانستان :

قامت الدولة الخوارزمية باحتلال أفغانستان في أيام السلطان علاء الدين خوارزمشاه، وفي أيامه غزاها جنكيزخان، ونشر فيها الدمار، وقد قاومه الأفغان بشدة، فكان جزاؤهم قتل الألوف والقضاء على آثار الحضارة الإسلامية، وإحراق الكتب، وتدمير المدن الأفغانية التي وقفت في وجه هذا الطوفان، وقاتلت بشجاعة وبسالة، وقتلت عشرات الآلاف من جند جنكيز[٣]. وظهر من جبال الغور الأمير

---

(١) فضل أحمد : رهنهاي أفغانستان ٨٤ ـ ٨٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩: ٢٧٦، وكاكا خيل: پختانه د تاريخ په رنا كى ٤١١، وخليل الله خليلي : هرات ٣٤ .

(٢) عبدالحي حبيبي : تاريخ مختصر أفغانستان ٢ : ١٤، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٤١١ ـ ٤١٦ .

(٣) فاروق حامد بدر : تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى عصرنا الحاضر ٣٢ ـ ٣٣، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٨٦.

محمد الغرشستاني سليل الملوك الغوريين، وضرب أروع الأمثلة في البطولة والمقاومة، واستشهد في ميدان المعركة[1]. . فقد دمر المغول كلاً من هرات وسجستان وبلخ وكندهار وهلمند وغزنه وفيروز كوه. وغرشستان، وسهول كرم سير وغيرها، وقضوا بذلك على كل المراكز الحضارية. وأحرقوا المكتبات، فكان ذلك ضربة قاتلة أصابت حضارة أفغانستان وثقافتها الإسلامية. ومن أفغانستان شن المغول غاراتهم على الهند[2]، بعد أن قاموا بإدماج أكثر الأقاليم الأفغانية في إمبراطوريتهم.

تيمور يقضي على الكرت والمغول :

وإلى أفغانستان جاء تيمور لنك غازياً، فقضى على الكرت والمغول، واستولى على هرات وكابل وكندهار، وأثناء هجومه المدمر أصيبت الحضارة الإسلامية في كل من سجستان وهلمند ومناطق جبال سليمان وكابل بتخريب مروع، وقد هاجم تيمور وهو في طريقه إلى الهند كافرية «توربوش» في لغمان، وبعض القبائل الأفغانية الأخرى حتى عبر نهر «أباسين»، وبعد موته سنة ٨٠٧هـ = ١٤٠٤م تنازع على حكم الأفغان كل من حفيده پير محمد، وشاه خليل، وشاه رخ الذي تغلب على الأخير الذي قتل الأول، وأصبح حاكماً بعد إقصاء خليل الذي كان قد استحوذ على العرش، واستمر حكمه نحو أربعين عاماً. . . وبعد فترة حكم أبي سعيد تمكن حسين بايقرا ـ من مقره في هرات ـ من إخضاع خراسان وسجستان، وبلغت هرات في عهده أوج شهرتها العلمية والأدبية، وأصبحت منارة للعلم والشعر والفن، وقد حكم حسين بايقرا سبعاً وثلاثين سنة[3].

(١) محمد علي البار: أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ١٦٩، لونكويرث ديمز وجب: أفغانستان ١٠٤، الترجمة العربية.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤: مادة أفغانستان.

(٣) كاكا خيل: پختانه د تاريخ په رنا كى ٤١٥، ودائرة المعارف الإسلامية ٤: مادة أفغانستان، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٤٢٣، والساداتي: أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة ١٧.

ثم توزعت البلاد الأفغانية بين الأمراء وحكام الطوائف، وظهرت إمارات شبه مستقلة، وبيوت شبه حاكمة في كثير من أنحاء أفغانستان وفي أثناء ذلك مد المغول أيديهم إلى أفغانستان وبسط بابر نفوذه على كابل[1].

الصراع بين المغول والصفويين للاستيلاء على أفغانستان :

وفي أثناء ذلك استطاع ظهير الدين بابر أن يسيطر على كابل، وأن يغير على كندهار لاخضاعها لحكمه، وأن يبدأ في إعداد حملة لغزو الهند، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب الصراعات الداخلية وتهديدات الدولة الصفوية، فعمل على إخماد الفتن التي نشأت بين القبائل الأفغانية وجنود المغول، وعمل على ضرب القبائل اليوسفزية بقسوة ووحشية[2]، وبذل كثيراً من المحاولات لدخول كندهار، حتى دخلها سنة ٩٢٨هـ = ١٥٢١م، وقضى بوحشية على مملكة الأفغان اللودية في الهند، ثم قُسِّمت أفغانستان فكانت هرات وسجستان مع فارس، وبقيت كابل والأقاليم الشرقية تحت سيطرة المغول، في حين كانت كندهار تارة في يد المغول وتارة أخرى في يد الفرس، وفي أيام همايون اتحدت كابل وكندهار والبنجاب تحت تسلط أخيه كامران. وفي سنة ٩٤١هـ = ١٥٣٤م حاول الحاكم الصفوي سام ميرزا ـ والي هرات ـ الاستيلاء على كندهار، ولكن كامران تمكن من رفع الحصار عنها، ومن استرداد هرات، وفي هذه الأثناء فقد همايون عرشه في الهند على يد شيرشاه السوري (الغوري) والتجأ إلى فارس. واستطاع بمساعدة الفرس العودة إلى الحكم واسترداد كندهار من أخيه كامران، وسلمها للفرس وفقاً لاتفاق سابق، ولكنه استردها ثانية خوفاً من إثارة سخط أتباعه، واستولى على كابل. وانتصر همايون على إخوته سنة ٩٦١هـ = ١٥٥٣م. واستعاد مملكته وضم إليها كندهار مؤقتاً، ثم مات سنة ٩٦٣هـ = ١٥٥٥م، وتولى الحكم بعده أكبر الذي وجه جهوده لحروبه في الهند، وبقيت كندهار يتنازعها الفرس

---

(١) ميرغلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ٢٩٣ وما بعدها، وكاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٤١٦، ودائرة المعارف الإسلامية ٤ : مادة أفغانستان، والساداتي: أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة ١٨.

(٢) خان روشن خان: يوسف زئي كى سرگزشت ٩٩ ـ ١٣١، ومير غلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ٢٩٤، ودائرة المعارف الإسلامية ٤ : مادة أفغانستان.

والمغول حتى استولى عليها عباس الثاني سنة ١٠٥٨هـ = ١٦٤٨م[1]. وقد حررها الأبداليون فيما بعد .

ومد الصفيون نفوذهم إلى أفغانستان التي كانت مجزأة بين حكام من الأفغان والمغول والأزابكة والشيبانيين، ففي سنة ٩١٦هـ = ١٥١٠م غزا إسماعيل الصفوي خراسان وهزم شيباني، وانتقلت هرات إلى حوزته، وأرغمها على قبول المذهب الشيعي ، فظلت هرات وسجستان مع فارس، واقتصر سلطان المغول شيئاً فشيئاً عن جنوب هندوكش، واستطاع سليمان ميرزا أن يقيم في بدخشان ما يشبه الأسرة الحاكمة[2]، وظلت بقية الأقاليم الأفغانية موزعة بين الأمراء الأفغان والشيبانية .

وكان الأفغان اللوديون قد أسسوا لهم دولة إسلامية في الهند وقد تعرضت لهجوم بابر أيام استيلائه على كابل[3]، كما كانت للأفغان السور الغوريين دولة إسلامية في الهند بقيادة شير شاه السوري الذي هزم الملك همايون، وقد عاود همايون غزو الهند، وانتهى ذلك بانتصاره على ملوك السور الأفغان. . .

وكانت الحكومات المحلية وحكام المغول والصفويون والشيبانيون يحكمون أفغانستان بالاسم، وكانت القبائل الأفغانية تزداد نفوذاً وتنظيماً، وبرزت من بينها الأبدالية والغلزية واليوسفزية، في كل من كندهار، وزميندوار، وترنك وأرغنداب، وسهول بشاور وسوات، وصمد الأفغان لطرد المغول والصفويين والشيبانيين، وألحقت القبائل اليوسفزية في كل من سوات وباجور في سنة ٩٩٤هـ = ١٥٨٥م هزائم منكرة بجيوش الإمبراطور أكبر المغولي[4] .

---

(١) ميرغلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ٢٩٧ ، وكاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٧٥١ وما بعدها.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤ : مادة أفغانستان ـ الترجمة العربية.

(٣) ميرغلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ٢٩٤ ، وكاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٤٥٨ وما بعدها.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤ : مادة أفغانستان، وكاكا خيل : بختانه د تاريخ به رنا كى ٦٩٦ وما بعدها، وسر أولف كيرو : پتهان ٢٩٨ وما بعدها، الترجمة الأردية، وخان روشن خان : تذكره ٣٠٤ وما بعدها. والبار : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ١٩١.

الفصل الثالث

إعادة الحياة إلى اللغات الأفغانية.

استقـر العـرب في مختلف الأقـاليم الأفغـانية، وبـاستقـرارهم نشأت عمليتان أسـاسيتـان، إحـداهمـا عملية المـازجـة والمخـالطة والتفاعل بين الأفغان والعرب وعقـائدهم، والثانية عملية الصراع بين اللغة العربية وآدابها وبين مجموعة اللغات الأفغـانية وآدابهـا. فتمكنت العقيدة الإسـلامية من القضاء على العقائد الأفغانية الباطلة إلى الأبد، وتمكنت اللغة العربية من الانتصار المؤقت على اللغات الأفغانية، وتمكن الخط العربي من التغلب على الخطوط الأفغانية البائدة. كما استطاع الأدب العربي أن ينافس الآداب الأفغانية .

انتقلت اللغة العربية من موطنها الأصلي إلى أفغانستان ، فكان لها تأثيرها الواضح على اللغات الأفغانية، حيث قضت بقوتها الذاتية والدينية والسياسية على كل اللغات الأفغانية مؤقتاً، كما قضت بحروفها الهجائية على الهجائيات الأفغانية إلى الأبد، كما كان لها تأثيرها في الأساليب الأدبية الحياة الثقافية، والتراكيب النحوية، وفي كل فنون القول. وحلت اللغة العربية محل اللغات الأفغانية، وأصبحت لغة الأدب والعلم والمعرفة، ولغة الحياة الدينية العلمية.

وكانت لغة رسمية للدين والدولة، بعد أن خرجت منتصرة من المعارك اللغوية والأدبية التي دارت بينها وبين غيرها من اللغات الإقليمية في البلاد الأفغانية، لما لها من الهيبة الدينية، والتفوق اللغوي، والوقار الاجتماعي، والقوة الروحية والسياسية .

أخذت أفغانستان الخراسانية تستشعر منذ القرن الثالث ميولاً ونزعات قومية قوية، كان من آثـارها في أوائل هذا العصر أن نشأت وتقابلت دويلات وإمارات أفغانية انفصـالية كثـيرة على الأراضي الأفغـانية، فكـان الـطاهـريون في نيسـابور، وكان الصفاريون في سيستان، وكان السامانيون في آسيا الوسطى، والغزنويون في غزنه، والغوريون في بلاد الغور الجبلية. وكانت إمارة السامانيين أبعد الإمارات عن بغداد

حاضرة اللغة العربية وآدابها، وقد هيأ لها ذلك أن تعمل على إحياء اللغات الوطنية الأدبية. وقد استمرت عملية إعادة الحياة إلى اللغات الأفغانية في العصور والدول التي تلت الدولة السامانية وتعاقبت على الأرض الأفغانية، ولم يكد ينتهي القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) حتى أخذت اللغات الأفغانية الحديثة تنمو شيئاً فشيئاً مستلهمة طريقها من الإحياء السابق الذي وضع أساسه أيام أبي مسلم الخراساني وتم تحريكه أيام الطاهريين، وقام الصفاريون ببعثه، وشيد عليه السامانيون قصور الآداب الإقليمية في اللغات المحلية، ثم أعقبهم في ذلك الغزنويون والغوريون والسلاجقة. وحينئذ بدأت اللغة العربية وآدابها تتراجع، وأخذ ظلها يتقلص تدريجياً، وشيئاً فشيئاً، حتى عاد الأدب العربي إلى بغداد، بعد أن حلت محله الآداب الإقليمية في ثوبها الإسلامي، واحتفظت اللغات الأفغانية بالهجائية العربية مضيفة إليها بعض الأصوات الخاصة بتلك اللغات. وهكذا زاحمت اللغات الأفغانية اللغة العربية، وأخذ الأفغان والفرس يحيون آدابهم القديمة، ويكتبونها بلغاتهم القومية، مستخدمين الحروف العربية.

وقد نشأت اللغات الأفغانية التي قام الأفغان بإحيائها في القرن الثالث الهجري في حماية اللغة العربية، وفي ظلها، وتحت رعايتها، ورعاية آدابها، حيث تم إحياؤها بالأسلوب العربي، وكتبت بالحروف والهجائية العربية، وطعمت بالمفردات والمصطلحات والأوزان العربية، واستظلت بظلال فنون القول العربي، وهذه الأصوات والحروف الهجائية العربية التي تكتب بها اللغات الأفغانية تعطينا صورة واضحة، وبرهاناً قاطعاً، ودليلاً عملياً على أن اللغات الأفغانية قد نشأت في حياتها الثانية تحت رعاية اللغة العربية، بعد أن كانت كأجل محتوم قضى على الحياة اللغوية والأدبية في بلاد الأفغان.

حروف الكتابة في البلاد الأفغانية:

استعملت في أفغانستان قبل الإسلام أربعة أنواع من الخطوط أو الحروف، وهي الخطوط الإغريقية، والخروشتية، والبهلوية، والسنسكرتية، ويبدو أن اللغات الأفغانية قد استخدمت هذا الأنواع الأربعة من الخطوط في عهود مختلفة من تاريخها

الأدبي، وعلى درجات من التفاوت بين الأوضاع الثقافية واللغوية من عصر إلى عصر، ثم من إقليم إلى إقليم نظراً لتعدد اللغات واللهجات والأقاليم، وكان لهذه التعددية الإقليمية واللغوية والزمنية أثرها المؤثر في الأوضاع الأدبية بعامة وفي تعدد الخطوط وحروفها الكتابية واستخدامها في أفغانستان بخاصة، والدليل على ذلك نقش بغلان، وهو مكتوب بلغة أفغانية محلية بخط إغريقي، ونقش وردك، وقد كتب بلغة أفغانية محلية بخط خروشتي، ونقش وزيرستان الذي يحمل لغتين إحداهما عربية بخط كوفي والأخرى سنسكرتية، وكان الخط البهلوي يستعمل في الأقاليم الغربية من أفغانستان القديمة. هذا بالإضافة إلى الخط الكوشاني أو البرهمي، وقبل ذلك الخط الباختري في شمال أفغانستان.

الخط الخروشتي الذي لقي مصرعه في صراعه مع الخط العربي منسوب على الأرجح إلى قبيلة «الخروط» الأفغانية الشهيرة. وفي معناه اللغوي اختلاف بين علماء الدراسات الأدبية الأفغانية. وهو مأخوذ من الخط الآرامي كغيره من خطوط المنطقة. ومنشأه أفغانستان حيث نشأ فيها، واستكمل مراحل تطوره بالتدريج حتى وصل في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد إلى درجة الكمال. والخط الخروشتي الذي صرعه الخط العربي يكتب من اليمين إلى الشمال كالخط الآرامي والعربي، وكان يروج في الجناح الجنوبي من جبال هندوكش، أو بعبارة أخرى في كندهار، ومن هناك انتشر، وسيطر على جميع أنحاء آريانا الأفغانية، وعلى بعض المناطق الهندية والتركستان الشرقية.

نحن نعلم أن الخط العربي قد حل محل الخطوط الأفغانية كاللغة العربية التي حلت محل اللغات الأفغانية بعد دخول الإسلام في أفغانستان كما هو مبين في كتب تاريخ الآداب. وأما بالنسبة للحديث عن الخطوط الأفغانية في عصورها الجاهلية فإنه يجب علينا أن نعترف أن كل دراسة لهذا الموضوع ستبقى دراسة مبتورة ما دامت أودية أفغانستان تضن علينا بالكنوز التي ترقد في بطنها.

والخط الأفغاني (البشتوني) يتكون الآن من أربعين حرفاً صائتاً وصامتاً، ويكتب من اليمين إلى الشمال، وقد أضيفت إلى بعض الحروف العربية علامات تلائم نطق

الحروف والحركات في اللغة الأفغانية . وهذا بعض مما عقد كتابة الأفغانية (البشتونية) وصعب تعلمها قدراً ما .

ومما لا شك فيه أن الخط العربي قد ساعد على انتشار الأفغانية، وسهل أمر تعلمها، وتعميمها، وتقريبها إلى اللغة العربية التي هي بمثابة أمها المرضعة، بعد أن كانت بعيدة عنها بحروفها القديمة البائدة. ولعل أول ما ألف بالأفغانية هو الكتب الدينية لتعلم الأصول، وأحكام الشريعة الإسلامية، وتفسير القرآن الكريم .

كانت اللغة الأفغانية تكتب في الغالب بالخط الخروشتي، أو بأي خط آخر من الخطوط الكثيرة التي كانت رائجة في البلاد الأفغانية ولما جاء الإسلام، وتم فتح البلاد الأفغانية، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية والأدبية والعلمية، شأنها في ذلك شأن البلاد والأمصار الإسلامية الأخرى، وأهمل استعمال اللغات الأفغانية، وسقط خطها القديم من التداول والاستعمال، وبعد مرور قرنين من الزمان بدأت المحاولات لإحياء اللغات الأفغانية المندثرة، وعندما أثمرت المحاولات الأنفصالية القومية، استبدل الخط الأفغاني القديم بالخط العربي الجديد .

وبالنسبة إلى الحروف والأصوات الأفغانية التي لا يوجد لها نظير أو مثيل في الخط والنطق العربي، فإن الأفغان قد استحدثوا لها حروفاً تعتمد على الأصل العربي مع إضافة بعض النقط أو الحلقات أو الشرط إلى بعض الحروف العربية، وذلك لنطق حروف هجائية أو أصوات أفغانية ليس لها ما يقابلها في أصوات الحروف العربية وقد أصبح بفضل جماعة من رجال العلم والأدب في أفغانستان من أكمل الخطوط الأفغانية وأتمها. ومما لا شك فيه أن كتابة اللغة الأفغانية بالحروف العربية تمثل سهولة كبيرة للناطقين باللغة العربية، حيث أنهم لا يبذلون مجهوداً كبيراً ووقتاً طويلاً في حفظ هذه الحروف كالمجهود الذي يبذلونه في تعلم اللغات الأوربية .

كان الخط المستخدم في كتابة اللغة الأفغانية مأخوذاً من الخط الآرامي، فتم استبداله بالخط العربي، وهذه اللغة تكتب حتى اليوم بالحروف والأصوات العربية، وقد بدأ استعمالها وتداولها في أفغانستان منذ أوائل القرن الثالث الهجري عندما بدأ

الأفغـان في إعـادة الحياة إلى لغاتهم وآدابهم وتاريخهم وكيانهم المستقل، ووجودهـم المنفصل عن الدولة العباسية في بغداد .

لم تعد الخطوط الأفغانية القديمة البائدة صالحة لكتابة اللغات الأفغانية الإسلامية بعد أن اعتنق الأفغان الدين الإسلامي الخالد، ونفروا منها بشدة لارتباطها بالعصور الجـاهلية في أفغانستان بالإضافة إلى عدم ذيوعها بين الطبقات العامة من الشعب وصعـوبـة تعلمها لصعوبة أشكالها وتعقدها الشديد، بينما أمامهم الآن خط عربي بحروفه العربية المستساغة الميسرة التي يكتب بها أقدس وأصدق كتاب كريم آمنوا به ويقدسونه، من هنا أقبلوا على الخط العربي وحرصوا عليه حرصهم على القرآن الكريم .

حروف الهجاء الأفغانية

حـروف الهـجـاء في اللـغـة الأفـغـانية على النـحـو التـالـي:

ا	ب	پ	ت	ټ	ث	ج	چ
ځ	څ	ح	خ	د	ډ	ذ	ر
ړ	ز	ژ	ږ	س	ش	ښ	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
ګ	ل	م	ن	ڼ	و	ه	ى

ويلاحظ أنها تشتمل على ١٢ حرفا لا توجد في الهجائية العربية..هي:

پ: البـاء ذات النـقـط الثلاث من أسفلها. وتشبه في النطق **P**. وتنـطـق بالأفغـانيـة **پي**

ټ: التـاء الـموصولـة بدائـرة من أسفلـها. وتشبـه في النطـق **T**. وتنـطـق بالأفغـانيـة **ټي**

چ: الجيم ذات النقط الثلاث من أسفلها. وخصص لها الأفغـان **Č**. وتنـطـق بالأفغـانيـة **چي**

ځ: الحاء التي تكتـب الهمـزة فوقهـا. وخصص لها الأفغـان **Ĵ**. وتنـطـق بالأفغـانيـة **زي** **(ځي)**

څ: الحاء ذات النقط الثلاث فوقها. وخصص لهـا الأفغـان **C**. وتنـطـق بالأفغـانيـة **څي**

(١) پشتو - پشتو قاموس ١ : ٧ - ٨ ، وانتشار الخط العربي ٦٩ - ٧١.

ډ: الدال الموصولة بدائرة من أسفلها. وتشبه في النطق D. وتنطق بالأفغانية دال

ړ: الراء الموصولة بدائرة من أسفلها. وخصص لها الأفغان Ŗ. وتنطق بالأفغانية ړي

ژ: الراء ذات النقط الثلاث فوقها. وخصص لها الأفغان Ž. وتنطق بالأفغانية جي

ږ: الراء ذات ا لنقطتين من فوقها وتحتها. وخصص لها الأفغان Ẓ. وتنطق بالأفغانية جي

ښ: السين ذات النقطتين من فوقها وتحتها. وخصص لها الأفغان Ş. وتنطق بالأفغانية شي (خي)

ګ: الكاف الموصولة بحلقة تحتها أو الشرطتين فوقها وتشبه في النطق G. وتنطق بالأفغانية ګاف (كاف)

ڼ: النون الموصولة بدائرة من تحتها. وخصص لها الأفغان Ņ. وتنطق بالأفغانية ڼي

وتشترك كل من السنسكرية والدرية مع الأفغانية في عدد من هذه الحروف الهجائية.

اللغات الأفغانية تعود إلى الحياة تحت رعاية اللغة العربية :

شاءت إرادة الله أن يكون النصر المبين من نصيب المسلمين في معركة «جلولاء» وأن تصبح البلاد الأفغانية جزءاً من الخلافة الإسلامية . . وأن تنهار اللغات الأفغانية وآدابها على إثر الفتح والنصر الإسلامي، وأن تحل محلها اللغة العربية التي أنزل الله بها كتابه الكريم على رسوله الأمين، وأن يدخل الأفغان في دين الله أفواجا، على فترات متقطعة متعاقبة، وأن يأخذوا طريقهم إلى تعلم اللغة العربية، والتكلم بها بروح مؤمنة صادقة، وأن تأخذ اللغة العربية طريقها إلى الانتشار في البلاد الأفغانية شيئاً فشيئاً، وأن تنحصر اللغات الأفغانية في لهجات التكلم العام، ولكنها تظل لغة الأغاني الشعبية، وأن تظل حية في صدور الناس لا في الدواوين الحكومية .

والأمة الأفغانية أمة عريقة في تاريخها العريق، مجيدة بأعمالها المجيدة، ضربت بسهم وافر في الحضارة، وقد ارتبطت على إثر الفتوحات الإسلامية بالروابط الوثيقة، والصلات القوية بالأمة العربية، فكانت عملية التأثير والتأثر في أنماط من الحياة، وفي أنماط من فنون القول والأدب . . شعره ونثره .

دخلت الأمة الأفغانية في الإسلام بعد الفتح الإسلامي لأفغانستان، وقد زالت بذلك كافة الحواجز والسدود بين الأفغان والعرب، وأصبحت الأخوة الإسلامية هي

الصلة الرابطة بين الشعوب الأفغانية والعربية، وأقبل الأفغان على تعلم أمور الدين الإسلامي واللغة العربية، فتكلموا بها، وبرعوا فيها، وقاموا بنشرها، ودونوا مؤلفاتهم بها دون غيرها من اللغات واللهجات، وصارت اللغة العربية لغة العلم والمعرفة والأدب الراقي .

نعم، تسارع الأفغان إلى إتقان اللغة العربية في المراحل الأولى من انتشار الإسلام، ثم بدأوا الكتابة والتأليف باللغة العربية حيث كانت العربية هي لغة الأدب والعلم والثقافة. وفي مراحل الانفصال الخطير بدأوا يكتبون ويؤلفون باللغات الأفغانية مكتوبة بالخط العربي، كما سيأتي تفصيل ذلك بعد قليل، وقد اضطرهم الإسلام إلى استعمال كثير من الكلمات والمفردات والمصطلحات الإسلامية كما وردت في اللغة العربية .

وقصة الانفصال، وإعادة الحياة والنشاط إلى اللغات الأفغانية تبدأ بوضوح من القرن الثالث الهجري حيث تمكن الأفغان والفرس من إنشاء دويلات انفصالية مستقلة، كما استطاعوا إحياء لغاتهم القومية في تلك الدويلات أو الدول، فرأينا في أفغانستان اللغتين الأفغانية والدرية تصيران لغتي حديث وكتابة، ورأينا في إيران اللغة الفارسية تتحول إلى لغة حديث وكتابة، ولكن هذه اللغات لم تكن لغات أيام الجاهلية الأولى، بل أصبحت لغات إسلامية مكتوبة بالخط العربي، ومطعمة بكثير من العناصر العربية. . . من الألفاظ والمصطلحات والعبارات والقوالب، والأوزان والقوافي. وهكذا ظهرت اللغات بآدابها القومية، والحضارات بثقافاتها الإقليمية في أفغانستان في رعاية اللغة العربية، وفي ظل الإسلام تعانقت اللغتان الأفغانية والعربية اللتان تنتميان إلى فصيلتين منفصلتين من فصائل اللغات الآرية والسامية.

فاللغة الأفغانية لغة آرية قديمة تنتمي إلى مجموعة «اللغات الأفغانية الأوربية»، أما اللغة العربية فهي لغة سامية، ومعنى ذلك أنه ليس بين الأفغانية والعربية أي نوع من القرابة والتشابه من حيث الأصول والجذور والاشتقاق، ومع ذلك فقد وصلهما الإسلام، والتاريخ، وقربت بينهما الحضارة والثقافة الإسلامية، فكان بينهما من الصلات الوثيقة، والأواصر القوية، والروابط المتينة ما يقل مثيله حتى بين اللغات

التي يجمعها أصل، ويقربها نسب، وتربط بينها جذور لغوية مشتركة، وقد أعيدت الحياة إلى الأفغانية بقوة، ونشأت مندفعة من هذه الصلات والعلاقات الثقافية الجذرية .

ففي ظل هذه الصـلات وسلطان اللغـة العربية، وفي حضانة الإسلام الحانية نشأت اللغة الأفغانية نشأتها الثانية، وفي ظل سلطان العربية وحضانة الإسلام نشأ الأدب الأفغاني الإسلامي، فتم التشابه بين الأدبين الأفغاني المتأثر، والعربي المؤثر، فاللغـة الأفغـانية وآدابها دوحة عظيمة باسقة جذورها عربية، وجذوعها إسلامية، وأغصانها تلك الفنون الأدبية الأفغانية التي استمدت كل حياتها، وكل مائها ورونقها من الجذور والجذوع، فكانت الفروع بأغصانها، والأفانين بأنواعها. . ومن هنا نرى الإنتاج الفكري في أفغانستان وثيق الصلات بالفكر العربي، إذ أن الصلات الوثيقة بين اللغتين والأدبين تفوق كل أنواع الصلات والعلاقات بين اللغة العربية وأية لغة أخـرى في العـالم. وليس من الصعب ـ والبحث في الأدب واللغـة ـ كشف مدى التسرب اللغوي بين مجموعة اللغات الأفغانية واللغة العربية، وتأثير كل منهما في الأخرى . .

إن اللغـة الأفغانية وآدابها نشأت ـ كما قلنا ـ في حضانة اللغة العربية، وتغذت بلبنها، وترعرعت في ظلال رعايتها، وعنايتها الحانية، فاعتمدت، كما اعتمدت غيرها من اللغات الإقليمية في أفغانستان ـ على اللغة العربية في عناصرها الأدبية، وأساليبها القولية التي وحدت بين الأحاسيس في اللغتين، ونحن حينما نقرأ في مجموعة اللغات الأفغانية واللغة العربية نشعر في أعماق وجداننا بأن روحاً واحدة تجمع بينهما، وتوحد بين ما فيهـا من العـواطف والأحـاسيس والمشـاعر بحيث لا يكاد يوجد مثيل لهذا التجاوب والتجانس اللذين نجدهما بين هذه اللغات في مجال التأثير والتأثر في كل أنواع القول وفنونه .

وكان للغة العربية شأنها الكبير في إرساء قواعد الإملاء والكتابة الأفغانية، وفي تثبيت قواعدها النحوية والصرفية، وفنونها البلاغية عن طريق الاستعانة بمجموعة من الكتاب والشعراء الأفغان من أصحاب اللسانين أو الألسن، الذين قاموا بترجمة

آثار عربية إلى اللغة الأفغانية، كما مرت الإشارة إليه، وكتاب «دسالو وجمه» ومعناه نسيم الصحراء لأبي محمد هاشم البستي تلميذ الشاعر العربي ابن الخلاد، الذي كان يجيد إنشاد الشعر بالأفغانية والدرية والعربية، قد تناول فنون الشعر العربي، وعلوم البلاغة العربية، وقام بترجمة ذلك إلى الأفغانية .

وبظهور هذا النوع من التراجم الأدبية أخذت اللغة الأفغانية تعتمد على اتباع التراكيب والأساليب العربية في خلق الجمل وتركيب العبارات، وصياغة الكلام، وبذلك بدأ الأدب الأفغاني، نثره وشعره، يتطور متأثراً بالأدب العربي نثره وشعره، حيث إن المراحل التي مر بها الأدب الأفغاني بشعره ونثره تشابه تماماً المراحل التي مر بها الأدب العربي بشعره ونثره بعد ظهور الإسلام .

ولم يطرأ على أصول إملاء اللغة الأفغانية وكتابتها بالحروف العربية أي تغيير يذكر خلال هذه المدة الطويلة من الزمان، بعد أن رضعت من لبن اللغة العربية، إلا تغييراً خفيفاً يلاحظ في أمثلة قليلة للإملاء القديم لبعض الكلمات المهجورة ومن هنا نستطيع فهم أقدم النصوص الأفغانية التي وصلت إلينا، وبقيت في أيدينا دون إحساس بصعوبة غير عادية، أو بغرابة شديدة، أو بعد عن الأساليب الأفغانية الحالية، والفضل في ذلك يرجع إلى اللغة العربية والخط العربي .

ولم ترق اللغة ، بل اللغات الأفغانية في المراحل الأولى من حياتها الثانية إلى مراتب اللغات الأدبية نظراً لعدم إقبال الحكام والأمراء عليها، حتى إذا جاء القرن الثالث الهجري، وتصدى للحكم أسر أفغانية، أصبحت اللغة الأفغانية لغة الشعراء والكتاب وبدأت تنتج إنتاجاً خصباً في جميع الميادين الأدبية والعلمية، فإذا تدرجنا مع الذوق الأدبي في الأدب الأفغاني، فإننا نجد أن الأشعار الأولى التي نظمت أيام الغوريين مثلاً كانت بسيطة بليغة خالية من الصناعة البديعية التي وجدت وانتشرت بعد ذلك على نطاق واسع في كل فنون القول الشعرية، والأشعار الأولى أدنى وأقرب إلى سلامة الأداء، وتصوير الموضوع، وأقرب إلى الطبع والواقعية، والتعبير الفطري .

وقد بدأ التفكير العكر عند بعض المتغربين، والمتروسين، والشيوعيين الأفغان في كتابة اللغة الأفغانية بالحروف اللاتينية أو الروسية محاولة منهم لإبعاد هذه اللغة

الإسلامية عن اللغة العربية التي تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية، وإلحاقها باللغات الأوربية التي تنتمي ـ كاللغة الأفغانية ـ إلى مجموعة اللغات الآرية، وتشترك معها في كثير من الملامح الأدبية، والأصول النحوية، والجذور اللغوية، وفي الأساس والأصل العرقي المشترك، وذلك على أساس ما قام به الزعيم التركي أتاتورك حين استبدل الخط العربي بالخط اللاتيني في كتابة اللغة التركية. ولكن هذه المحاولات الانفصالية الحاقدة قد باءت بالفشل، ولم تجد في تغيير الخط العربي الذي تكتب به اللغة، بل اللغات الأفغانية المعاصرة.

نشأة الأدب الإسلامي :

نشأ الأدب الإسلامي أول ما نشأ في منازل الأفغان في البيئة التي شهدت تراجع اللغة العربية وآدابها، وقبل ذلك بقرنين أو أكثر شهدت تراجع اللغات الأفغانية وآدابها وكان لا بد من أن نربط بين تراجع اللغة العربية وآدابها، وبين نشأة الأدب الأفغاني والعمل الإسلامي في أفغانستان ليكون الحديث أكثر تمشياً مع المنهج الأدبي في دراسة تاريخ الأدب والانطلاق من ذلك إلى البعد الأدبي الإسلامي في الديار الأفغانية، وعلى الرغم من حدوث اضطرابات في القيم السياسية والمفاهيم اللغوية من مصرع العربية، ومقتل أدبها العربي إلا أن النغمة الإسلامية لم تخفت أبداً، كان هناك في تلك البيئة المضطربة دائماً أدباء إسلاميون أوفياء يحرسون التوجه الإسلامي الأصيل عبر الفنون والآداب. وما قمنا بهذا الربط وتلك النشأة إلا لأننا نعلم عن يقين أن الدراسة العلمية السليمة لأي مادة من المواد مهما كان نوعها ينبغي أن تتمشى مع طبيعة هذه المادة مع مراعاة ظروفها الزمنية والمكانية والتطورات الطارئة. ولن تكون دراسة ما سليمة من جميع الوجوه إلا إذا كانت هذه الدراسة تساير طبيعة البحث المدروس..

خلال عمليات الانفصال السياسي والتفكك الإقليمي تمكن الإسلام من أعماق القلوب حيث حببت الدويلات الإسلام إلى هؤلاء الأفغان عن فهم وإدراك يثيران الاقتداء ويغريان بالاتباع، وذلك بناء على مسؤوليتها الإسلامية الغالبة على الفكر الانفصالي والتفكك الإقليمي. وإذا كانت بعض الدويلات الانفصالية قد بدأت

بعضاً من العداوة وشيئاً من الكراهية مع الخلافة العباسية في بغداد، فإن هذه الدول، لم تنكر للإسلام فضله العظيم، وقدره الكبير عليها وعلى الإنسانية جمعاء، ومعنى ذلك أن الخلاف بين الطرفين كان سياسياً محضاً، ولم يكن دينياً، ولم يصل إلى كراهية الفكر والأدب، وإلى العمل في ميادين الفكر الإسلامي، وفي مواقعه الأدبية. وقد بذلت كل الإمكـانات الروحية والذهنية والمادية لنشر الوعي الإسلامي والتحصين الثقافي في إطاره الإسلامي.

وكان الفكر الإسلامي قاسماً مشتركاً بين هذه البلاد الإسلامية، وشعوبها، وهو أحد أسباب الوحدة الفكرية والأدبية بين الشعوب الإسلامية. فقد نهض المفكرون بالآداب الإسلامية، وتركوا في ذلك آثاراً إسلامية طيبة خالدة، وعلى أيديهم بدأت عملية الامتـزاج الفكـري في كل المجـالات الأدبية، فارتقى الأدب الإسـلامي بالتـدريج، وتقـدم، واستمرت عملية التقدم والتطور هذه حتى وصل الأدب إلى مدارج الارتقاء، والنضج الأدبي والعقلي في إطار التوجه الإسلامي.

وبالإضافة إلى كل ذلك فإن أكثر الدول الإقليمية في أفغانستان قد قامت أصلاً على أسس الفكر الإسلامي، وأصوله الثقافية، وجذوره الحضارية، وقد وصلت دعوة الفكـر الإسـلامي إلى الخـارج على أيدي تلك الـدول التي تمخضت عن التمـزق الإقليمي، حاملة الأفكـار والآداب الإسـلامية، مما جعل الحركة الفكرية والأدبية الإسلامية تنشط وتزدهر وتتقدم، وتتطور في الداخل والخارج حتى أصبحت وجهاً من وجـوه الـوقار الإسلامي ومبدأ من المبادىء الأدبية، ومسلكاً ضرورياً من المسالك الاجتماعية في أفغانستان وغيرها، الأمر الذي منحها قدراً كبيراً من التوحد، والتناغم، كما منحها قدراً أكبر من التناسب، والتناظر، والأصالة، ورفع من مستويات الحزن والتعاسة، ومن مظاهر القهر والألم والتمزق.

الباب الثاني

الأدب الأفغاني في موكب الحضارة الإسلامية

الفصل الأول

طلائع الشعر الأفغاني.

إن الآثار الأدبية باللغة الأفغانية المنسوبة إلى العهد الذي ظهر فيه الإسلام في ديار الأفغان ومنازلهم الشاسعة شحيحة نادرة، بل هي في حكم المعدومة، حيث إنها لا تزيد على بيت أو بيتين من الشعر، أو قطعة أو قطعتين من النثر في لوحات أثرية مخطوطة مندثرة. وأقدم قصيدة شعرية ناضجة تماماً، يبلغ تاريخها في القدم إلى قبيل العصر العباسي.. إلى الأيام التي كان أبو مسلم يسعى فيها لإقامة الخلافة العباسية على أنقاض الخلافة الأموية. وليس معنى هذا أن الأفغان لم يكن لهم شعر قبل الإسلام، لأن الأفغان شعب عريق، وطبيعي أن يكون لهم شعر ونثر، وفنون أخرى من الحضارة، ولكن شعرهم وكذلك نثرهم قد ضاع واختفى بعد الإسلام وذلك لأسباب عديدة منها:

١ ـ غلبة الصبغة الإسلامية على الأفغانيين بعد الفتح الإسلامي الذي كان كالأجل المحتوم لكل ما كان جاهلياً لا ينتمي إلى الإسلام في شيء.

٢ ـ صعوبة قراءة الخطوط المستعملة في كتابة اللغة الأفغانية وآدابها القديمة قبل الإسلام، وأثناء ظهوره وانتشاره في أفغانستان.

٣ ـ استبدال الخط العربي بالخطوط القديمة، وكان هذا كافياً لنسيان الخطوط الأفغانية القديمة واختفائها ومسحها عن الوجود، وذلك بعد قطع الصلة بينها وبين الأفغانيين المسلمين الذين اختاروا الخط العربي كأداة لكتابة آدابهم في لغاتهم، فلم يعد الأفغان يستطيعون قراءة الكتابات القديمة.

٤ ـ قيام كل من جنكيز خان وتيمور بالقضاء على كنوز الأدب الأفغاني، والخزائن العلمية والأدبية.

وهكذا قدر الله للشعر الأفغاني الحياة والبعث في رعاية الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، وقد صادف بعثه حركة أبي مسلم الخراساني لإقامة الخلافة العباسية،

وقد قلد الشعراء الأفغان واحتذوا الشعر العربي الذي جاء به المسلمون العرب، وقد أخضعوا أكثر شعرهم، وأغلب أغانيهم لأساليبه، وطرق أدائه، فكان لهم من هذا التقليد والاحتذاء هذا الشعر الأفغاني المعروف بالشعر الإسلامي الذي لاحت بشائره في كنف الشعر العربي، وسار في الغالب على غراره، وتم إنشاده على منواله .

فالشعر الأفغاني المعروف بالإسلامي هو الشعر الذي صاغه الأفغان في لغتهم الأفغانية المكتوبة بالحروف العربية، اللغة التي عادت إلى الحياة ثانية تحت رعاية اللغة العربية، وفي ظلها نشأت ونمت وانتعشت، واتخذت من الخط العربي أداة لها، كما مرت الإشارة إلى ذلك أكثر من مرة، وهذا الشعر الأفغاني يتميز بتعدد فنونه وأنماطه، وبتنوع أنواعه وأغراضه، وموضوعاته . وقد أكسبه ذلك كثيراً من الروعة والجمال .

وقد قرنت الكتب الأفغانية بداية الشعر الأفغاني الأدبي بعد الإسلام عندما ذكرت أخباراً عن رجال شعراء عاشوا في القرن الثالث الهجري، الأمر الذي يدل على أن الأدب الأفغاني وفن الشعر خاصة بدأ تطوره بوضوح من هذا العصر، وهؤلاء الرجال الشعراء هم الجد الأمجد الشيخ بيت البيتنى، والشيخ إسماعيل السربني، وملك يار غرشين، وتيمن التايمني، وقطب الدين بختياري، وأكبر زميندأوري، والشيخ عيسى العشواني، وغيرهم كثيرون .

أما أقدم كتاب أفغاني قد أشار إلى الشعراء والمؤلفين والكتاب فهو كتاب «بته خزانه = الكنز المكنون» لمحمد بن داود الهوتكي . «وتذكرة الأولياء» للمؤرخ الأفغاني سليمان بن بارك خان ماكو، وقد تم العثور على صفحات ثمان فقط من هذا الأخير، وباقي الكتاب مفقود، لم يصل إلينا حتى الآن .

وقد كشفت الدراسات الحديثة عن وجود بقايا من مقطوعات شعرية تلفت النظر في اللهجات الأفغانية القديمة، ومن جملتها النقش الحجري الذي عثر عليه في مقاطعة بغلان وهو مكتوب بلغتين إحداهما الإغريقية والأخرى أفغانية محلية، والنقش الحجري الذي عثر عليه في مقاطعة ورزجان، وبيت الشعر المنسوب إلى اللويكيين باللهجة الغلجية الأفغانية .

الأدب الأفغاني في عصر الدولة الغورية :

الغـوريون حماة للأدب الأفغـاني وكانوا يحكمون منذ القديم الأقاليم الجبلية في أفغـانستـان، وكـان يرأس هذه الأسرة الغـورية، أيام قيام أبي مسلم الخـراسـاني (١٠٠ ـ ١٣٧هـ) بمسـاعيه وحروبه لتأسيس الخلافة العباسية ـ كل من الأميرين فولاد الغوري، وابنه كرور الغوري، الملقب ببطل العالم (جهان بهلوان) على التوالي، وكـانـا كغـيرهمـا من الغـوريين من أنصار أبي مسلم الخراساني في مساعيه لمناصرة العباسيين لنقل الخلافة إليهم .

التعريف بالأسرة الغورية إسلامياً :

أسلم أول زعيم غوري وهو شنسب بن خرنك على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنــه في الكــوفــة في النصف الأول من القــرن الأول الهجــري في حوالي عام ٣٦هـ = ٦٥٦م[١]. وفي سنـة ٤٥ هـ = ٦٦٥م هاجم الصحابي الجليل الحكم بن عمـرو الغفـاري البلاد الغورية لأول مرة، وأطاع أهلها بقوة السيف[٢]. وفي سنة ١٠٧هـ = ٧٢٥م غزاهـا أسـد بن عبـدالله، واستولى على ما أخفاه الغوريون من الأموال في المغارات في جبالها خوفاً من المسلمين[٣] .

وفي ولاية الفضـل بن يحيى البرمكي أطاعت الأقاليم الغورية الخلافة العباسية طوعاً، واستمرت الروابط بين الأسرة الشنسبية الغورية والخلافة العباسية وطيدة حتى أيام الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) وفي هذه الأيام كان الأمير بنجي بن نهاران الغـوري يتـولى أمـور ولاية الغور، وكان ينازعه فيها الأمير شيش بن بهرام الغوري، وقد رفعا نزاعهما إلى هارون الرشيد الذي تمكن من إرضاء الطرفين بحيث سلم الأمـور الـرئاسية إلى بنجي بن نهاران ولقبه بقسيم أمير المؤمنين وسلـم الأمور القيادية إلى شيش بن بهرام، وقد رضي الطرفان بذلك[٤] .

---

(١) الجوزجاني : طبقات ناصرى ١ : ٣١٨ ـ ٣٢٤، وعروض السمرقندي : جهار مقاله ٩٤، الترجمة العربية، وتاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٣٢.

(٢) تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٦٦ .

(٣) أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ٨٠ ، وتاريخ أفغانستان بعد أن إسلام ١ : ١٨٠ .

(٤) الجوزجاني : طبقات ناصري ١ : ٣٢٦، وتاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ٣٤٨ ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ٧٢.

إلى هذه الأسرة الغـورية الأفغانية ينتسب الأمير كرور بن الأمير فولاد الغوري الذي تولى الإمارة في بلاد الغور سنة ١٣٩هـ = ٧٥٦م، والذي ناصر العباسيين مع الـذين ناصروهم، وأنشد نتيجة لانتصاراته، قصيدته الحماسية الفخرية التي تعتبر بحق أول نموذج للملاحم الإسلامية في الأدب الأفغاني البشتوني، كما تعتبر بحق أقدم عمل أدبي شعري ناضج كامل يصل إلينا في سلام وأمان محفوظاً بالعناية الإلهية من نوائب الدهر، ونوازل الزمان، ونكبات الإنسان .

إن قوة هذه القصيدة الشعرية رغم قصرها، ورصانتها الأدبية ونضجها الفكري، بجانب متانتها اللغوية، وأصالتها التاريخية، وما تتميز به من إحكام في الأسلوب، ودقة في التعبير، وروعة في التصوير، وجمال في الأداء، وعذوبة في الجزالة، وما فيها من الرقة والجودة، ورهافة الحس، لدليل على أنها نتاج عصر أدبي راق ، ونموذج عال بارز لأدب سابق واضح المعالم والركائز والأسس، ورصيد أصداء أدبية لهيكل عمل أدبي عريق، قد سبق هذه القصيدة التي تشبه الملاحم القومية بما فيها من البطولات والمفاخر الإسلامية، غير أنها لا تبلغ مبلغ طول تلك الملاحم ومصادرها الخرافية والأسطورية .

إن كلمات هذه القصيدة القصيرة الطيبة التي تأتي ترجمتها بعد قليل تنبع من داخل قلب الشاعر الأمير المسلم، ومن أعمق مشاعره، وفي كلمات صادقة أصيلة، معبرة موحية، ذلك لأنه خاض غمار الحرب بكامل وعيه وحسه وشعوره الديني قبل أن يشدو بكلمات هذه القصيدة ليعـبر فيها عما أحسه بنفسه، أو جال بخاطره، وقد رأى في الحـرب ما رأى، وشـاهـد كثيراً من الصعاب والويلات، وقابل مزيداً من النجاح والتوفيق، وأحرز الفوز بالنصر، فتقطر قلبه فرحاً ورقة وعذوبة لندى النصر، وسجل سطوراً من نور تعبيراً عن حياة الحرب، والفوز بالنصر، فامتلأ قلبه شوقاً إلى الخلود، فانطلقت كلماته من ضميره بقوة وحرارة وأصالة مصورة ما ارتسم في فكره من الفخر والحماس، وعلى صفحات قلبه المرهف من الشوق والخلود الإسلاميين .

هذه القصيدة على قصرهـا معـرض حقيقي لعقائد الأمة الأفغانية، وأفكارها، وآلامهـا، وآمـالها، ومثلها الخلقية، وقد تعرض الشاعر أثناء حديثه للحديث عن

نفسه، والتعبير عن بطولاته، ولكنه مع هذا يتعرض في المقام الأول للموضوع الحماسي، وقد خالف في ذلك الشعر الحماسي الدري (الفارسي) الذي يدور حول الحروب وقصص البطولات، وسير الملوك، والأحداث القومية، وهو ما يعرف بالشعر الملحمي. وقد رتب الأمير الشاعر أجزاء قصيدته القصيرة، ونظم وقائعها دون أن يبعد عن أصلها، أو جوهرها البطولي؛ وقد غلبت عليه الروح الدينية، والأسلوب القومي من حيث اللغة على أنه أداة للتصوير وقالب للتعبير.

وإذا كان شعرنا الدري قد سبق إلى التغني بالمفاخر القومية، فإن شعرنا الأفغاني قد سبقه من حيث الموضوع والزمن إلى التغني بالمفاخر الدينية، وقد تأخر ظهور مثل هذا التغني بالمفاخر الإسلامية في النظم الدري حتى القرن التاسع الهجري، حيث أنشد شعراء الدرية منظومات دينية اختاروا أبطالها من أئمة الدين والزعماء الإسلاميين، غير أن هذه القصيدة الشعرية الملحمية قصيرة لا تصل من حيث الطول إلى الملاحم المعروفة، ولكنها تتميز بأنها خالية من الأساطير الخرافية والبطولات الخارقة كما مرت الإشارة إلى ذلك سابقاً.

وهذه القصيدة الشعرية الحماسية الفخرية التي يتم نقلها إلى العربية بعد قليل(*) تعد من طلائع الشعر الأفغاني الأدبي بعد الإسلام، وهي وإن كانت تبدو قصيرة متواضعة إلا أنها كبيرة عظيمة في الدلالة على أن الحركة الأدبية في أفغانستان التي بدأت تظهر في عهد الغوريين في عصرهم الأول، قد أخذت تستكمل أسبابها في عهد الغوريين في عصرهم الثاني في إعادة الحياة النشطة إلى الآداب الأفغانية، وقد وفقوا في ذلك توفيقاً كبيراً، بحيث ظهرت في عهدهم الثاني في البلاد كثرة من الشعراء والأدباء والكتاب، ويكفي في ذلك أن نشير إلى أن صاحب كتاب «بته خزانه = الكنز المكنون» يذكر أسماء عدد كبير من الشعراء والمؤلفين نظموا الشعر وألفوا الكتب.

ويجب أن نشير إلى أن الشعر الأفغاني نشأ أول ما نشأ بعد الإسلام، في ظلال الدين الإسلامي، وقيمه السامية كما يبدو ذلك واضحاً من قصيدة هذا الأمير الشاعر

(*) ص ٦٧.

الذي حق له أن يتبوأ مقام الصدارة في مضمار الملاحم الدينية من حيث السبق إلى هذا النوع من الملاحم الإسلامية القصيرة .

وقد استمر هذا اللون من الشعر الملحمي الحماسي في الأدب الأفغاني الإسلامي بشكل أو بآخر حتى اليوم. وقد بلغ الشاعر المعاصر الحاج سمندر خان سمندر بعد أكثر من ألف ومائتين وسبعين سنة إلى القمة في الملاحم الإسلامية، حيث أنشد أربعة وستين ألف بيت في الوحدانية وبيان صفات الذات الإلهية، وفي الحمد لله والثناء عليه، وذلك في كتابه « د توحيد ترنک = رنة التوحيد » أي نداء التوحيد، وقد فاق بذلك الشاعر الخراساني الفردوسي في شعره الملحمي بأربعة آلاف بيت من الشعر حيث يبلغ عدد أبياته الشعرية في الملاحم القومية في كتابه « شاه نامه » إلى ستين ألف بيت من الشعر الدري[1] .

ومن المفيد الاعتراف في هذا المجال أنه لن يكون في وسعنا، بل من المستحيل أن نقوم برسم صورة واضحة للأدب الأفغاني في شتى فنونه وأغراضه، ما دام أننا ما زلنا نفقد نصوصاً وآثاراً أدبية أخرى غير هذه القصيدة الرصينة التي قمت بنقلها إلى العربية، وقدمتها على أنها نموذج وحيد لهذا العصر. والأمر بعد ذلك تكتنفه الصعوبة القصوى إذا ما حاولنا البحث عن نماذج إسلامية أخرى في فنون الأدب الأفغاني حتى إلى ما قبل القرن الثالث الهجري، إلى العصر الذي كان يعيش فيه أبو محمد هاشم بن زيد السرواني البستي (٢٣٣ ـ ٢٩٧هـ) الذي كان يقول الشعر بالأفغانية والعربية، والدرية، وله كتاب يسمى « دسالو وجمه = نسيم الصحراء » نقل فيه الفنون البلاغية العربية إلى الأفغانية.

(١) مقدمة كتاب «د. توحيد ترنک = نداء التوحيد» ص ٢ ـ ٣ ، طبعة أكاديمية اليشتو بجامعة پشاور .

قصيدة بطل الأبطال الأمير كرور الفخرية الحماسية

إنني أسد على وجه البسيطة ، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة
لا في بلاد الهند والسند، ولا في بلاد تخار[1]، ولا في كابل
ولا في بلاد زابل أيضاً، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

إن سهام عزيمتي ، ونبال إرادتي تهوي على الأعداء كالبرق
إنني أقوم باقتحام (نار) الحرب والوغى ، وأتتبع الفارين
وأيضاً أتعقب المغلوبين المنهزمين، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

إن الفلك يقوم بالدوران حول انتصاراتي افتخارا بها
حافر حصاني يهز الأرض، ويجعل الجبال مضطربة
أقوم (لتحقيق الهدف) بتدمير الممالك، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

إن بريق سيفي قد أحاط بهرات وجروم[2] من كل جانب
وإن كلًّا من غرج[3] وباميان وتخار تذكر اسمي كدواء لآلامها
ولشهرتي العظيمة يعرفني أهل الروم. لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

إن سهامي تمطر على مرو، وإن العدو يخافني ويهابني
أخرج ذاهباً إلى ضفاف «هري رود»[4] فيفر من أمامي السائرون

---

(١) تخار : طخارستان في شمال أفغانستان .

(٢) جروم : جمع مفرده جرم معرب گَرم بمعنى الحار، والمراد المناطق الحارة في جنوب أفغانستان .

(٣) غرج: معرب غر بمعنى الجبل، وغرجستان معرب غرستان بمعنى الأرض الجبلية، وهو إقليم في شمال بلاد الغور.

(٤) هرى رود : نهر هرى، وقد استعملها الشاعر بالإملاء العربي (هريو الرود) وهو تأثير العربية.

ترتجف (فرائص) الشجعان من هيبتي، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

فتحت مقاطعة زرنج[1] بالسيف وقد أصبحت أحمر اللون
وبالرئاسة والسيادة رفعت من شأن عشيرة السور[2] (الغور)
ورفعت كذلك من مكانة أبناء أعمامي . لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

أعطف كثيراً على أبناء شعبي، وأعمل لأجل إسعادهم وخيرهم
وباطمئنان غامر أقوم بتشجيعهم وتربيتهم وتوجيههم
وأهتم دائماً بشؤون نموهم ورقيهم، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة

* * *

إن كلمات أوامري تسري على الجبال الشامخات دون بطء أو توقف
إن العالم كله ملكي، والمداحون يذكرون اسمي فوق المنابر
أياماً وليالي، وشهوراً، وسنينا، لا أحد أكثر مني شجاعة وبطولة[3]

* * *

كان هذا نموذجاً أو مثالاً للشعر الأفغاني بعد عودة الروح إليه تحت حماية الأدب العربي في فكره الإسلامي .

---

(١) زرنج : عاصمة سجستان، وفي الوقت الحاضر حاضرة لولاية نيمروز.

(٢) السور : السور، والزور، والزون، والغور والغر كلمات أفغانية تدور معانيها جميعاً حول التقديس، والطبيعة، والقبيلة، أو حول الدين، والجبل، والعرق، والأصل، ولها صلات دموية وعرقية ولغوية وأدبية بالغوريين. وقد ترددت هذه الكلمات كثيراً في الآداب والحوادث التاريخية في أفغانستان القديمة، وأثناء الفتوح الإسلامية في أفغانستان الخراسانية.

(٣) الهوتكي، محمد بن داود: پته خزانه = الكنز المكنون ٣٠ وما بعدها، طبعة عام ١٣٢٣هـ.ش، وحبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام ١ : ١٣٤ - ١٣٦، وحبيبي : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٨١ - ٨٨. وطائر : روهى أدب ٥٦ - ٦٢، وصافي : أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ٥٦٩ - ٥٧٠.

الفصل الثاني

الشعر الأفغاني الإسلامي من العصر اللودي إلى العصر الغوري

(٣٥٠ ـ ١٠٠٠ هـ = ٩٦١ ـ ١٥٩١ م)

اللوديون والأدب الأفغاني الإسلامي :

إن المتـأمل في حياة الأفغان الأدبية والثقافية منذ ظهور اللغة الأفغانية وتطورها في ظلال اللغة العربية حتى الآن ـ يستطيع أن يدرك بوضوح كيف تطورت تلك اللغة وآدابها وفنونها، وكيف تقلبت مع تقلبات الحياة الأدبية . . ففي ظل الإمارات الأفغانية المستقلة التي تأسست ابتـداء من أوائـل القرن الثالث الهجري، وربما قبل ذلك، خرجت اللغة الأفغانية إلى الحياة الأدبية من جديد، وأخذت تنافس اللغة العربية في المجالات الأدبية واللغوية حتى كانت لها الغلبة في أيام الغزنويين والغوريين، ومن ذلك الحين أخذت اللغة الأفغانية تتغلب على اللغة العربية وآدابها في الديار الأفغانية التي كانت تشتهر باسم خراسان، ولم تلبث أن أصبحت لغة الأدب والعلم والتطور، إلى أن صارت لغة الأدب في البلاط الغوري في قلب أفغانستان، وقد ظلت اللغة العـربية ذات نفـوذ علمي وأدبي، محافـظة على مكانتها العلمية، ونفوذها الأدبي، ووقارها الثقافي حتى خضعت أخيراً لمؤثرات الزمن، فأخذت تفقد مجدها العظيم، وما زالت كذلك حتى استبدت بها عوامل الضعف والوهن إلى أن هوت إلى الحضيض، فاقدة ما كان لها من نشاط لغوي، ونفوذ أدبي، ووقار علمي عظيم، وذلك بعد أن غمرت اللغة الأفغانية كغيرها من لغات الشعب الأفغاني المتعددة بسيل من الألفاظ العربية، ومن المصطلحات الفنية المتعلقة بالفقه الإسلامي، والمصطلحات العلمية للعلوم الوضعية التي نشأت في ظلال الحضارة الإسلامية، ثم من مجموعة من المفردات العربية العادية التي تمكنت من أن تحل محل الكلمات الأصيلة في تلك اللغات الأفغانية وبخاصة في المراحل التالية للمرحلة الأدبية التي حددناها لهذا الفصل .

أما العصر الذي نتحدث عنه بإيجاز شديد في هذا الفصل فيبدأ بالأسرة اللودية

الشهيرة في كل من البلاد الأفغانية والهندية، واللوديون كالغوريين قاموا برعاية اللغة الأفغانية وحماية آدابها ورعايتها، وقد عاش في هذا العصر عدد من الأمراء والشعراء والأدباء والعلماء الذين استطاعوا أن يوسعوا رقعة الأدب الأفغاني الذي ورثوه عن أجدادهم في داخل أفغانستان وخارجها .

ومن مشاهير الأسرة اللودية في أفغانستان وإقليم ملتان الشيخ الورع حميد اللودي وقد حكم الأقاليم الواقعة بين لغمان وملتان في حوالي سنة ٣٥٠هـ = ٩٦١م، وكان معاصراً لسبكتكين الغزنوي والذي قام بنشر الإسلام بين القبائل الأفغانية في أعالي الجبال، والشيخ نصر بن حميد اللودي الذي تولى الحكم بعد أبيه، وكان شاعراً، والشيخ الشاعر رضي اللودي الذي قضى سنتين من عمره في جبال سليمان يدعو القبائل الأفغانية إلى قبول الإسلام مبعوثاً من قبل عمه الشيخ حميد اللودي، والشيخ التعيس أبو الفتح داود اللودي حاكم ملتان الذي أسره محمود الغزنوي في سنة ٤٠١هـ = ١٠١٠م، وقد مات أسيراً في قلعة غورك في الشمال الغربي من كندهار، والشيخ الفاضل أحمد بن سعيد اللودي مؤلف كتاب «أعلام اللوذعي في أخبار اللودي» الذي قام بتأليفه سنة ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م .

ومن مشاهير اللوديين في الهند الأمير الشاعر صاحب السيف والقلم بهلول بن ملك كالا المتوفى سنة ٨٩٤هـ = ١٤٨٨م، وسلطان سكندر اللودي (٨٩٤ ـ ٩٢٢هـ) = (١٤٨٩ ـ ١٥١٧م) وكان من الشعراء أيضاً، وسلطان إبراهيم اللودي (٩٢٢ ـ ٩٣٢هـ) = (١٥١٧ ـ ١٥٢٦م)[1] وقد قام بابر المغولي بالقضاء على حكم الأسرة اللودية التي كانت لها شهرتها في ميادين الأدب والعلم بالإضافة إلى شهرتها في دعوة القبائل إلى الإسلام .

الشيخ رضى اللودي ومقطوعته الشعرية :

ولابد أن أوضح قبل تقديم نماذج شعرية خاصة بالأسرة اللودية ـ أن هناك فجوة زمنية تفصل بين عصر الأمير كرور الذي قد قمت بترجمة قصيدته الفخرية كنموذج

---

(١) راجع ص١٠٠ من هذا الكتاب.

أدبي لعصره ، وبين عصر اللوديين حيث إنه من المعروف وفقاً لما ذكره محمد بن داود الهوتكي ، وهو أقدم من ترجم لشعراء الأفغان في كتابه « بتـه خوانه = الكنز المكنون » أن أول من أنشأ قصيدة أفغانية هو البطل الأمير كرور بن فولاد الغوري في حوالي سنة ١٣٩هـ = ٧٥٦م ليعبر فيها عن فخره بانتصاراته في المعارك التي خاضها لنصرة العباسيين، والتي أثارت فيه الحماس والفخر، وأوحت إليه السرور بالنصر. وأشعار هذه القصيدة بسيطة خالية من الصناعات البديعية وهي أقرب إلى الطبع، وأدنى إلى سلامة الأداء، وتصوير الأحاسيس والمشاعر بالأسلوب الفطري، ولا يمكن أن يكون هناك ما هو أدل على تطور الذوق الأدبي في مدى هذه الفجوة التي تقدر بحوالي القرنين ونصف القرن من أن نقارن تلك القصيدة بمقطوعتين شعريتين أنشدهما كل من الشاعرين اللوديين الشيخ رضى والشيخ نصر على اعتبار أنهما من شعراء الأفغانية في هذه الفترة، فأما إحدى هاتين القطعتين فهي للشاعر الورع الشيخ رضى اللودي وتشتمل على نصيحته التي وجهها إلى ابن عمه الأمير نصر الذي اتهمه الغزنويون بالقرمطة، وأما ثانيتهما فهي للأمير نصر اللودي الذي يدافع فيها عن عقيدته الإسلامية الصحيحة، ويبعد عن نفسه تهمة الإلحاد والوهن في العقيدة.

وفي الحقيقة ـ كما يقول الأستاذ عبدالحي حبيبي ـ أن الغزنويين قد وجهوا تهمة القرمطة إلى اللوديين المسلمين لكسب التأييد لاستيلائهم على إقليم ملتان الذي كان في حوزة هؤلاء اللوديين وهم مسلمون مخلصون حقاً، وقد أبعدوا بذلك تهمة الاستيلاء على أملاك المسلمين[1] .

وفيما يلي ترجمة مقطوعة شعرية للشاعر الداعي إلى الله الشيخ رضى اللودي الذي وجه فيها نصيحته إلى ابن عمه الأمير نصر بن حميد اللودي حاكم ملتان الذي اتهمه الغزنويون بالقرمطة[2]. وقوام هذه القطعة سبعة أبيات تشتمل على بعض المصطلحات الإسلامية بالعربية[3]:

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٠٢، الطبعة الثانية ١٣٤٢هـ ش .

(٢) كاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٤٦٠، ودپشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٩٩.

(٣) طائر: روهى أدب ١٤١، والهوتكى : پته خزانه ٧١، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٤٦٠ .

نص (١)

إن سقوطك نحو الإلحاد بسرعة واندفاع
قد أساء إلى مذهب جماعتنا الديني ودمر عقيدتها
إننا قد قمنا بنشر ضياء الدين بسعينا وجهدنا
أما أنت فقد جعلته موضعاً للشك والاتهام
لماذا آمنت بالإسلام منذ البداية
ثم تركته ، وتحولت عنه وحدك
لقد قمت الآن بتغيير وتبديل تلك العقيدة
التي كان آباؤك وأجدادك يقومون بنشر ضيائها
لقد سقط اللوديون من الأنظار بسببك
مهما حاولنا أن نرفع من شأن توقيرهم بين الناس
يانصر ، إنك لست من أسرتنا، ولا من عشيرتنا
ولست لودياً أبداً بأعمالك وأفعالك
إننا سنبرأ بشدة من عقيدتك ومذهبك الديني
عندما يأتي اليوم الكبير .. يوم القيامة

الأمير نصر بن حميد اللودي ومنظومته الشعرية الجوابية :

وفيما يلي ترجمة القطعة الشعرية الجوابية التي أنشدها الأمير نصر بن حميد اللودي يرد فيها على ابن عمه الشيخ رضى اللودي، ويبعد عن نفسه اتهام الإلحاد ويعلن تمسكه بالعقيدة الإسلامية وأنه سيظل نجماً لامعاً في سماء الإسلام رغم أنف التورانيين الذين اتهموه بالإلحاد. وهي تتكون من تسعة أبيات فيها بعض المصطلحات الإسلامية بصيغها العربية[١]:

لقد أصبحت متهماً بتهمة الإلحاد زوراً وبهتاناً

(١) پته خزانه = الكنز المكنون ٧١، وروهى أدب ١٤٣، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٠٠ .

إنـــني لســـت فـي الأصـل ملحـداً أبـــداً مـن الـبـدايـة
إن أعـــدائي هــم الـذيـن اتـهـمــوني بـهــذه الـتـهـمـة
والحـــادي لـيـس إلا اتـهـامــاً كـاذبــاً مـن أعـدائي
لــن أكـون أبــداً من الـفــارين الهــاربـين من الإســلام
بـــل إنـنـــي فـــي هـــروب دائـــم مـن الـتـــوارنـيـين
إن ديـنـــي الآن هـــو ديـنـــي الـســـابق
إنـــني مـــا أزال اعـتـصـــم بقـــوة وإحكـــام بديـنـي القــديـم
ســـأظـل نـجـمـاً لامـعـاً فـي ســمـاء الإســـلام
وســـأظـل دومــــاً ظـلامــاً حـالـكـاً فـي وجـه الـتــورانـيـين
إنـــني ابـن مسـلـم سـنـي مــن أبـنـــاء الـلـــوديـين
وأنـتـمـــي إلـــى أســرة حـمـيـد الـرفـيـعـة المـنـزلـة
أمـــا مـــا يـقـولــــه عـــدوي الـتـــوراني ادعـــاءً
بـأنـنـــي قـــد غـيـــرت ديـنـــي وعـقـيـــدتـي
فـــإن اتـهـامـــه لـي كـذبـــاً هـــو الـــذي يخدعـكـم
إنـــني مؤمـــن أسـيـر بـثـبـات عـلـى خـطـــواتـكـم
لا تـصـــغ إلـــى الأعـــداء ولا تـسـمـع أقـوالـهـم
ســـأبـقـى لــوديــاً مـســـلـمـاً مـا دمـــت فـي الـــوجـــود حـيـاً

بيت البيتني[1] :

الجد الأمجد بيت البيتني رجل آخر من رجالات الأدب، والورع، والتقوى، الذين عاشوا في هذا العصر، والشيخ البيتني الذي نتحدث عنه بإيجاز في هذا الفصل تذكره المصادر الأفغانية القديمة والحديثة، فقد تحدث عنه المؤرخ الأفغاني سليمان بن بارك

(١) بيت البيتنى : يذكر في كتب التاريخ باسم بيت. وبيتنى، وبتن. وبيتن. يراجع پشتانه شعراء ١ : ٤٥، وروهى أدب ١٣١، وسيال مومند: د پشتنو قبيلو شجرى ١٢، وسير أولف كيرو: پتهان ٣٧، الترجمة الأردية.

خان في كتابه « تذكرة الأولياء » الذي تم تأليفه في حوالي سنة ٦١٢هـ = ١٢١٥م[١]. كما تحدث عنه و عن أخويه سربن وغرغشت أبو الفضل علامي مؤرخ المغول في كتابه « أيين أكبرى » الذي ألفه في عام ١٠٠٦هـ = ١٥٩٧م، كما ذكره وذكر أبناءه المؤرخ الأفغاني نعمت الله الهروي في كتابه « مخزن أفغاني » الذي كتبه في سنة ١٠١٨هـ = ١٦٠٩م. وتتحدث عنه وعن صلاحه الديني كل الكتب والمصادر الأدبية والتاريخية الحديثة .

وقد قدر الأستاذ عبدالحي حبيبي العصر الذي عاش فيه الجد الأمجد الشيخ البيتني بين سنتي ٣٠٠ و ٤٠٠ هـ (٩١٢ و ١٠٠٩م)، كما يتبين ذلك مما قاله كل من المؤرخين الأفغانيين سليمان بن بارك خان، ونعمت الله الهروي[٢] وغيرهما. فمن شاء من القراء أن يعرف شيئاً عن حياة هذا الشيخ الورع فليرجع إلى ما كتب عنه في تلك المصادر. ويجب التنبيه على أننا لا نعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده ووفاته غير ما ذكر.

والشيخ البيتني من رجـال الأدب والشعراء المعروفين بالإلحاح في مناجاة الذات الإلهية، وبالتضرع إلى الله والخشوع، ومن الدعاة الصالحين. وشعره الذي بين أيدينا مملوء بالنـداءات والابتهالات والتبتلات، وبالحمد والثناء، وفيه معنى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣] كان الشيخ الجليل يقضي ـ كما يقول سليمان بن بارك خان ـ أياماً وليالي في سفوح جبال سليمان الشاهقة وذلك بعد أن وهن عظمه، وضعف جسمه، واشتعل الشيب في رأسه، وأحس بالقلة في الأهل والولد، داعياً ربه الكريم أن يكثر من أفراد هذا الشعب من نسله[٤]. وكأنه يكرر ويردد في دعائه معنى هذه الآية الكريمة ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾[٥] وهو يكرر تجواله وترحاله بين هذه الفيافي والآكام والمنافذ الجبلية من الجبال الشهيرة

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٠٥ ـ ١٠٦، وپشتانه شعراء ١ : ٤٥ .

(٢) پشتانه شعراء ١ : ٤٥ ـ ٤٨ .

(٣) سورة البقرة ١٢٧ .

(٤) سليمان بن بارك خان : تذكرة الأولياء، نقلاً عن : پشتانه شعراء ١ : ٥٠، وروهي أدب ١٣١ ـ ١٣٤ .

(٥) سورة إبراهيم ٣٧ .

بتخت سليمان التي كانت سفوحها مخيماً لعشيرته القليلة العدد، وقد بكى الشيخ المتقي بدموع غزار وفي خشوع شديد على أمل في الله عظيم أن يستجيب دعاءه، وأن يحقق أمنيته في أن تنمو هذه العشيرة، وأن يزيد عدد أفرادها، وقد كان، حيث استجاب الله دعاءه، وبارك في ذريته، فنمت نمواً مطرداً ، وازداد عدد أفرادها، حتى يعد الأفغانيون من عشيرته اليوم بالملايين .

الصورة الأدبية، أو الفكرة الدينية في هذه الأبيات الشعرية للشيخ الصالح البيتني، التي أنقلها إلى العربية في الصفحة التالية تحمل جوانب كثيرة من دعاء إبراهيم، وابنه إسماعيل عليهما السلام عند قيامهما ببناء الكعبة المشرفة، ورفعهما قواعد البيت العتيق[1] ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾[2] حيث إن معاني بعض الأبيات، أو المفهوم العام للقطعة الشعرية كلها يشير إلى هذه الآيات الكريمة، بالإضافة إلى الآيات التالية: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[3] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[4]. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[5].

والقطعة الشعرية بعد ذلك تعطينا فكرة كاملة عن أدب ذلك العهد، وهي كافية أيضاً لإعطائنا فكرة عن أشعاره بصفة عامة، مما يشير بوضوح إلى مدى تأثير الفكر الإسلامي في الأدب الأفغاني آنذاك:

نص (٢)

يا إلهي الأعظم ، يا إلهي الأعظم
من أجل محبتك ومودتك في كل مكان
يقف الجبل الشامخ في مهابة من عظمتك
ويضرع كل ذي روح في خشوع إليك
هنا في سفوح الجبال الراسيات وأسافلها
تمتد خيامنا (السوداء) منصوبة

---

(١) روهي أدب ١٣١ - ١٣٤ .
(٢) البقرة ١٢٧ .
(٣) مريم ٤ .
(٤) البقرة ١٢٦ .
(٥) ابراهيم ٣٥

يا إلهي ، بارك في هؤلاء الناس وزدهم عددا
يا إلهي الأعظم ، يا إلهي الأعظم
إن النار هنا قليلاً ونادراً ما تتقد
هنا منزل صغير ، ومسكن متواضع
لسنا سائرين وراء الخيال من صنع الآخرين
إن السماء والأرض مطويتان بيمينك
يا إلهي الأعظم ، يا إلهي الأعظم[١]

الشيخ إسماعيل السربني :[٢]

الشيخ إسماعيل بن بيت البيتني شاعر أفغاني آخر من الشعراء الإسلاميين الذين نشأوا في الديار الأفغانية في هذا العصر، وهو لذلك جدير بالذكر، ولكن في الحدود التي تسمح بها المعلومات التاريخية المتوفرة عنه، فقد ذكرته ثلاثة من أهم المصادر الأفغانية القديمة. . المصدر الأول كتاب «تذكرة الأولياء» لسليمان بن بارك خان، والمصدر الثاني كتاب «مخزن أفغاني» لنعمت الله الهروي، والثالث كتاب «بته خزانة = الكنز المكنون» لمؤلفه محمد بن داود خان الهوتكي. وهذه المصادر الأفغانية متفقة على أن الشيخ إسماعيل السربني من أبناء الشيخ بيت البيتني، إلا أنه عاش في بيت عمه الشيخ سربن السربني الذي كان يعطف عليه كعطف الأب على الأبناء، فاشتهر لذلك منسوباً إلى عمه سربن[٣] شقيق الشيخ البيتني.

عاش الرجل في مسكن عمه في سفوح جبال سليمان، وبعد وفاته دفن هناك في المكان الذي يدعى «وازه خوا = الناحية المفتوحة» وكان معاصرا للشيخ «خرشبون» المتوفى سنة ٤١١هـ ـ ١٠٢٠م[٤] كما أدرك أيضا عصر كل من الشيخ بهاء الدين.

(١) طائر : روهى أدب ١٣٢ ـ ١٣٣، وحبيبى : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٠٧، وپشتانه شعراء ١ : ٤٩، وفضل أحمد : رهنماى أفغانستان ١٧٧، وعبدالباقي لطيفى : أفغانستان ويک نكاه إجمالي ٢٨، وسيال مومند : د پشتنو قبيلو شجرى ١٢٢.

(٢) پشتانه شعراء ١ : ٥٢، د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٠٨، رهنماى أفغانستان ١٧٧، وأفغانستان ويک نگاه إجمالى ٢٨، وروهى أدب ١٤٤ ـ ١٤٥، وسر أولف كيرو: پتهان ٣٤ ـ ٣٥، الترجمة الأردية.

(٣) پشتانه شعراء ١ : ١٠٩.

(٤) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٠٩.

والشيخ أحمد بن موسى والد قطب الدين بختيارى الذي ولد سنة ٥٧٥هـ ١١٧٩م. وبناء على ذلك يمكن الاعتقاد على أنه عاش حتى بعد سنة ٥٠٠هـ - ١١٠٦م[1].

والشيخ إسماعيل السربني يشتهر بين أهل الأدب ورجال التاريخ بالاجتهاد في ذكر الله والعبادة له، وفي الوعظ والإرشاد، والدعوة إلى التخلق بالخلق الإسلامي القويم، وسيتضح لنا ذلك من القطعة الشعرية التي سأقوم بنقلها إلى العربية بعد قليل إن شاء الله..

عاش الرجل حياة الزهد والتقوى في أسرة تشتهر بالصلاح والورع، وبالعلم والأدب.. أبرز شخصيات هذه الأسرة الصالحة في الدين والأدب هم الإخوة الأشقاء، بيتن وسربن وغرغشت، وهم معروفون لدى جميع المهتمين بدراسة اللغة الأفغانية وآدابها فمناقبهم في المجالين الديني والأدبي أظهر من الشمس. وإن كانت مناقبهم التاريخية غير واضحة المعالم، شأنها في ذلك شأن غيرها من المناقب التاريخية للأفغان.

أما حياة هذا الرجل الصالح، والشاعر الواعظ فلا نكاد نعرف منها شيئاً كثيراً غير ما قمت بذكره، حتى تاريخ ميلاده، وتاريخ وفاته غير معروفين في المصادر التاريخية. وكل ما يمكنني قوله بالإضافة إلى ما قلته سابقاً، إنه قد ترك قطعتين شعريتين، إحداهما في الوعظ والإرشاد الإسلامي وقد حفظها لنا المؤرخ سليمان بن بارك خان في كتابه « بته خزانه = الكنز المكنون » لمؤلفه محمد بن داود خان الهوتكي. وفيما يلي أقوم بنقل معنى إحدى القطعتين الشعريتين إلى اللغة العربية[2]..

نص (٣)

اهرب من إبليس الشيطان هروباً سريعاً
فعند ظهور إبليس اللعين في أي مكان
تختفي من هناك شعلة نور الإيمان المضيئة
وتصير كل الدنيا مظلمة ظلاماً دامساً
إن الإنسان يضل الطريق ويتحطم بسبب إبليس
و (كأن) خنجراً حاداً يقطع رأسه ويفصله

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١١٠، وروهي أدب ١٤٤ .
(٢) پشتانه شعراء ١ : ٥٣ .

فحين يطرد إبليس وتلحق به الهزيمة
يصبح إبليس عرضة للسخرية
وأما إذا انهزم الإنسان أمام إبليس الشيطان
ارتفعت في منزله صرخة النواح

خرشبون بن سربن السربني[1] :

ومن هؤلاء الشعراء الذين عاشوا في هذا العصر خرشبون بن سربن، ابن شقيق الشيخ البيتني الذي مر ذكره، ومن شعراء القرن الرابع الهجري، أدركته الوفاة سنة ٤١١هـ = ١٠٢٠م[2]. وقد عاش في بيت أبيه وترعرع جنباً إلى جنب مع إسماعيل بن بيت البيتني ، وكانت تربط بينهما بالإضافة إلى ذلك روابط أسرية وأدبية وشعرية قوية، حيث كان كل منهما من الشعراء الزهاد، وقد جرى بينهما ما يشبه التنافس في إنشاد الشعر، فقد أنشد إسماعيل أبياتاً شعرية عند رحيل ابن عمه خرشبون وفراقه :

إذا كان الرحيل الرحيل وإذا كان (هناك) فراق وانفصال
فإنه من جبال سليمان عزم خرشبون على الرحيل

فأجابه هذا الأخير برباعية شعرية تدور حول الموضوع نفسه، والمقطوعتان الشعريتان لا خروج فيهما على المألوف في تعاليم الدين الإسلامي .

وللشيخ خرشبون بن سربن السربني ثلاثة من الأبناء، وهم كند، وزمند، وكاسي، وكلهم من مشاهير أجداد الأفغانيين. وقد تحدث محمد بن داود خان الهوتكي صاحب « بنه خزانه = الكنز المكنون » عن سيرته، وعن عبادته، ورحلاته، والأماكن التي قضى فيها حياته بشيء قليل من التفصيل، وقد حفظ لنا رباعيته الشعرية التي أنشدها رداً على أبيات الشعر لإسماعيل بن سربن التي أنشدها في وقت فراقه ورحيله عنه[3]. وهذا مطلع رباعية الشيخ خرشبون :

(١) سيال مومند : د پشتنو قبيلو شجرى ٣٥ ، و٥٧ .

(٢) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١١٣ ، ورروهى أدب ١٤٧ .

(٣) پته خزانه = الكنز المكنون ١٧ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١١٢ .

تـرددت صرخـة الـفـراق والانـفـصـال في منـزلي
لسـت أدري ماذا سيحـدث (لي) في الأيام المـقـبـلة؟

الشيخ أسعد بن محمد سوري[1]:

الشيخ أسعـد بن محمـد السوري (الغوري) شاعر من شعراء الأفغانية، عاش في البلاط الغوري في القرن الرابع الهجري. وأدركته الوفاة سنة ٤٢٥هـ = ١٠٣٣م في مدينة بغنين (بغني الحالية) بين بلاد الغور وإقليم زميندوار. تربط بينه وبين البلاط الغوري ـ بالإضافة إلى كونه شاعر البلاط ـ صلة النسب والعرق والقربى، وأواصر الصداقة المتينة بينه وبين الأمير الغوري محمد السوري.

المعلومات التاريخية والأدبية الخاصة بهذا الشاعر، والأمير الغوري محمد السوري مستقـاة من مصادر أفغانية قديمة وحديثة، والمصادر القديمة هي: تاريخ سوري لمؤلفه محمد بن علي البستي، وقد فقد هذا الكتاب أثناء الأحداث المدمرة للمغول؛ وكتاب «لرغوني بشتانه = الأفغان القدامى» للشيخ كته بن يوسف الغورياخيل، وهو مفقود أيضاً؛ وكتاب « بته خزانه = الكنز المكنون » لمؤلفه محمد بن داود الهوتكي، وهو من الأوائـل الـذين ترجموا لشعراء الأفغان ؛ وكتاب طبقات ناصري لمنهاج الدين الجوزجاني؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير.

والأسرة السـورية أو الزورية[2] أو الغورية من أقدم الأسر الأفغانية ذات الميول والأذواق الأدبية في أفغانستان، وإليها ينتسب شاعرنا أسعد السوري، وإليها يصل تاريخ أقدم الآثار الأدبية التي تمت صياغتها كلها داخل الإطار الإسلامي، والتي لا تخرج في شيء على المألوف في التعاليم الإسلامية، وفي عصرها عاش عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء من أمثال أبي محمد هاشم بن زيد السرواني، وشكارندوي ابن أحمد الغوري، والشاعر أسعد بن محمد السوري الذي ينتمي إلى هذه الأسرة أصلاً وعرقاً، أدباً وشعراً، والذي شاهد بكلتا عينيه أحداث هجوم السلطان محمود

---

(١) راجع : پختانه د تاريخ په رنا کی ٣٧٤ ، وروهی أدب ١٤٨ ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١١٤ ـ ١٢٧ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ٤٨٦ .

الغزنوي على الغوريين ومحاصرته قلعة « آهنكَران = الحدادين » وأسره لصديقه محمد السوري ثم وفاته متأثراً بالهزيمة[1].

شاهد أسعد السوري هذه الأحداث المؤلمة، فأثرت فيه تأثيراً عميقاً، فتفجرت في نفسه عاطفة الوفاء لصديقه الأمير محمد، فرثاه بقصيدة قوامها ٤٤ بيتاً من الشعر الأفغاني مطلعها :

كيف أبدأ، وإلى من أرفع صرخة الشكوى مما أصابني
ذلك الذي يذبل كل زهرة تبتسم في الربيع نضارة[2]

والقصيدة في عمومها لا تخرج عن الرثاء الإسلامي لو استثنينا شكواه من الفلك، وتوجيه الخطاب إليه، وقد جرى في ذلك مجرى شعراء الدرية الأفغانية وبالإضافة إلى هذه الملحوظة فإن هناك في القصيدة ملحوظات أدبية ولغوية أخرى، منها كثرة المفردات العربية، والفارسية بوضوح، ومنها اشتمالها على مفردات أفغانية قديمة، ومنها اشتراكها مع القصيدة العربية والفارسية في المقدمة الطويلة قبل الوصول إلى الهدف .

الشيخ تيمن بن كاكر الكاكري :[3]

ونرى أن نذكر الآن من شعراء الأفغانية الذين نشأوا في هذه الديار، ذلك الشاعر التقي الزاهد الذي عاش في القرن السادس الهجري، والذي كان معاصراً للسلطان الغوري علاء الدين حسين سام الذي تولى الحكم سنة ٥٤٣هـ = ١١٤٨م. وتوفي سنة ٥٥١هـ = ١١٥٦م. وقد قضى الشاعر حياته في مدينة « كجران » في الجنوب من البلاد الغورية، وبها كانت وفاته، بينما كانت ولادته في إقليم كاكرستان. وقد ذكره الشيخ بستان البريسي في كتابه المفقود «بستان الأولياء» وحفظ محمد بن داود خان الهوتكي مقطوعة شعرية له، في كتابه « بته خزانه = الكنز المكنون » نقلها عن كتاب « بستان الأولياء »[4] .

(١) الكامل في التاريخ ٩ : ٩١ ، وتاريخ البيهقي ١١٧ ، وطبقات ناصرى ١٨٢ ، وبته خزانه ٣٨ ـ ٤٨ .
(٢) پختانه د تاريخ په رنا كى ٤٧٧ .
(٣) پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٣ .
(٤) د پشتو أدبياتو ٢ : ١٢٨ ، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

شكارندوي بن أحمد الغوري :

وهو أيضاً من شعراء الأفغان الذين قاموا بإنشاد قصائد غراء في القرن السادس الهجري، كان أبوه حاكم قلعة «فيروز كوه» وحاميها في بلاد الغور. وقد قضى هذا الشاعر الغوري حياته متنقلاً بين كل من « فيروز كوه » وغزنه، وبست . جاء ذكره، وذكر ديوانه في كل من كتاب تاريخ سوري لمؤلفه محمد بن علي البستي الذي شاهد ديوانه الكبير المفقود حالياً في بست(1). وجاء ذكره أيضاً في كتاب « لرغوني بشتانه = الأفغانيون القدامى » للشيخ كته بن يوسف الغورياخيل، وفي كتاب « بته خزانه = الكنز المكنون » للهوتكي الذي قال: إنه كان من العلماء في عصره، ومن الشعراء المعاصرين للسلطان شهاب الدين محمد سام الغوري، وقد مدحه، كما مدح السلطان غياث الدين الغوري. وله قصيدة غراء في مدح السلطان شهاب الدين محمد سام الغوري قوامها ٤٥ بيتاً من الأبيات الشعرية مطلعها :

قامت وصيفة الربيع بإعادة الزينات مرة أخرى
وقامت بنشر شقائق النعمان فوق الجبال مرة أخرى(2)

وهذه القصيدة الغراء من أمهات الأدب الأفغاني في هذا العصر، وهي تفوق في كثير من المزايا والفنون الأدبية المدائح الدرية التي تغنى بها شعراء الفارسية كالعنصري البلخي، والفرخي السيستاني، ومنوجهري في مدح السلطان محمود الغزنوي.

ملك يار غرشين :

بلبل مغرد آخر من الشعراء الأفغان الذين عاشوا وأنشدوا الشعر في القرن السادس الهجري، إنه من مشاهير الأفغان، ومن رجالهم في الأدب والصلاح والتقوى، وفي الذكر والزهد والتقرب إلى الله. عاش في العصر الذي عاش فيه السلطان الغوري معز الدين محمد الذي تولى الحكم سنة ٥٦٩هـ = ١١٧٣م، ومات شهيداً سنة

(١) پته خزانه = الكنز المكنون ٤٧ ـ ٤٩ ، وعبدالباقي لطيفي : أفغانستان ويك نكاه إجمالى ٢٨ .
(٢) پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٩٦، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٢٩ ـ ١٤١ ، وروهى أدب ١٢٥ ـ ١٣١.

٦٠٢هـ = ١٢٠٥م . وقد اشترك معه بقلمه وسيفه في غزوة «تراوري» في سهل «تانوار» في الهند. وقد أنشد وهو في ساحة القتال قصيدة حماسية رجزية(١)، يدعو فيها المجاهدين الأفغان إلى التحلي بالصبر، وتحمل مشقة القتال لنيل النصر، والفوز بالرضا الإلهي . وهذه الرجزية من المفاخر الأدبية التي ورثها الأدب الأفغاني من ذلك العصر. وكان الهدف من إنشادها إثارة الحماس الإسلامي في قلوب الجند الذين كانوا يخوضون معارك إسلامية رائعة في بلاد تبعد عن موطنهم بآلاف الأميال . . وقد حاربوا ببسالة إسلامية نادرة الهندوس في بلاد الهند(٢) .

ويؤكد نعمت الله الهروي ذلك، ويضيف في كتابه « مخزن أفغاني » أن الشاعر الزاهد ملك يار غرشين كان أيضاً معاصراً للشيخ أبي بكر الطوسي، وقضى حياته في المسكن الذي وهبه له السلطان شهاب الدين محمد الغوري في دلهي وقد أدركته الوفاة هناك، ودفن بجوار قبر الطوسي(٣) .

ويؤكد سليمان بن بارك خان ـ قبل نعمت الله بأربعة قرون(٤) ـ أن العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر الزاهد يوافق عصر السلطان شهاب الدين محمد الغوري، وأنه شاركه وصاحبه في بعض المعارك الجهادية التي نفذها في الهند لإعلاء كلمة الله . ومن المعروف أن السلطان محمد الغوري قد نفذ هجومه على ملتان سنة ٥٧١هـ = ١١٧٥م، فأصبح من المؤكد أن العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر هو القرن السادس الهجري(٥). ويتبين مما يقوله كل من سليمان ونعمت الله أنه كان حياً حتى بعد عام ٥٠٠هـ = ١١٠٦م بمدة طويلة(٦).

ويبدو واضحاً مما يقوله كل من سليمان ونعمت الله أن الشاعر، كان متصفاً بصفات حميدة. . بالتقوى والورع، وبالشجاعة والإقدام، وبالسيف والقلم، وبالثقافة

(١) كاكا خيل : پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٢) پشتانه شعراء ١ : ٥٤ ، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٩ .

(٣) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤١ ، نقلاً عن «مخزن أفغاني» مخطوط .

(٤) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٠٦ .

(٥) المرجع السابق ٢ : ١٤٢ .

(٦) پشتانه شعراء ١ : ٥٤ ـ ٥٧ .

والاطلاع، وبإنشاد شعر الآخرين وحفظه من المشهورين في عصره، وبذكر الله في الحياة والذكر الطيب بعد المات. فقد قام السلطان فيروز شاه في مدينة «فيروز آباد» التي بناها بالقرب من دلهي بعد وفاة الشاعر بمائتين وخمسين عاماً ـ منزلاً كبيراً (رباطاً) باسم هذا الشاعر، مضافاً إلى اسمه «بران = الطائر» إحياء لذكراه الطيبة .

وفيما يلي ترجمة معنى القطعة الشعرية التي أنشدها الشاعر وهو يخوض معركة الجهاد لإعلاء كلمة الحق . .

نص (٤)

إن الله معنا[1] بقدرته وهو يلهمنا طريق النصر
وقد آن الأوان لنخوض حرباً فجائية ضارية
في بلاد غريبة نائية هي لغيرنا
تنبهوا يا معشر المجاهدين والمناضلين والفدائيين
إن الله ناصرنا بقدرته وهو يلهمنا طريق النصر
سنوا سيوفكم لتكون نافذة ماضية
مزقوا بها أعداءكم إرباً إرباً
فلماذا نهرب ؟ ولماذا الفرار والهرب؟
إن الله ناصرنا بقدرته وهو يلهمنا طريق النصر
لو أننا ثبتنا[2] قلوبنا وقوينا عزيمتنا
فإننا منتصرون بنصره ، والنصر العزيز حليفنا
نحن أسود في ساحات الوغى والقتال
لأن الإسلام ، ديننا وهو مصدر إلهامنا
إن الله ناصرنا بقدرته وهو يلهمنا طريق النصر

---

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى في سورة التوبة «إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» الآية ٤٠ .

(٢) المعنى مأخوذ من قوله تعالى في سورة الأنفال «وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام» الآية ١١ ، ومن قوله تعالى في سورة الأنفال أيضاً «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا» الآية ٤٥ .

هلمــوا ، هلمــوا يـا مـعـشــر الأبـطــال فـي الجـهــاد
تجمـعـوا كلكـم مـن جميــع الأطــراف وكـل الجـهــات
احمــوا شـهــاب الــدين ، واســنـدوا ظـهــره بقـــوة
قـطـعـــوا أعـداءكـــم إربـاً واقـتـلـوهـــم قـتـــلاً
إن الـلـه معـنــا بقــدرتـه وهــو يلهـمـنــا طـريـق الـنـصــر[1]

الشـاعر تايمنـي :

تايمني شاعر أفغاني مجهول، يرجع الفضل في العثور على قصيدة له في مدح غياث الدين الغوري، إلى الأستاذ عبدالحي حبيبي رحمه الله[2]. وعلى الرغم من أنه شاعر مجهول ولا نكاد نعرف عنه إلا القليل، إلا أن شعره الموجود حالياً يحمل في طيه ملامح الفكر الإسلامي في المدح من ناحية، ومن ناحية أخرى يشبه في شهرة أشعاره في محيطه الشعبي أشهر شعراء عصره، بل يفوقهم في ذلك حيث ما زال بعض من شعره محفوظاً في صدور الناس في سهول إقليم زميندار وجباله، ويتغنى به الشباب في مجالسهم الشعبية[3]. ومن هنا كان لا بد أن أتحدث عنه في هذا الفصل .

والشاعر المجهول تايمني أحد الشعراء الأفغان الذين أنشدوا الشعر ولهجوا به في عصر الغوريين الذين ناصروا الأدب الأفغاني، وكان يعيش في زميندار في أيام غياث الدين الغوري، ومقطوعته الشعرية التي تم العثور عليها سنة ١٣١٠هـ ش = ١٣٥٢هـ ق = ١٩٣١م في هذا الإقليم تشتمل على نقطتين أساسيتين. . مدح السلطان غياث الدين، والإشارة إلى بعض رموز الحضارة الإسلامية التي كانت منتشرة في المدن الأفغانية على شواطىء نهر هلمند.

(١) روهى أدب ١٩٠ ، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٩ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٣ ، وپشتانه شعراء ١ : ٥٤ ـ ٥٧ ، نقلاً عن تذكرة الأولياء لسليمان بن بارك خان ـ مخطوط .

(٢) پختانه د تاريخ په رنا كى ٣٨٥ ، وپشتانه شعراء ١ : ٥٧ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٥ ، وپشتو وپشتانه ٣٦٢ .

(٣) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٥ .

والنقطة الأولى هي التي تحدد العصر الذي عاش فيه الشاعر المجهول، حيث إنه مدح غياث الدين الذي حكم هذه الأقاليم الغورية في القرن السادس الهجري، وبناء على ذلك نرجح أنه من شعراء هذا القرن، وبالإضافة إلى ذلك فإن الجوزجاني مؤرخ الغوريين يتحدث أيضاً عن بعض النقاط والرموز الحضارية الواردة في قصيدة تايمني[1] مما يؤيد أنه من شعراء القرن السادس الهجري، وكلاهما « الشاعر المجهول والمؤرخ الجوزجاني من رموز ثقافة العصر الغوري الذي ينتميان إليه.

وفيما يلي ترجمة معنى المقطع الأول من المقطوعة الشعرية لهذا الشاعر المجهول التي سمعها الأستاذ حبيبي بنفسه من أحد الشيوخ كبار السن في زميتداور، وسجلها في كتابه « د بشتو أدبياتو تاريخ = تاريخ أدبيات البشتو» الجزء الثاني صفحة ١٤٦ .

نـص (٥)

لسـاني يلهـج اليوم مغـرداً بمـدح السـلطان والثـنـاء عليه
لشرفـه ونبـله وجهـاده، ولشـمـول سلطانـه العـالم
إن ضياء « فيروز كوه » ونـور بلاد الـغـور من ضيائـه ونـوره
وإن بريق السـيوف الحـادة الماضـية من نوره أيضـاً
حينـما يقـوم بسحب السيف وإخـلاء الغمـد منـه استعـداداً للمبارزة
لا يتـجـرأ العـدو أن يبـارزه بسـيفـه في الـنـزال
إن أسـد الـغـور غياث الـدين رفـيع الـشـأن عالي الهـمـم
فقـد أصبـح الإسـلام مضـيئـاً مشرقـاً بحـد سيفـه[2]

قطب الدين بختيار الكاكي :

ويجب أن نذكر من شعراء الأفغانية المشهورين الذين نشأوا خارج البلاد، ذلك الشـاعـر الأفغـاني الـذي أنشد الشعر بالأفغانية والدرية، ونقصد به قطب الدين بختيار، وهو معروف بهذا الاسم لدى جميع المهتمين بدراسة الأدب الأفغاني ولغته،

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٦ ، وپختانه د تاريخ په رنا کی ٣٨٥ .

(٢) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٦ ، وپختانه د تاريخ په رنا کی ٣٨٥ - ٣٨٦ ، وأفغانستان ويكـ نكاه إجمالي ٢٨ .

واسمه بالكامل قطب الدين بن أحمد بن موسى البختياري المنسوب إلى قبيلة « بختيار » الأفغانية الشهيرة التي تتناثر قراها الكثيرة حتى الآن في منازل الأفغان الواسعة، وبخاصة في سفوح جبال سليمان التاريخية الشهيرة[1]. وهذا الشاعر الزاهد قطب الدين البختياري من رجال الأفغان الصالحين، وشعرائهم المشهورين، وشهرته في البلاد الهندية أكثر من شهرته في بلاد الأفغان. وله فضائل أخرى دينية وعلمية بالإضافة إلى ما امتاز به من شاعرية رقيقة.

إن مناقبه في عالم المعرفة الإلهية، وعظمته العلمية والأدبية أظهر من الشمس، يتحدث عنه وعن علمه ومناقبه التاريخية، وصلاحه في السلوك كل من أرخ للأفغان وشخصياتهم التاريخية والأدبية، وبخاصة المؤرخ الأفغاني سليمان بن بارك خان في «تذكرة الأولياء» ونعمت الله الهروي في « مخزن أفغاني » ومحمد قاسم هندوشاه في «تاريخ فرشته » وصاحب « مخبر الواصلين » وأبو الفضل علامي في « أيين أكبري » وغيرهم كثيرون .

ولد سنة ٥٧٥هـ = ١١٧٩م في مدينة « أوش » أو « أوج » الأولى إحدى مدن ما وراء النهر، والثانية مدينة من مدن السند في الهند، فتحها السلطان شهاب الدين الغوري، وقد أدركته الوفاة سنة ٦٣٣ أو ٦٣٤هـ = ١٢٣٦ أو ١٢٣٧م ودفن في مدينة دلهي.

كان معاصراً لكل من الشيخ معين الدين السجزي، والشيخ جلال الدين، والشيخ بهاء الدين زكريا، والشيخ يحيى البختياري، والشيخ شهاب الدين البختياري، والشيخ شاه أبوبكر البختياري[2]، وغير هؤلاء من مشاهير قومه. والأهم من كل ذلك كان معاصراً للمؤرخ الأفغاني سليمان بن بارك خان صاحب كتاب «تذكرة الأولياء »[3].

له ديوان باللغة الدرية يشتمل على غزلياته الشعرية في الزهد، إلا أن شعره الدري

(١) پشتانه شعراء ١ : ٦٠ - ٦٤ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٨ - ١٥٢.

(٢) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٤٨ ، نقلاً عن مخزن أفغاني لنعمت الله الهروى .

(٣) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٥٠ .

لا يصل في الجودة والمتانة إلى درجة شعره الأفغاني حيث تغلب عليه سمات التكلف الشعري والتعقيد المعنوي، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن اللغة الدرية تعتبر لغة أجنبية بالنسبة له، ومن الجائز أن يكون السبب موضوعات الديوان التي لا تخرج في مجموعها عن الرمز، ومن هنا لا نرى في شعره الدري تلك السهولة والجزالة اللتين يتميز بهما شعره الأفغاني في إطاره البلاغي الأصيل(١).

الشيخ متي بن عباس المتيزي :

عني بدراسة الشيخ متي بن عباس المتيزي عدد من الكتاب والمؤرخين الأفغان قديماً وحديثاً، ونظروا في أدبه وسيرته . وممن هم من السابقين في ترجمته نعمت الله الهروي في كتابه « مخزن أفغاني » والشيخ جخوند درويزه في كتابه تذكرة الأبرار والأشرار، ومحمد حيات خان (ديتـي) في كتابه «حيات أفغاني» وپيـر محمد الهوتكي في كتابه المنظوم «أفضل الطرائق» والمؤرخ الأديب محمد بن داود خان الهوتكي في كتابه القيم « پـتـه خزانه = الكنز المكنون » والبروفيسور عبدالحي حبيبي في كتابه « دپشـتو أدبياتو تاريخ = تاريخ أدبيات البشتو » الجزء الثاني، والبروفيسور محمد نواز طائر في كتابه « روهي أدب ».

هذا الشاعر الذي يشتهر بالورع والتقوى، والزهد في الدنيا ومتاعها هو الشيخ متي ابن عباس بن عمر بن خليل بن غوريا بن كند بن خرشبون بن قيس (عبدالرشيد) ولد سنة ٦٢٣هـ = ١٢٢٦م ، وتوفي في « ترنك » سنة ٦٨٨هـ = ١٢٨٩م، وكان عمره عند وفاته ٦٥ سنة، كان جده الأكبر خرشبون أديباً وشاعراً، كذلك كان شقيقاه حسن وأمـران، وشقيقته خالة من مشاهير الأفغان(٢) في العلم والأدب، وفي علوم الدين والفضائل الدينية والأدبية. وقد نشأ في هذه الأسرة التي يتردد اسمها في كتب التاريخ والأدب مصحوباً بالثناء والمدح ـ عدد كبير من الشعراء والأدباء والمؤرخين،

---

(١) انظر في ترجمة الشيخ قطب الدين البختياري : پشتانه شعراء الجزء الأول، ود پشتو أدبياتو تاريخ الجزء الثاني، ومخزن أفغاني، وتاريخ فرشته، وآيين أكبرى، ومخبز الواصلين، ورهنماى أفغانستان، وأفغانستان ويک نگاه إجمالي وأفغانستان والأدب العربي عبر العصور، وروهي أدب ١٧٥ .

(٢) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٣ ، و «پته خزانه = الكنز المكنون ٢٣ .

وأهل العلم والفضل في علوم الدين، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ الشيخ كته بن يوسف بن متي صاحب كتاب « لرغوني پشتانه = الأفغان الأقدمون » وهو كتاب في التاريخ الأفغاني مفقود. وكان الشيخ كته بن يوسف ـ كما يقول التاريخ ـ من أولياء الله الصالحين، وقد توفي في حوالي سنة ٧٥٠هـ = ١٣٤٩م .

٢ ـ الشيخ قدم بن محمد بن زاهد بن ميرداد بن سلطان بن كته بن يوسف بن متي المتيزي الذي كان يعيش في سرهند بالهند، وبها توفي ، وكان على قيد الحياة في حوالي سنة ٩٥٦هـ = ١٥٤٠م .

٣ ـ الشيخ قاسم بن قدم بن محمد بن زاهد بن ميرداد بن سلطان بن كته بن يوسف بن متي المتيزي الذي فتح عينيه على الدنيا سنة ٩٥٦هـ = ١٥٤٩م ، ألف كتابه القيم المفقود « تذكرة أولياء أفغان » يعني تاريخ أولياء الأفغان الصالحين[1].

٤ ـ الشيخ كبير بن قاسم بن قدم، الذي كان من الرجال الصالحين في الأفغان، وكان يتمتع بشهرة عظيمة في الأدب وسمعة طيبة في السلوك والأخلاق وعلوم الدين .

٥ ـ الشيخ إمام الدين بن كبير بن قاسم المولود في سنة ١٠٢٠هـ = ١٦١١م ، الذي ألف كتابين في التاريخ والأدب أحدهما « تاريخ أفغان » والآخر «أولياء أفغان»[2].

هكذا نرى أسرة الشيخ متي بن عباس وكأنها مدرسة علمية تخرج فيها أبناؤه وأحفاده من الأعلام جيلاً بعد جيل، إنها أسرة قد أخذت بحظها من القول الضارب في عالم الأدب، ودنيا المجردات، وفي مجال التاريخ والزهد، وقول الشعر، والتأليف .

ومن آثار الشيخ متي بن عباس المتيزي كتاب اسمه « د خداي مينه = محبة الله » ألفه في كندهار. والكتاب ـ كغيره من الكنوز الأدبية ـ مفقود إلا أن محمد بن داود خان الهوتكي قد حفظ لنا منظومة واحدة من منظومات الكتاب الشعرية، ولهذه المنظومة قيمة أدبية كبيرة بحيث تجعل صاحبها وناظمها يقف في الصف الأول جنباً إلى جنب

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ١٦٦ .

مع الشعراء الممتازين من أمثال فريد الدين عطار، والحكيم سنائي غزنوي، وجلال الدين البلخي وغيرهم من شعراء الدرية، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يعد إمام أدب الزهد في أفغانستان[1]، حيث سار على هذا المنهج الشعري كثير من الشعراء الأفغان في العصور التالية لعصره من أمثال ميرزا خان أنصاري، ودولت الله لوانى، وعبدالقادر خان ختك، وعبدالرحمن بابا وغيرهم من الشعراء الأفغان الذين أنشدوا قصائدهم على منواله الفكري، ونهجوا في ذلك نهجه الشعري .

شاعر الجمال متي بن عباس المتيزي يصف الجمال ويبحث عنه في عالم الطبيعة الساحرة لاتخاذه نقطة انطلاق للوصول إلى الإيمان بمبدع هذه الطبيعة ويبدو أنه متأثر في ذلك بالصورة الجميلة التي يقدمها القرآن الكريم للطبيعة وبخاصة في سورة النحل. فقد قدم القرآن الكريم فيها صورة شاملة للطبيعة، خالية من الأساطير والخرافات ليتخذها المسلمون موضوعاً للتفكير والتأمل، وموضعاً للانتفاع، ومحلاً للاستثمار. وهذه الصورة النقية الكاملة ليست هي الغاية، وإنما هي نقطة انطلاق للوصول إلى خالقها ومبدعها، فعن طريق التفكر والتأمل في آفاقها الواسعة يصل المسلم إلى مبدعها، وعن طريق التمتع بجمالها وزينتها يتذكر مُبدعَ جمالها، ويؤمن بقدرته الفائقة في خلق علامات خاصة بجمالها يستعين بها الفكر في الوصول إلى خالق الجمال .

نص (٦)

فوق الجبال العالية ، وفي الأودية الواسعة كذلك
وفي أوقات السحر المبكرة ، وفي أواسط الليالي
في أصوات ترانيم التبتل ، وفي أنغام العزف على الناي
وفي نغمات ناي المحزونين المكتئبين بالمآتم
كل ذلك صيحات ذكرك ، ونداءات التوقير والاستقامة

* * *

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨ ، وروهى أدب ١٧٥ .

إن كانت الزهرة تظهر نابتة متفتحة في الفلاة
وإذا كانت تبتسم بجوار الروضة الكبيرة العالية
وإذا كان نهر « ترنك » معكر المياه من البكاء
فإن ذلك كله دليل قدرتك
إن جمال كل هذه المظاهر ورونقها من جمال قدرتك
يا ملك الملوك ، أنت تعلو ، ولا يعلى عليك(١)

* * *

إذا كانت الشمس مضيئة بشعاع وجهها
وإذا كان جبين القمر منيراً بضوئه
وإذا كان الجبل جميلاً مجللاً بعلوه
وإذا كان وجه النهر كالمرآة في الصفاء
فإن كل ذلك شعلة من تجليات نورك(٢)
وإن هذا مظهر مصغر من مظاهر تجلياتك(٣)

* * *

هنا تخضر جبال عالية عظيمة شامخة
تسري فيها نسائم الحياة وروحها
تطوف الفراشات مغردة متناثرة في كل صوب
تتحير العيون في رؤية مشاهدها

---

(١) المعنى العام وهو مظاهر الجمال في عالم النبات مأخوذ من قوله تعالى: «هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر» النحل ١٠ ، ومن قوله تعالى: «والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها» النحل ٦٥ .

(٢) معنى هذا المقطع الشعري مأخوذ من قوله تعالى: «الله نور السموات والأرض» النور ٣٥ ، ومن قوله تعالى: «وأشرقت الأرض بنور ربها» الزمر ٦٩ .

(٣) الشاعر يجول بين عالم الأفلاك وعالم البحار ، والمعنى مأخوذ من قوله تعالى: «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» النحل ١٢ ، ومن قوله تعالى: «وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا» النحل ١٥ ، ومن قوله تعالى: «وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها» فصلت ١٠ .

أيها المالك العظيم! أنت وحدك خالق كل شيء
أنت وحدك تجعل الدنيا جميلة رائعة دائماً[1]

* * *

إن فؤادي مسكن لحبك ومقر له وحده
يضطرب بخفقانه إليك ، ومن أجلك
وإذا لم يخفق لذلك فهو كالعدم لا قيمة له
إنني سعيد مبتهج برؤية (مناظر) جمالك
لولاه ، فإنه لا محالة ضائع هالك

* * *

أيها الناس ! لماذا يبكي « متي »
تسمع بكاءه كل أذن في الشواطىء والأنحاء
ماذا يريد ؟ وماذا يقول ؟ وماذا يفعل؟
يطلب مسكنه ، ومنزله ، وقريته
إذا بعد البلبل وأصبح منفرداً وحيداً
فإنه يذرف الدموع دائماً من أجل الحديقة

هوتك بن بارو بن تولر:

نذكر من شعراء الأفغانية المعروفين الذين نشأوا في هذا العصر، ولهجوا بالشعر ذلك الشاعر، والشيخ الذي سخر شعره الأفغاني للدفاع عن العقيدة الإسلامية والوطن أثناء الحروب والمعارك التي كان الأفغان يخوضونها ضد المغول الذين دمروا الشعوب الإسلامية وحضاراتها وآدابها ونقصد به الشيخ هوتك بن بارو بن تولر من أحفاد الشيخ غلجي . وترجع هذه الأسرة بنسبها إلى الجد الأمجد بيت البيتني الذي مر ذكره، وهي أسرة ذات مجد تليد، وزعامة أدبية، ومكانة دينية واجتماعية، ومنزلة

(١) المعنى مأخوذ من قوله : «والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها» النحل ٦٥ ، ومن قوله تعالى: «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً» يس ٣٣ .

سياسية مرموقة في المجتمع الأفغاني، ظهر فيها عدد كبير من العلماء والأدباء، والقادة الميدانيين. وقد ولد الشيخ هوتك بن بارو بن تولر الذي عرف فيما بعد ببابا هوتك في هذه الأسرة التي تجمع الخير والمجد من أطرافه، وكان كأسلافه شاعراً مرموقاً، وقائداً مغموراً، وزعيماً مشهوراً، ومصلحاً معروفاً في عصره، قام بنفسه بقيادة حروب الأفغان ومعاركهم ضد المغول، وهو في سن متقدمة من عمره.

وقد ولد هذا الشاعر الزاهد، والزعيم المجاهد سنة ٦٦١هـ = ١٢٦٢م في «أتغر» بين كندهار، وكلات، وهي من منازل القبائل الهوتكية والتوخية حتى اليوم[1]، وقضى عمره في التعبد، والزهد، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من الشهرة والسؤدد، والسمعة الطيبة بين بني الأفغان في حياته، وحتى بعد مماته، وما كان له من القيادة والريادة في الحرب والأدب، وقول الشعر، وكان مشهوراً ـ كذلك ـ بالورع والتقى، والخشية من الله، ومن هنا كان يعظ الأفغان ويذكرهم ويزهدهم في متاع الدنيا، ويرغبهم فيما عند الله من أجر عظيم للذين يجاهدون في سبيله. وقد تقدمت به الأيام حتى بلغ من العمر ٧٩ عاما، وأدركته الوفاة سنة ٧٤٠هـ = ١٣٣٩م[2].

الشيخ هوتك بن بارو بن تولر أول شاعر أفغاني، ومصلح ديني، يرفع سيفه وقلمه للدفاع عن العقيدة الإسلامية، ويدافع بفكره وعلمه عن الوطن أثناء حروب المغول الذين كانوا يقومون بغاراتهم الوحشية ضد المسلمين الأفغان في كل من «أتغر» مسقط رأس الشاعر العجوز، وأولان، وكلات، ومرغه، وغيرها من منازل القبائل الأفغانية المسلمة المحيطة بشواطىء نهر أرغنداو. فقام هذا الزعيم الشاعر بجمع القبائل الأفغانية التي هاجمت المغول وجيشهم الجرار بالقرب من جبل يدعى «سورغر = الجبل الأحمر»[3] وتمكنت من إلحاق الهزيمة بهم، وانتصر المسلمون نصراً عظيماً. وقد خاضت القبائل الأفغانية بقيادته عدة حروب دفاعية مظفرة ضد المغول، وقفت فيها صامدة أمام غاراتهم الوحشية المدمرة التي كانوا يقومون فيها بعمليات الإبادة والدمار

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨، ورهنماى أفغانستان ١٧٨.

(٢) أفغانستان ويكـ كّاه إجمالي ٢٨، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨.

(٣) پته خزانه ٧.

والتخريب، إلى جانب عمليات النهب والسلب[1] في الجنوب الغربي من أفغانستان .

وهو أول من رفع من الشعراء الأفغان راية المقاومة الإسلامية والوطنية في وجه دمار المغول وخرابهم، واعتداءاتهم المتكررة بغرض القضاء على مظاهر الحضارة الإسلامية والآثار الأدبية والعلمية في البلاد الأفغانية، وجاهد بقوة شعره، وأدبه، وفكره، وهو لذلك يعتبر بحق إمام أدب المقاومة الإسلامية، وباعثه الأول، فقد مهد لمن أتى بعده من شعراء المقاومة الإسلامية في منازل الأفغان كشعراء أسرة الزعيم خوش حال خان ختك وشعراء المدرسة الروشانية وغيرهم .

ومن المعروف أن عمليات الدمار والخراب والإبادة قد رافقت المغول، وعمت البلاد الأفغانية، وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى. . فقد أبادوا كل من قابلهم من الشعوب الإسلامية ودمروها، كما دمروا كل ما صادفهم من الحضارة الإسلامية وآثارها التي كانت تسود البلاد والبقاع، وكان يسود معها الأدب والعلم والمعرفة. . . إن أكثر الكنوز الأدبية في أفغانستان قد ضاعت واختفت أثناء هذا الهجوم المدمر .

وهكذا استطاع الأفغان بقيادة الشيخ الشاعر هوتك الذي كان به لهفة وتشوق للقاء العدو أن يقفوا في وجه هؤلاء الطغاة وطغيانهم صامدين، وأن يحافظوا على حريتهم واستقلالهم .

أسلوب الشاعر في منظومته الشعرية :

يتلقى الشاعر إلهامه من روح المقاومة الإسلامية، وله ارتباط قوي متين بهذه المقاومة الباسلة، يصور ذلك في أسلوب سلس، يتميز بسهولة الأداء، وتصوير المشاعر الإسلامية، والأحاسيس الوطنية، لا يميل في ذلك إلى الغموض والإبهام، عباراته وكذلك كلماته، ومعانيه بسيطة مختارة، يثير بقوة شديدة مشاعر الأفغان الإسلامية ويدعوهم للاشتراك في الدفاع عن كيانهم الإسلامي وعقيدتهم ووطنهم .

---

(١) پختانه د تاريخ په رنا كى ٤١٨ ـ ٤٢٠ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨ .

يصور المعاني والمفاهيم بشكل سهل بسيط ويعبر عنها تعبيراً بارعاً، وبطريقة سهلة واضحة جلية لا خفاء فيها ولا إبهام، يناجي الأفغان ويناديهم، ويخاطبهم ويثير مشاعرهم وأحاسيسهم الإسلامية، عليه جلال المؤمن المجاهد، ووقار الداعية إلى الله، كل ذلك بجنان ثابت، وبيان ساحر، وعلم واسع، يهز أفئدتهم، فقد وهبه الله قبولاً وتأثيراً، فلبوا الدعوة، ورفعوا الصيحة، هللوا وكبروا، وتواثبوا على العدو المغولي .

وبالجملة فإن منظومته الشعرية ككل باقة جميلة من الشعر الأفغاني في أدب المقاومة الأفغانية الإسلامية، أنارت الطريق لمن أتى بعده من الشعراء الأفغان . . وفيما يلي ترجمة هذه المنظومة الشعرية . .

إن النار قد اشتعلت اليوم، وأضرمت لنا فوق الجبل الأحمر
أيها الناس، لقد نالنا اليوم العار، وتجسد أمامنا
فقد أغار علينا المغول ودخلوا القرى والمنازل لإذلال من فيها
هاجموا غزنه، وكذلك هاجموا كابل، ودخلوهما مغيرين

* * *

أيها الأبطال ، انهضوا غيرة ، فهذه هي فرصتكم
فإن المغول قد جاءوا مغيرين بسرعة خاطفة
إن غاراتهم وعمليات نهبهم وسلبهم جارية في أرض الأفغان
ها قد أغاروا ، ودخلوا القرى والمنازل للتسلط عليها

* * *

يا أبطال « مرغة » ومغاويرها ، أقدموا
انهضوا غيرة على أرض الأفغان وحماية لها
اصقلوا سيوفكم ، واربطوا كنانة النبال فوق ظهوركم
فقد أغار المغول ، ودخلوا القرى والمنازل للتسلط عليها

* * *

أيها الشباب ، ارموهم ، وارجموهم بنبالكم

واضـــــربـوهـم ومـزقـوهـــم بـسـيـوفـكـم الـبـتـــارة
تـقـدمـــــوا إلـيـهـــم بـصـدوركـــم الـقـــويـة
هـا قـد أغـار المـغـول ، ودخـلـوا الـقـرى والمنـازل للتسلط عليهـا

* * *

إن دمـــاء شـــبابنـا تـســيـل جـــاريـة متـدفـقـــة
تـنـقـلـــب بـهـــا الأرض والـجـبـــال إلـى الـلـــون الأحمـــر
والأعــــداء يـهـــربـون مضـــطـــربـين فـــي خـــوف ورعـــب
هـا قـد أغـار المـغـول ، ودخـلـوا الـقـرى والمنـازل للتسـلط عليهـا

* * *

أيهـا الأفـغـان ، أسـرعـوا ، فـقـد نشـب القتـال فـوق الجبـل
إن الـجـبـــل الأحـمـــر قـد تـلـــوث بـدمـــاء الأعـــداء
إن الـــوقـــت وقـــت البـطـولـــة ، وإن الـوقـــت وقـــت الغيـــرة
هـا قـد أغـار المـغـول ، ودخـلـوا الـقـرى والمنـازل للتسلط عليهـا

* * *

أيـهـــا الـشـبـاب ضـحـــوا بحياتـكـــم غيـــرة وفـــداء للأوطـــان
مزقـــوا عـــدوكـم بنـبـــالـكم وسـهـامـكـم الخـارقـة النـافـذة
واحـرســــــوا دائـمـــــاً أرض الأفـغـــان مـن الأعـــداء
فقـد جـاء المـغـول ودخـلـوا الـقـرى والمنـازل للتسـلـط عليهـا(١)

* * *

ملـك يـار الهوتكـي :

الشيخ ملك يار بن هوتك بن بارو بن تولر الهوتكي من أكبر أبناء العشيرة الهوتكية ، قضى شطراً غير يسير من حياته في الجهاد إلى جانب والده ، وخاض الحروب والمعارك التي خاضها أبوه ضد غارات المغول دفاعاً عن العقيدة والوطن .

---

(١) پختانه د تاريخ په رنا کی ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨ .

نشأ الشيخ ملك يار الهوتكي أكبر أبناء والده في بيت يتضوّع الورع والتقى والسؤدد في كل ركن من أركانه، ونهل من علمه وشهرته وأدبه، وكان البيت يمثل جل خصائص الأمة الأفغانية المسلمة في ذلك العصر، فهذا البيت كان كقاعدة عسكرية للأفغان الذين كانوا يحاربون المغول، ويدافعون عن عقيدتهم ووطنهم، وبالإضافة إلى ذلك كان البيت مركزاً من مراكز التعليم والتوجيه للقبائل الأفغانية، وصورة صادقة للمجتمع الأفغاني المسلم الجاد الذي كان يعمل ليلاً ونهاراً للدفاع عن الدين والوطن بالجهاد والنضال في سبيل الله.

كان الشيخ ملك يار الهوتكي حين وفاة والده شاباً موفور الصحة دفاق الحيوية، ممتلئاً فتوة وفروسية، متأججاً شوقاً إلى الجهاد، شديد الحنين إلى استئنافه تحت رايته، وكان شاباً مفتول العضلات ضخماً كبير الجسم والهيكل، شجاعاً يواجه بمفرده عشرة من المحاربين الأقوياء في وقت واحد . . وكان يخطو نحو السادسة والعشرين من عمره عند وفاة والده[1].

وكان الأفغان يعرفون فضله، وشجاعته النادرة، وشمائله الطيبة، ومزاياه القتالية والجهادية، وكانوا يتمنون لو أتيح له أن يتولى أمر جهادهم ليحاربوا المغول تحت قيادته، ولكي يحظى بشرف قيادة الجهاد بعد أن حظي بشرف هذا الجهاد بقيادة والده، وحظه بشرف السيادة والريادة في القوم معروف، وبذلك يمكن أن يجمع الخير والشرف من كل أطرافه.

ولد الشاعر ملك يار الهوتكي الذي ورث القيادة والريادة والسيادة، كما ورث الشاعرية وإنشاد الشعر عن آبائه سنة ٧١٥هـ = ١٣١٥م[2]. ولكن لا نعرف تاريخ وفاته ومكانها. وقد قضى كل مراحل حياته المتعددة الجوانب في سهول كلات. وسفوح جبالها الراسخة بمنطقة تدعى «سوري»[3] مأوى القبائل الهوتكية حتى اليوم.

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٢) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٨ ـ ١٧٠ .

(٣) سورى : اسم إقليم في أفغانستان انتشر منه أكثر القبائل الأفغانية شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، ومعناه الظل .

وقد قام الزعيم الجديد ملك يار الهوتكي بتشجيع القبائل الأفغانية، ودعاها إلى الاهتمام بالشؤون الزراعية والعمرانية، وإعمار الإقليم، فلبت القبائل الدعوة، وقامت بحفر القنوات والجداول المائية لري الأراضي الزراعية، وقد تقدمت المنطقة زراعياً إلا أن المغول قاموا بتخريب القنوات والجداول المائية، وتدمير البيوت والقرى، وإحراق الأشجار والغابات، والقضاء على المناطق الزراعية وما فيها من المحاصيل الزراعية فتفرقت القبائل الهوتكية، وتشتت، واضطرت إلى الانتقال والاستقرار في كل من مناطق «مرغة» و «جوب» و «وازه خوا» وغيرها من المناطق المحيطة بإقليم «سوري» وأطرافه. ولكن الزعيم الشاعر لم يخضع للذل. ولم يستسلم لليأس، فقام بجمع القبائل المتفرقة، وحارب المغول، وانتصر عليهم، وتمكن من طردهم واسترداد موطن القبائل الهوتكية، وتحريره بعد تطهيره من دنس المغول، وتم إعماره مرة أخرى[1].

حارب الشيخ الشاعر ملك يار الهوتكي جحافل المغول، واشتبك معها في معارك كثيرة، وكان يعاونه في ذلك ابن عمه الشجاع الشيخ نور بن الشيخ ملخي بن بارو بن تولر، لما كان بين أبناء العمومة من الصلات الواشجة في القربى، ولما كان بينهما من الصداقة والود، وقد ظل الشيخ ملك يار بتعاون من ابن عمه الباسل الشيخ نور، يتقلب في هذه الأجواء الجهادية، ويزلزل أقدام الأعداء، ويمزق صفوفهم، ويفرق جموعهم حتى وافاه الأجل المحتوم، ومضى إلى ربه راضياً مرضياً، وترك من خلفه ذكرياته الغنية بروائع البطولات، المكللة بأروع الانتصارات الإسلامية، إلى جانب ما تركه لنا من ذكرياته الأدبية، والشعرية الجميلة.

وقد استمرت الزعامة السياسية والريادة الأدبية في هذه السلالة جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلى مؤسس الدولة الهوتكية الحاج ميرويس خان الهوتكي الذي ينتمي إلى هذه الأسرة، والذي حرر كندهار، وأعلن تأسيس الدولة الهوتكية المستقلة في حوالي سنة ١١٢٠هـ = ١٧٠٨م، بعد أن تمكن من القضاء على نفوذ الصفويين الذي كان منتشراً في الغرب من أفغانستان. وقد حكم أبناؤه هذه الأقاليم الأفغانية، ومدوا نفوذهم وسيطرتهم حتى وصلوا إلى أصفهان في شرق إيران[2].

(١) پته خزانه = الكنز المكنون ١٥ ، تحقيق الأستاذ عبدالحي حبيبي رحمه الله .
(٢) سر أولف كيرو : پتهان ٤١ الترجمة الأردية .

شـــعره :

وصلت إلينـا من شعـره منـظومة واحدة أنشدها الشاعر في ضوء القمر الهادىء الجميل. وهو واقف على ضفاف نهر «ترنك» الذي حال بينه وبين وصوله إلى قريته. فيخـاطب مجرى الماء المتدفق، والفيضان المندفع القوي الذي منعه من العبور إلى الضفة الأخرى من النهر، وقد خيل إليه أن حرارة عشقه الحامية يمكنها أن تخفف من شدة أمواجه، وأن يحد من فيضان مائه، وأن يجفف ماءه الكثير. كان ذلك الحوار الشاعري الجميل بين الشاعر والماء أو النهر في موسم ربيع سنة ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م، وهو موسم ذوبان الثلوج وازدياد المياه في الأنهار الأفغانية.

هذه المنـظومة الشعرية للشاعر ملك يار الهوتكي تمثل الفكر الشعبي في الأدب الأفغاني، فلها من هذه الناحية قيمة أدبية كبيرة، وبخاصة من حيث الوزن والبحر الشعري، ومن حيث الشكل والمضمون. وفيما يلي نموذج من شعره :

إن نهـر ترنـك[1] يجـري مسـرعاً
إن نهـر ترنـك يجـري مسـرعاً
يفيـض بالمـاء من شـاطىء إلى شـاطىء
والقلـب يطلـب بإلحـاح شـديد
اللقـاء بحبيبـه

* * *

ولـو أنـك نهـر ولـو أنـك نهـر
فإنـني أناديـك يـا نهـر ترنـك
بـأن جعـل اللـه مـاءك غـورا
ليتمكـن الفـؤاد مـن
الوصـول إلـى الحبيـب بطمأنينـة

* * *

(١) نهر ترنك : أحد النوابع والأنهار التي تمد نهر هلمند بالماء، ينبع من جبال مقر، ويمر جنوباً بين مدينة كندهار في غرب أفغانستان.

لو أنه سيل ، وسيل جارف
فإن السيل في الحقيقة سيل الفراق
الذي جرف الفؤاد كالتبن اليابس
رافعاً بكاءه بصرخات النياح
مغلوباً على أمره ، ذليلاً بآلام الهموم

* * *

ولو أن النار مشتعلة ، ولو أن النار مشتعلة
فإنها مشتعلة في فؤادي
فإن حرارة هذه النار ستجعل
سيول المآتم مجففة
وهي قائمة مشتعلة بقوة كبيرة

* * *

فاذهب أيها القمر برسالة الطاعة والانقياد
أناجيك أنت أيها القمر المنير
وبلغ الحبيب بأن نهر
ترنك هو الذي قد أخرني
من الإقبال للقيام بتقبيل وجهه

* * *

إن النهر وإن كان ملوثاً
فإن ماءه كان لطيفاً
لأن « ملكيار » منفصل
وقد تأخر عن الحبيب
ومحبوبه العزيز حاضر[1]

(١) حبيبي : ديشتو أدبياتو تاريخ (تاريخ أدبيات البشتو) ٢ : ١٦٨ ـ ١٧٠.

السلطان بهلول اللودي :

كان السلطان بهلول اللودي من الملوك الأفغـان الذين يتميزون بحبهم للأدب وبـاتصافهم بالتدين، ورجاحة العقل، وحسن التدبير، والتمسك الشديد بالعدل والإنصاف. وقد جلس على كرسي الحكم في دلهي سنة ٨٥٥هـ = ١٤٥١م، بعد أن وحد كلمة الأفغانيين، وقادتهم في الهند[1]. وتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على كثير من الأقاليم الهندية، ولقب بأبي المظفر بهلول شاه اللودي، وقد استمر في الحكم لمدة ٣٨ سنة، ثم أدركته الوفاة في دلهي سنة ٨٩٤هـ = ١٤٨٨م[2]، وورثه في الحكم ابنه السلطان سكندر شاه، ثم ابن هذا الأخير إبراهيم شاه اللودي، وانتهى حكم هذه الأسرة اللودية سنة ٩٣٢هـ = ١٥٢٥م على يد ظهير الدين محمد بابر المغولي[3]. ذلك لأن القـرن العاشر الهجري قد شهد ترنح إمارات الأقاليم الأفغانية تحت ضربات التنافس والتقاطع، ولطمات الدس والكيد، والعدو المغولي واقف بالمرصاد يتربص بها الدوائر. وكانت الإمارات الأفغانية مسرحاً للفتن والمغامرات، وسوقاً للصفقات، وقد ضعف شأن الأفغان القائمين على الأمر فيها وتسلط المغول والهندوس بالأمر فيها، فأكثروا فيها النشاط المضاد للأفغان فتمكن ظهير الدين بابر من القضاء على حكم الأسرة اللودية والاستيلاء على أملاكها في الهند .

شـــعره :

كان كأسلافه أديباً شاعراً، يتذوق الأدب ويطرب له، ويقول الشعر، ويطرب لإنشاده في بلاطه، وكان بلاطه منتدى أدبياً تنعقد فيه مجالس شعرية بين الشعراء الأفغان باللغة الأفغانية[4] التي لم تكن تزاحمها في ذلك غيرها من اللغات الهندية الأمر الذي يعتبر توضيحاً لاهتمامه برسالة اللغة الأفغانية، واستجابة منه لنداء الضمير، ووفاء بفضل الأدب الأفغاني الإسلامي، وإعجاباً بجماله وكماله. وولاء زائداً للأدب الأفغاني، وافتخاراً به، والتغني بأمجاده، وإجلالاً له وتقديراً لشعرائه .

---

(١) پختانه د تاريخ په رنا کی ٤٦٩ .

(٢) پته خزانه ٧٥ ، وپختانه د تاريخ په رنا کی ٤٧٢ .

(٣) پختانه د تاريخ په رنا کی ٤٨٠ ـ ٥٠٤ .

(٤) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٧٨ .

ومما يجب أن يسجل في تاريخ الأدب الأفغاني الإسلامي، ويتنبه له المتتبعون لمسيرة الأدب الأفغاني وتطوراته الفنية أن الأفغان في الهند قد أنجبوا في العصور المختلفة من استطاع وتمكن من أن يسمو بالأدب الأفغاني، وبأسلوبه الأدبي إلى مدارج الرقي والتقدم، إذ نبغ فيها عدد كبير من الشعراء والعلماء، يمتازون بالإضافة إلى مكانتهم في الموضوعات الإسلامية بسلامة الذوق الأدبي، ونصاعة اللغة، وقوة العبارة، وانسجامها الأدبي والفني، وخفة الروح، وتنوع المادة. وشاعرنا السلطان بهلول اللودي واحد من هؤلاء الشعراء الذين نشأوا في الديار الهندية، وأنشدوا القصائد باللغة الأفغانية، وكان بلاطهم منتدى أدبياً للشعراء الأفغان ويأتي نموذج شعره المرتجل بعد سطور. .

ومن شعراء بلاط السلطان بهلول شاه اللودي المشهورين الشاعر الأفغاني خليل خان نيازي الذي أنشد في يوم مطير رباعيته المشهورة في مدح السلطان بهلول اللودي فقال:

إن الغيوم الرمادية تذرف الدموع في الأعالي
وإن طائر «الوقوق»(*) يصرخ باكياً من الفراق
ذلك لأنها تنشر الجواهر فوق تاجك أنت وحدك
وذلك ترحيباً بك أنت ... أنت الحفيظ[1]

فارتجل أبو المظفر السلطان بهلول شاه اللودي رباعيته الجوابية التي تتميز بكثير من الرشاقة الأدبية، والترسل الفطري، وبكثير من القوة اللفظية، والتدفق المعنوي، والقدرة الشعرية، والحماس الإسلامي، ورقة الشعور، والضرب على أوتار القلب، وإثارة الحمية والغيرة الأفغانية. وشدة التعلق باللغة الأفغانية وفنونها الشعرية، وفيما يلي ترجمة الرباعية:

(*) كويلــه .

(١) پته خزانه ٧٧ ، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٤٧٣ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٨٠ ، الطبعة الثانية ١٣٤٢هـ ش .

سأجـعـل الـبـلاد عامـرة مخضرة بكـثـرة عطائـي وجـودي
فانـظر إلى الغيوم وتـأمـل فيهـا وهي (تـتراكم) فوق العدل والإنصاف
إن تاجـى فوق رأسي مضيء يتـلألأ من الـعـدل والإنـصـاف
إن الـعـالم سيأخـذ الـرونـق والـروعـة والجـمال من يدي[1]

(١) پته خزانه (الكنز المكنون) ١٩١ ، ود پشتو أدبياتو تاريخ ١٧٩ ، وپختانه د تاريخ په رنا كى ٤٧٣ .

النصوص

نص (١)

پاړکی

د الحا د په لور دی تو بلبل
کروه دی زموږو کو راوه
موږ رونلسسی په زیار نسسه
تا په تور او تورا وه
لدغو ن ولی ګرو هید لسسی
چي دی ګوښسي اړا وه
هغه ګروه دی اوس اره کسسر
چي پلرو دی رئیسا وه
لر دی ستا په نامه سپک شو
که هر څو مو در تا وه
نصره نه مو یی له کها لسسه
او دی نه یی په کا وه
زمونږ دغا ده سستا له ګروهه
دور ځلوی پسسه رغا وه

نص (٢)

لویه خدایه لویه خدایه
ستا په مینه په هر ځایه
غر ولاړ دی درناوی کښې
تول ژوی په ځاری کښې
دلته دی د غرو لمنی
زمونږ کنر دی دی پکښې پلنی
دا وکړی ډیر کړي خدایه
لویه خدایه، لویه خدایه

* * *

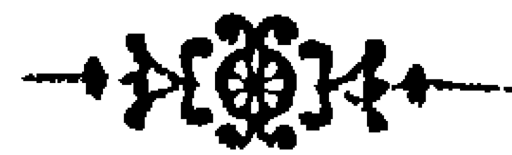
دلته لبږ زمونږ اور بل دی
وړه کوږ کی دی وړه بور جل دی
مینه سا کښې مونږ میشته یو
بل د چا په هله نله نه یو

هسک او مځکه نغښته ستا ده
دا پالنه ستا ده خدایه
د مرو و ده له تا ده!
لویه خدایه، لویه خدایه

* * *

نص (۳)

تېښته اوکړه له ابلیسه
چې ابلیس لعین ښکاره شی
هلته ورکه پلوشه شی
تولې رڼرې توره تیاره شی
سړی وزان شی له ابلیسه
غوږ د پس په کټاره شی
که هر چا ابلیس خرخ کړ
نو بې هغه ننداره شی
که سړی ابلیس نه پرېږدو
نو پر کور د ویر ناره شی



نص (٤)

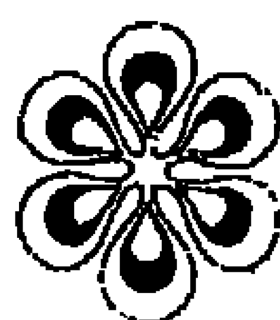
ښځښتن مو مل دی اوس مو یر غل دی هوا د د بل دی
غازیانو گوری
ښځښتن مو مل دی
توری تیري کړئی د ښن مو پری کړئی منګلی سری کړئی
ښځله به تښتو؟
ښځښتن مو مل دی
که ټینګ کړ و زړو نه پر بری یو نه چه ز مری یو نه
اسلام راخځه دی
ښځښتن مو مل دی
غازیانو راشئی ټول ښتا و خوانی دشهاب په ملا نئی
دښن هو غوخ کئی
ښځښتن مو مل دی





نص (٥)

نن زه ژغببړم په صفت دسلطان
چه دی بادار غازی ملک د جهان
د فیروز کوه او غور ر ښا له ده ده
هم دتیرو تورو بریښنا له ده ده
چه توره و کاږی چړتون کی خالی
غلیم ئی کله کړی په توره سیالی
غیاث الدین دغور زمری عالیشان
داسلام دین دده به توره روښان



نص (٦)

پر لویو غرو هم په دښتو کی
په لوی سهار په نیمو شپو کی
په غاړه ژغ او په شپیلکو کی
یا د ویر ژلیو په شښلو کی
ټول ستا د یاد ناری سوری دی
دا ستا د مینی نندنندار ی دی
جنډی زرغون که په بیدیادی
دبربڼ خواته په خندا دی
ترنګ چی خړ دی په ژړا دی
دا ټول اغیز دمینی ستادی
ته له ښکلا دی ستا له لاسه
ای دپاسوالو پاسه پاسه
دلته لوی غرونه زرغونیږی
د ژوندون وږمي پکښی چلیږی

بوراوي شا د خوا کړیږي
سترګی لیدو ته ئی هیښیږي
او یه خاونده ! ټوله ته یې!
تل د نړی په ښکلیده یی
خاونده ! ښکلی ستا جمال دی
ښکاره ئی لور په لورکمال دی
که ورح که شپه که پیړی کال دی
ستا د قدرت کښکی مثال دی
ستا د لورونو یو رنړا ده
دلته چی جوړه تماشا ده
نه هسک نه مځکه وه تور تم ؤ
تیاره خپره وه ټول عدم ؤ

نه دا ابلیس نه ئی ادم ؤ
ستا د جمال سو چه پر تم ؤ

چی سو ښکاره ښکلی دنیا شوه

د پنځ پر لوری ئی رنړا شوه
زه چی څو کند پر دی دنیا شوم
د ښکلی مخ په تماشا شوم
ستا پر جمال باندی شیدا شوم
له خپلی ستی را جلا شوم
په ژړا ژارم چی بیلتون دی
یمه پردیسی بل می تون دی
و کړیو ! ولی " متی " ژاری
سوری ئی اوری غاړی غاړی
څه غواړی څه وایی څه باړی
خپل تون او کور و کلی غواړی
چونی چه بیل شی نیمه خواسی
تل ئي د بڼ په لور ژ ړ اسی

الفصل الثالث

الأدب الأفغاني في عصوره الذهبية

(١٠٠٠ ـ ١٣٠٠هـ = ١٥٩١ ـ ١٨٨٢ م)

من أعلام الأدب الأفغاني :

١ ـ بيـر روشان في مدرسته الأدبية والفكرية.

٢ ـ أخوند درويزه في مذهبه الأدبي والفكري .

٣ ـ خوش حال ختك في مدرسته الأدبية والفكرية .

٤ ـ عبدالرحمن بابا في مذهبه الأدبي وشعره الوجداني.

٥ ـ الحافظ الألبوري في نظرته الأدبية .

٦ ـ أحمد شاه بابا في فكره الأدبي والفني .

ظهرت في سماء الأدب الأفغاني في القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السادس عشر الميلادي) ستـة نجـوم من أشهـر وألمع النجوم في سماء الأدب بفرعيه المنظوم والمنثور، وهـم : بيـر روشان (بايزيد الأنصاري) في مدرسته الأدبية، ومعروف أنه من علماء الدين والأدب، ومن المعروفين في مجال العلوم الدينية والزهد. والشيخ أخوند درويزه (أحمد) في مذهبه الأدبي، وهو أيضاً من علماء الدين والعلم المعروفين في الديار الأفغانية. وكان بينه وبين سابقه خصومة واتهامات. والنجم الثالث هو خوش حال خان ختك في مدرسته الأدبية، وهو صاحب القلم والسيف، ذو شهرة أدبية وعلمية عظيمـة في الشعـر والنثر، وفي التأليف والتصنيف والترجمة، وفي الفلسفة والزهد. ورابع تلك القمم الأدبية هو عبدالرحمن بن عبدالستار الشهير ببابا الأفغان في مذهبه الأدبي وشعره الوجداني، وإنشاده الديني، وفي زهـده الإسلامي. والنجم الخامس هو الحـافظ الألبـوري الـذي لقب بالحـافظ لحفظه القرآن الكريم، والنجم السادس الإمبراطور أحمد شاه بابا الذي دوخ أعداء الإسلام بسيفه وقلمه. لكل واحد من هذه القمم الأدبية والفكـرية مزايا وخصـائص، ومقـاييس أدبية وفكرية تأسست عليها

مدارسهم ومـذاهبهم الأدبية، والفكـرية، واتخـذهـا امـراؤها من الشعراء والأدباء والمفكرين مسلكاً لهم ومنهجاً . ساروا عليها، ونسجوا على غرارها، وهم يحملون الأفكـار الإسلامية في القوالب الشعرية، ويبشرون بالعقيدة، وينفرون من الشر، وينبهون على الخطر، ويأمرون الناس بقيام ما أوجب الله، وباجتناب ما أمر باجتنابه، ولا يتجاهلون في كل ذلك الروح الإسلامية، واليقظة الواعية التي تدفع الأفغان دفعاً للقيام بالحق، وللحق وحده.

هؤلاء الستة من أمراء الشعر والأدب الأفغاني الذين يمثلون هذا العصر كان لهم أثر عميق على الأجيال التي أتت بعدهم، فبالإضافة إلى تأثر أبنائهم وأحفادهم بهم، كان هنـاك عدد كبـير من تلاميذهم، وأتباعهم، ومريديهم تأثروا بهم، وساروا في الإنشاد على مناهجهم، وقدموا للآداب الأفغانية أجل الخدمات، وأعظم الثمرات من نتاج عقولهم وأفكارهم الإسلامية، واستطاعت قصائدهم الشعرية، وأناشيدهم الدينية، وقصصهم الإسلامية أن تهز الشعب الأفغاني هزاً عنيفاً، وتثير فيه أحاسيسه وعواطفه. بل تجاوز إبداعهم الأدبي بروعته الأدبية خارطة الديار الأفغانية إلى آفاق عالمية، فترجم إلى لغات حية، وحظي بإعجاب المتذوقين، والدارسين، والباحثين في حقل الآداب العالمية.

هؤلاء الستـة من القمم الأدبية في الديار الأفغانية لم يسفوا في قول الشعر، ولم يمجـدوا الفاسد والشاذ، ولم ينخرطوا في صفوف العابثين والهازلين، ولم يقربوا من الفجار والفساق والمجان، رفضوا القول في الخمر والمجون، كما رفضوا الطيش والظلم والـطغيان، ووقفـوا صامـدين للدفـاع عن الحق والحـرية بالسيف أو بالقلم، أو بالاثنـين معاً، لا نرى في أدبهم الإسلامي أية صورة مشوهة، إن أدبهم صورة حقيقية للأدب الإسلامي في بلاد الأفغان في هذا العصر من العصور الذهبية.

إن الأحداث التاريخية تؤكد لنا شخصية « بيـر روشـان » الأدبية والفكرية، وما يتمتع به من صرامة وإصرار، ومن عزيمة وصمود، وما من أحد يشك في أصالة فن « خوش حال خان ختك » وفي إنتاجه الغزير الذي هو شاهد رسوخ قدمه في الأدب والمعـرفـة، والكل يعرف ما كان يتحلى به « أخوند درويزه » من علم راسخ وزهد

وورع، ومن استماتة في الدفاع عما يظنه حقاً. والكل يعرف « عبدالرحمن » في عذوبة العبارة، ودقة المعنى، ورشاقة الكلمة، وخفة الروح، والتدفق الوجداني والنبوغ البياني. وكلنا نعلم ما كان للحافظ الألبوري من الصدق في التعبير والتصوير، ومن الأصالة في المعنى والمضمون، والعالم بأسره يعلم ما كان للفارس الأفغاني أحمد شاه بابا من الدفاع عن الإسلام والمسلمين ومن رسوخ قدمه في ذلك، حيث فتح الهند خمس مرات دفاعاً عن المسلمين، وما كان له من قوة في الأسر والعزيمة، ومن الرسوخ في الإيمان والإرادة، وهو الذي يقول:

عش حياة البطولة على بريق السيف يا أحمد
وقم بجولات النصر، واتجه للفتح صوب كل الديار

بير روشان :

في إطار من الحق واليقين، وفي صلابة من الإيمان الأكيد تحرك فجعل سلاحه الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت في الأرض الصلبة، وفرعها في السماء.. فحرك الأدب، وكانت وظيفته في السمو بالأرواح والأذواق قد تعطلت، وهز الأفكار، وكانت حيويتها وجاذبيتها قد تجمدت، ونهض بالهمم والقيم الإبداعية التي كانت قد ضعفت وتضعضعت، ووجه الشعراء والأدباء الذين يلهثون برغبة اللحاق بركب المنفعة المادية، والمصلحة الشخصية، ولم يترك الأدب الإسلامي في الديار الأفغانية أن يتمرغ في أوحال الذلة والهوان، ولم يرض لعلماء الدين والشعر والأدب أن يفقدوا مقاعد الريادة والقيادة في حياة أمة الأفغان..

رجل هذا شأنه .. حرك الفكر والأدب إلى الأمام، وأهاب بالهمم والقيم أن تنهض، ووجه الشعر والنثر وجهة إسلامية صحيحة، وأنقذ الشعراء والأدباء من الذلة والهوان، فكانت تلك هي عناصر مدرسته الفكرية.. ولن يضر الشمس ألا تراها مقلة عمياء، ولن يبالي السحاب في السماء بنباح الكلاب في الأرض..

المدرسة الروشانية :

بانيها المفكر الإسلامي بايزيد (بازيد) أنصاري ، وشهرته « بير روشان » (روشن).

مولــده :

ولـد هذا المفكـر الأفغاني ، المسلم في جالندر بإقليم البنجاب سنة ٩٣٢هـ = ١٥٢٥م . أبوه عبدالله الأنصاري وهو من القضاة المشهورين[١]، وجده الشيخ محمد، وأمه بيبن (بهبين) وهي تنتمي إلى هذه الأسرة أيضاً[٢]، وقيل اسمها « أيمنه »[٣]. وجـده السابع الشيخ سراج الدين أنصاري[٤]، وجده الواحد والعشرون أبو أيوب الأنصاري[٥]. رضي الله عنه. وقد ورث بايزيد أنصاري المجد والفضيلة والشهرة عن آبائه وأجداده، حيث كانت أسرته ذات شهرة علمية ومكانة اجتماعية مرموقة في عهد الأمراء والحكام الأفغان اللوديين أيام حكمهم في البنجاب[٦].

وقد عمل أبوه عبدالله في حقل القضاء والإفتاء، كما عمل في حقل التدريس ومن أشهـر تلاميذه الملا باينده خان العالم الفاضل الذي تولى تدريس بايزيد أنصاري العلوم الإسلامية، وبناء على جهوده العلمية حصل بايزيد على قدر كبير من العلم والمعرفة[٧].

طفولته ونشأته :

قلنا : إن بايزيد أنصاري ولد في جالندر في إقليم البنجاب انتقلت إليه أسرته أيام الأمراء الأفغان اللوديين الذين كانوا يحكمون الإقليم أسوة ببقية الأقاليم الهندية التي كان الأفغان يحكمونها، ولما انتصر بابر المغولي على إبراهيم اللودي، وتمكن من القضاء على دولة الأفغان هناك، وبدأ المغول يطاردون الأفغان، ويعاملونهم معاملة بعيدة عن

(١) حبيبي : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٦٠ .
(٢) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٦ ، وطائر روهى أدب ١٨٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٦ : ١٧٧ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٦ : ١٧٧ ، الترجمة العربية .
(٤) پشتانه شعراء ١ : ١٦ ، وروهى أدب ١٨٨ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ٦ : ١٧٩ جده الخامس .
(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٦ : ١٧٩ ، الترجمة العربية .
(٦) حبيبي : دپشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٦٠ .
(٧) محمد أفضل رضا : د پشتو د نثر تاريخ ١٣٣ ، وحبيبي : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

السلوك الإنساني، انتقلت أسرته إلى الموطن الأصلي « كاني كرام » في إقليم وزيرستان وهو رضيع، ونشأ في « كاني كرام » نشأة لم تكن سعيدة لظروف عائلية غير موفقة، حيث طلب منه الاعتناء بشؤون الأسرة، وأن يوفر لها أسباب الحياة المعيشية بالعمل في التجارة، فقام برحلات تجارية تاجراً للخيول، متنقلاً بين سمرقند والهند وكندهار .

دراســــته :

كانت حياته الدراسية في المرحلة الأولى مضطربة لاضطراب طفولته كما مر، ومع ذلك كان ينصرف إلى دراسته كلما أمكن ذلك، وفي مثل هذه الفرص المتاحة لا ينكب إلا على المـوضـوعات الدينية، ومسائل العبادة وظهر شغفه الشديد بشؤون الدين مبكراً، كما ظهر تمسكه الأقوى بقواعد الإسلام وتعاليمه، وكان في شبابه يقبل على تعلم العبادات الإسلامية والواجبات الدينية ومعرفتها معرفة صحيحة، مع المواظبة الدقيقة على أداء تلك العبادات وهذه الواجبات، ويبدو أنه كان على خلاف مع والده الذي لم يكن يسمح له بالمضي إلى مكان آخر[1] لمواصلة دراسته كما كان يفعل طلاب العلم في أيامه .

نشـأ بايزيد أنصـاري في بيت علم ورئـاسة، فأبوه كان من العلماء وكان يزاول التـدريس في مدرستـه الـدينية الخـاصـة[2]، بجـانب القضاء والإفتاء على مذهب الأحناف، وبقي القضاء في بني أخيه غير الشقيق. في وسط علمي ديني كهذا نشأ بايزيد أنصاري، وأخذ العلم والأدب أولاً عن أبيه، ثم عن تلميذ أبيه ملا بايندہ خان الـذي خلف أستاذه في حلقات التدريس والتوجيه الديني[3]، ودرس علوم التفسير والحديث والفقه إلى حد ما، وألم بجانب كبير من الفلسفة، والعلوم العقلية، ولعله قرأ كثيراً من الكتب الأدبية في ذلك الوقت[4] .

---

(١) كاكا خيل : پشتانه د تاريخ په رنا كى ٦٧٢ - ٦٨٦ .

(٢) كاكا خيل : پشتانه د تاريخ په رنا كى ٦٧٩ .

(٣) حبيبي : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤) طائر : روهى أدب ١٩٤ ، وپشتانه د تاريخ په رنا كى ٦٧٩ ، ورضا : د پشتو د نثر تاريخ ١٣٥ .

وقد زار في حداثته بعض المدن المعروفة بالعلم والأدب والزهد كمدينة سمرقند، وكندهار، وبعض مدن الهند[1]. فأخذ العلم والمعرفة من علمائها، ومن أهل الورع والتقوى فيها[2]. وممن استفاد من علمهم وأدبهم ابن عمه الشيخ إسماعيل الذي كان مشهوراً بالتقوى والزهد[3].

ثم مال إلى التقشف، ولزم منزله لمدة خمس سنوات[4]، بعيداً عن أمور الدنيا، وزينتها الزائفة وغرورها الفاني، وبعيداً عن ضجيج الناس ومشاكل الحياة، وكان أثناء ذلك يردد القول المأثور : «خصلتان لا تجتمعان في قلوب الناس طمع وتوكل» وقد مرت هذه الفترة من عمره في ذكر الله ، والتوكل عليه، والزهد في الدنيا، ومجاهدة النفس[5] .

وكان يجيد بالإضافة إلى اللغة الأفغانية، اللغة العربية والفارسية والبنجابية، وقد كتب مؤلفاته الأدبية والدينية بهذه اللغات أو بإحدى هذه اللغات الأربعة[6] التي كانت تتداول بين الناس للتأليف والتخاطب في تلك الأيام التي عاش فيها بايزيد بن عبدالله أنصاري .

وفـــاتـه :

وقـد توفي بايزيد أنصـاري على الأرجح أثناء أو بعد معركة « تور راغه » في إقليم ننكرهار في شرق أفغانستان سنة ٩٨٨هـ = ١٥٨١م ، ودفن في أشنغر[7]. وخمدت تلك النفس التي نشـأت نزاعة إلى الإصلاح، حريصة على الحرية والاستقلال في

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، و پشتانه د تاريخ په رنا كى ٦٧٩ ـ ٦٨٠ .

(٢) د پشتو ادبياتو تاريخ ٢ : ٢٧٤ .

(٣) المرجع السابق ٢ : ٢٦٤ .

(٤) المرجع السابق ٢ : ٢٧٤ .

(٥) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٧٤ .

(٦) رضا : د پشتو د نثر تاريخ ١٣٥ ، وطائر : روهى أدب ١٩٤ ، وحبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٦ .

(٧) سر أولف كيرو : پتهان ٢٨٠ ـ ٢٨٥ ، وحبيبي : د. پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٨٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٦ : ١٧٨.

الرأي والفكر، انتقل بايزيد أنصاري إلى جوار ربه بعد أن قضى أكثر أيام عمره في الدعوة إلى دين الله، والأخلاق الإسلامية، وقد خاض في ذلك معارك ضارية لا هوادة فيها. . مات بير روشان بعد أن زود المكتبة الأفغانية بثروة ضخمة، وبإنتاج متميز في الدين والفكر والأدب، نثراً ونظماً، سلوكاً وعملاً . . عاش مناضلاً ومات مجاهداً.

جوانب مضيئة من حياته

١ ـ حياته الدينية والاجتماعية :

كان بايزيد أنصاري المجاهد متديناً من صغره . . يداوم على أداء الصلوات الخمس، ويصوم بانتظام، وينفذ بدقة ما يتعلمه من أحكام الشريعة، وكان من أعز أمانيه أن يقوم بأداء فريضة الحج[1]، ولكنه لم يتمكن من تحقيق هذه الأمنية .

نشاطه الديني :

كان بايزيد أنصاري طاقة جبارة من النشاط الديني فليس غريباً أن يخوض معارك دينية متعددة، وأن يبدأ عملية الإصلاح الديني، وأن يدعو إلى النهضة الدينية والعلمية، وأن يقوم بترغيب الناس في بلاد الأفغان في التعليم والتعلم. ومن هنا كانت الدعوة إلى التدين والتمسك بالعقيدة من أهم وأعظم المسؤوليات التي عني بها بايزيد في حياته الدينية. . وجه الدعوة إلى الإنسان واعتنى به وبإصلاح عقيدته وسلوكه، اعتنى بالإنسان الذي خلقه الله بقدرته من نطفة، وهو يلفت النظر بعناية إلى المراحل التي مر بها الإنسان في خلقه وتكوينه ونموه. إنك لتجد هذه العناية بالإنسان ومراحل نموه، وإصلاحه دينياً في هذا القول في كتابه « صراط التوحيد » :

« بقدرة القادر المطلق يتكون الإنسان من نطفة، وهي تأتي مستقرة في رحم الأم، فتصير علقة، ثم مضغة، ثم يولد بشراً سوياً، يرضع من لبن الأم، ثم يتكلم ناطقاً، ثم يصير طفلاً، ثم مراهقاً، ثم يبلغ مبلغ الرشد بالغاً. (فيعرف الحق) إن كان كافراً يتحول مسلماً، وإن كان مذنباً يصير مطيعاً تائباً وذاكراً [2]

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ١٦٤ .

(٢) حبيبي : د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

هنا سر العظمة في حياة بايزيد الدينية، المؤسس الأول لحركة الإصلاح الديني المستنير في بلاد الأفغان، فقد قام بتطوير الأفكار الدينية من خلال دراسته وتأملاته الخاصة في خلق الإنسان وتكونه ونموه، ثم مروره على مراحل النشأة الأولى المختلفة. ويكمن كذلك سر أصالته الدينية والعلمية في أنه سعى في منهجه الديني إلى توجيه الناس إلى ثقافة ومعرفة دينية تتفق مع القرآن والسنة.. وكون لنفسه ولدعوته معجبين وأنصاراً من الأتباع تعاونوا معه في أداء رسالته الدينية.

وحدث له ما حدث لغيره من المصلحين حين تألب عليه الشيخ « درويزه » ووقف في طريق حركته الإصلاحية، وحاول تشويه دعوته الدينية، ولكنه واصل مشواره الديني إلى أن مات شهيداً بعد أن ترك خلفه حركته الروشانية التي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم في المجالين الديني والأدبي..

عاش بايزيد أنصاري عيشة علماء الدين، وزعمائه المصلحين، وبدأ عملية الإصلاح من القاعدة الشعبية بنشر التعليم والمعرفة وكان دائم التفكير في حقيقة الإنسان الأفغاني المسلم، بل في حقيقة الإنسان المطلق الذي خلقه الله بقدرته المطلقة من ماء مهين.

وهكذا كانت حياة بايزيد أنصاري صفحات من التاريخ الإسلامي التي تزخر بالمفاخر والمآثر إلى جانب البطولات والتضحيات، وجلائل الأعمال، فكان الداعية الفذ الذي وهب دعوته الدينية والفكرية كل ذرة من جهده وقلبه، ومن أعصابه وروحه وحياته.

اتهامه بوهن العقيدة:

اختلف الناس في بايزيد أنصاري بين ناعت وواصف إياه بالتقى والحياة الروحية الصحيحة.. وبقوة الإيمان وسلامة العقيدة، وبين ناسب إليه وإلى عقيدته الدينية الانحراف والضلال.. حتى الإلحاد، وعلى رأس هذا الفريق الذي يناصبه العداء السافر الشيخ أخوند درويزه الذي بذل كثيراً من جهده وفكره في الكتابة عنه، واتهامه، واتهام كل من سار على دربه بالانحراف، بل بالكفر والزندقة والإلحاد.

وممن ذهب إلى أنه صحيح العقيدة، قوي الإيمان، البروفيسور عبدالحي حبيبي، والبروفيسور عبدالشكور رشاد، والبروفيسور صديق الله رشتين، والأستاذ سيد بهادر شاه ظفر كاكاخيل، والبروفيسور محمد نواز طائر، والشيخ محمد عبدالقدوس قاسمي، والأستاذ محمد أفضل رضا، والدكتور مير ولي خان وغيرهم.

ولا يزال بعض الناس إلى اليوم مختلفين في هذا الأمر، على أنه لا بد قبل الحكم عليه أو له من أن نلقي نظرة على عصره، وعلى ما كان له من الأثر في نفسه، فقد عاش بايزيد أنصاري في عصر المغول، وكانت كابل وكندهار وبشاور ومن كان فيها من القبائل الأفغانية قد احتكت بالحكام المغول الذين كانوا لا يتورعون من توجيه التهم إلى الأفغان، ومطاردتهم في كل مكان وزمان، وكان جنكيز خان وتيمور وبابر وشيباني من الغزاة المغول المشهورين الذين واجهوا السلاطين الغوريين واللوديين والسوريين الأفغان في كل من البلاد الأفغانية والهندية، وحاربهم الأفغان لمدة أربعة قرون (٦٠٠ ـ ١٠٠٠هـ = ١٢٠٣ ـ ١٥٩١م) دفاعاً عن حريتهم وعقيدتهم، ومن ناحية أخرى قام المغول بتدمير المدن الآسيوية من نهري جيحون وأباسين حتى بلاد الشام، وقضوا في هذه الحروب على تراث الشعوب الإسلامية الروحي والأدبي، ونتيجة لذلك ولضغوطهم السياسية، وكبتهم الاجتماعي، فقد زاد الإقبال على حياة الخلوة والعزلة، وانتشر الزهد في جميع أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة في أفغانستان[1]، وكان من جراء ذلك الاحتكاك وهذه العمليات القتالية والتدميرية كثرة الفرق الكلامية واشتدادها، وتعدد المنازع الفكرية بين مناصر للأفغان ومؤيد للمغول. وهذا النزاع العَقَديّ بين الفريقين كان يضعف أو يشتد وفقاً للظروف السياسية والأحوال الاجتماعية، إلا أن الشيخ أخوند درويزه لم يضعف ساعده الجدلي في توجيه التهم إلى خصمه الصامد، وتلفيقها به بحق أو بدون حق.

ولا شك أن هذا النزاع العَقَديّ قد أحدث في العقول نوعاً من الميل إلى النظر النقدي في الدين والعقيدة والأدب، فتسرب الشك إلى عقول بعض المفكرين وشيوخ

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦، بتصرف.

الزهد والورع، واستولى عليهم التشكك والتردد وروح الإنكار، فرفضوا ما لم تقبله عقولهم من تعاليم وسنن ، ونادوا بالرجوع إلى المبادىء الروحية في الحياة الدينية والاجتماعية. . . في هذا الجو الفكري المضطرب نشأ بايزيد أنصاري، وعاش تواقاً إلى المعرفة، وإلى بلوغ الحقائق الدينية الصحيحة، وصار يتلمس طريقه توصلاً إلى ما يروي تعطشه الشديد إلى المعرفة الحقة . . . ولكن لم يتزعزع إيمانه القوي الذي كان أساساً ثابتاً لحياته.

على أننا إذا دققنا في حياته، ومؤلفاته الدينية والأدبية، وحاولنا أن نخترق الضباب الكاذب الذي أحاطوه به رأيناه يظهر لنا ظهوراً واضحاً في طورين مختلفين يفصل بينهما طور ثالث من أطوار حياته، وهو مدة إقامته في بيته في «كاني كرام» فالطور الأول طور الشباب، وفي هذا الطور نراه مسلماً حقيقياً تواقاً لطلب العلم، ولا نراه يختلف في تصرفه العادي عن سائر طلاب العلم والمعرفة، كما أنه لا يختلف عن أهل الإيمان في شيء، والطور الثاني طور العزلة والخلوة، يبدأ بعد رجوعه من رحلة كندهار (قندهار) ويمتد إلى خمس سنوات قضاها في التعبد والتفكر، وتهذيب النفس، والرياضة الروحية. وفي الطور الثالث من حياته يقف موقفين . . الأول موقفه تجاه الآخرة، وهو هنا يجمع في نفسه التفكير الفلسفي والتفكير الديني فتارة نراه مؤمناً حنفياً، وطوراً فيلسوفاً، ومن هنا نرى في آثاره شيئاً من المتناقضات بين المسائل الدينية. . بين الإيمان الخالص، والزهد. . والموقف الثاني موقفه تجاه الحياة، والإنسان الأفغاني، ويغلب عليه النضال المسلح ، والتشاؤم، والمرارة، وامتشاق الحسام دفاعاً عن حياة الإنسان الأفغاني المسلم، ورفع ظلم المغول، ودفع عدوانهم عنه. وهذا الطور الثالث يستمر إلى آخر حياته وفي شيء من المغالاة والغلو في الزهد .

ويمكن إرجاع سبب هذا النزاع الفكري والجدل العقدي إلى نقطتين رئيستين :

أولاهما : مغالاة بايزيد أنصاري في الزهد، وإفراطه فيه.

ثانيتهما : الموقف العدائي الذي اتخذه المغول ضد الأفغان بعد تمكنهم من القضاء على دولة الأفغان، ومحاولتهم المستمرة لمحو مجدهم العظيم الذي استمر في الهند قروناً طويلة. ومعروف أن الشيخ أخوند درويزه كان من الذين يميلون إلى تأييد الحكام من المغول.

تأثير ذلك في اللغة والأدب :

إذا كان هذا النزاع الفكري والديني قد ألحق أضراراً عميقة في الحياة السياسية لكل من الأفغان والمغول، إلا أن اللغة الأفغانية وآدابها قد استفادت من ذلك استفادة مؤثرة حيث اتسعت يومئذ للتفكير العلمي والنثر الفني، فكانت الموئل الأمين الذي حفظت فيه ثمار العقول في هذا النزاع بين الأطراف المتخاصمة. وسيأتي تفصيل ذلك قريباً.

٢ ـ حياته السياسية والنضالية :

تعتبر حياة بايزيد أنصاري السياسية والنضالية القتالية امتداداً لحياته الدينية والاجتماعية، فقد شاهد الرجل أثناء رحلته في الهند ألواناً مؤلمة من الظلم والطغيان، وطوفاناً من طبائع الاستبداد والجور الذي أنزله حكام المغول على الأفغان من الرجال والنساء والأطفال[1]، أيقظ عاطفته الدينية وشعوره السياسي، وميوله الوطنية.

بدأ رسالته الدينية والسياسية التي هي جزء من رسالة الأدب الإسلامي، ومضموناته بعامة ـ في إقليم وزيرستان، ولكنه لقي معارضة شديدة في المراحل الأولى من دعوته، إلا أن الله وفقه، وتمكن من إنقاذ موقفه بذكائه الخارق، ومنطقه القاطع الذي أبداه في مناظراته الدينية، ومناقشاته السياسية، وقد بدأ بعد ذلك يزيد عدد أنصاره يوماً بعد يوم، ليس في وزيرستان موطنه، بل في جميع أنحاء الديار الأفغانية، فأقام عدداً من أنصاره خلفاء ومندوبين له يقومون بالدعوة إلى التعاون معه في رسالته السياسية والدينية والفكرية في مختلف الأقاليم، وقد استجاب لدعوته كثير من القبائل الأفغانية كالأوركزية والأفريدية والمهمندية واليوسفزية والصافية، حتى وصل خطر هذا الانتشار السريع إلى كابل، فاستدعاه واليها ميرزا محمد حكيم لمحاكمته أمام قاضي كابل، وأثناء التحقيق والمحاكمة أجاب بايزيد إجابات بارعة، فتمكن بذلك من العودة إلى يشاور، واستأنف نشاطه ودعوته من جديد، وتمكن من تحقيق نجاح

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٧٠ ـ ٢٧١ ، بتصرف .

سريع وعجيب في كل مكان حل به على الرغم من المعارضة الشديدة التي قام بإثارتها بعض من المشايخ والعلماء من المنافسين من مؤيدي المغول، وقام كذلك بإرسال دعاته ومندوبيه إلى الحكام والنبلاء والعلماء يدعوهم إلى قبول دعوته والإسهام في أداء رسالته السياسية والدينية.

كان الزعيم الديني بايزيد بن عبدالله أنصاري خطيباً مفوهاً، ومتحدثاً جريئاً، تخرج الجمل والعبارات من فمه قوية مؤثرة، تتطاير منها رائحة الصدق والصراحة والإخلاص، عذب اللسان، صائب الفكر، مقداماً شجاعاً، متصفاً بصفات الريادة والقيادة. وبالإضافة إلى ذلك كان سياسياً ماهراً، يزن الأمور بعقله وذكائه الخارق، وكاتباً بارعاً، ومفكراً إسلامياً عظيماً، لعب دوره العظيم في النهضة السياسية والأدبية. في كتبه ينتقل القارىء من داعية قائد، إلى عالم مرب، ومن مخلص رباني إلى نموذج إنساني، ومن مناضل مجاهد إلى مؤلف محقق، ومن كاتب في اللغات والآداب إلى كاتب في المواعظ والنصائح، فلا يسأم ولا يمل إذ نبغ فيها بايزيد الذي يمتاز بالإضافة إلى الموضوعات الدينية بسلامة الفكر القيادي، ونصاعة السلوك والأسلوب، وتوليد المعاني الجديدة، وإثارة المشاعر الخامدة، والأحاسيس القوية في السياسة الإسلامية والمعارك الميدانية.

فقد قيضه الله لأداء رسالة سامية تمتزج فيها السياسة بالحرب، والدين بالأدب، فأحدث بذلك تأثيراً من أعمق ما عرف من التأثير في السياسة والقيادة والريادة، لما كان يتمتع به من قوة في عقيدته، وفي شخصيته، ومن إخلاص وتفان في عمله، مع قوة إعجابه بهذه الصفات في نفسه، وهذا هو السر في الشخصية القوية المؤثرة، فإن القائد أو الزعيم، أو المقاتل والمناضل، أو الأديب والشاعر لا يقدر على التأثير حتى تكون وراءه شخصية قوية تفرض أثرها، وفكرها السياسي أو الأدبي أو الاجتماعي.. ومن هنا استمر في النضال، وواصل قتاله ضد المغول لمدة سنتين ونصف السنة من عمره الأخير.

بايزيد أنصاري سياسي عظيم، والسياسي العظيم هو الذي يستطيع أن يؤثر في مجتمعه، وأن يكسب رضاه، دون أن يخضع لإرادة هذا المجتمع، والسياسي التجاري

هو الذي يتمكن من الجماهير، ويخضع لها، ويترك إرادته تذوب في إرادتها، وتتلاشى شخصيتـه، الأول هو الذي يؤدي دور السياسي الحق في مجتمعه، حين يتأثر بهذا المجتمع، ثم يحاول التأثير فيه، وهو تأثير له خطورته، لأن له خطته، وهدفه، وغايته، أما الثاني فلا يمكن أن يكون عامل دفع في مجتمعه، لأنه سيترك المجتمع يدور في نطاق ذاته. وبايزيد بن عبدالله أنصاري لم يكن ينتمي إلى هذا النوع . . بل كان في مقدمة النوع الأول من الساسة والقادة والزعماء .

٣ ـ حياته العلمية والأدبية :

كتب بايزيد أنصاري بن عبدالله أنصاري عدداً من الكتب في الدين والأدب، والزهد والأخلاق، وصلنا منها الكتب التسعة المعروفة في الأوساط الأدبية في البلاد الأفغانية، منها كتاب بالعربية، وآخر بالبنجابية، والباقي بالأفغانية والفارسية، أو بهما وبالعربية والبنجابية. ويتبين مما بقي من نثره باللغة الأفغانية أنه كان فيما يبدو يكتب بالسجـع على غرار النماذج العربية، أو الفارسية المتأثرة بالعربية، مضحياً في ذلك بقـواعـد اللغـة الأفغانية، وهو يكثر من استخدام المصطلحات والمفردات العربية والفارسية، شأنه في ذلك شأن غيره من الكتاب والمؤلفين الأفغان، وإن كان الشيخ أخوند درويزه خصمه اللدود يأخذ عليه ذلك ناسياً نفسه وغيره من العلماء والأدباء الأفغان في هذا الميدان .

ومن أعـظم ما في كتب بايزيد الدينية والأدبية هو طموحه الإسلامي وحب الله والرسول، والإيمان الصادق، واليقين المتدفق، وقد تجلى هذا المزيج الجميل في كتبه أعظم مما تجلى في أي كتاب آخر. إن حديثه في كتبه، وأسلوبه فيها يندفع اندفاعاً نحو الطموح والشموخ، والحب والإيمان ـ في سمو النفس، وبعد النظر، والحرص على سيادة الإسلام في كل الأنحاء في الحياة الأفغانية، والسيطرة على النفس والآفاق، إنه يغذي في النفوس حب الله، كما يغذي العاطفة الدينية، ويبعث الإيمان بالله وبرسوله محمـد صلى الله عليه وسلم. كلما قرأت كتـابـاً من كتبـه جاش خاطـرك، وثارت عواطفك، وشعرت بدبيب معاني الإيمان والطموح وحب الله في نفسك، وبحركة قوية للحـماسة الإسلامية في عروقك، وتلك هي قيمة كتبه، وأدبه، ومسلكه في الزهد ومنهجه الديني والسياسي.

كتب بايزيد بن عبدالله أنصاري تغرس الإيمان، وإجلال الله، وحب الأخلاق الفاضلة، في قلوب القراء، وتعلم السلوك والحكم، والمواعظ والعبر، ولها آثار عميقة باقية في النفوس، أقل مظاهرها الاحترام والتقدير للدين، ولأهل الفضل والعلم، ولأهل الورع والتقوى والمعرفة.

في ضوء هذه الحقائق الإيمانية، والخلفيات السلوكية والخلقية، وفي ظلال المراحل التي مر بها الرجل في الديار الأفغانية، وفي توضيح جوهر العوامل النفسية والتاريخية والثقافية التي خضع لها وتعامل معها بحكم سنة الله في خلقه، تكونت شخصيته الدينية والأدبية والقيادية، ثم في ضوء هذه الشخصية وفي ظلال تلك العوامل المتعددة تشكلت مدرسته الأدبية الإسلامية في الأدب الأفغاني، لها خصائصها ومميزاتها، وأسلوبها الخاص، وطابعها الديني الإسلامي الأصيل، لا يسوغ لمؤلف أو كاتب في تاريخ الأدب والثقافة الأفغانية الإسلامية العامة أن يقوم بغض الطرف عنها مهما كان يضمر له في قلبه من عداوة وخصومة وهذا ما فعله الشيخ أخوند درويزه الذي اعترف بفضل الرجل وعلمه، وحبه وتقديره بين الأفغان الأمر الذي جعله ينشد الشعر على منوال بايزيد أنصاري ليقبل عليه الأفغان كما يقبل على كتب بايزيد وأدبه وشعره .

المدرسة الأدبية الروشانية لبايزيد أنصاري التي تستمد قوتها وحيويتها وجمالها الفني واللغوي من الدين الإسلامي الحنيف قد تم تأسيسها وبناؤها على هذه الأركان والأسس والكنوز الأدبية التي ألفها بايزيد بن عبدالله أنصاري، والتي أثرت ولا تزال تؤثر في الأجيال الأفغانية تأثيراً هائلاً عظيماً في الأفكار والمعاني، وفي الصور والأشكال، حتى هؤلاء الذين كان اتجاههم غير اتجاهه قد خضعوا له، وتأثروا به من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون. وفيما يلي كنوزه من الكتب التي وصلت إلينا:

١ ـ مقصود المؤمنين:

كتاب من تأليفه باللغة العربية، كتبه بايزيد أنصاري بناء على رغبة ابنه الأكبر عمر الذي يخاطبه أحياناً بابني العزيز، هذا الكتاب عبارة عن ٢١ فصلاً (قسماً) الفصول الثلاثة عشر الأولى تتناول موضوعات متعددة من قبيل الوعيد، والعقل، والعقيدة،

والخوف، والأمل، والروح، والشيطان، والقلب، والنفس، والدنيا، والآخرة، والثقة، والتوبة. أما الفصول (الأقسام) الثمانية الأخيرة، فتتناول موضوع الزهد[1].

لغته العربية في الكتاب ركيكة، وأسلوبه أفغاني صيغ بالتعبيرات والمفردات العربية، وفيه أخطاء نحوية كبيرة.

٢ ـ الخط الأفغاني :

يبدو كما يقول الأستاذ عبدالحي حبيبي[2] أن بايزيد أنصاري قد وضع رسالة خاصة بطريقة كتابة حروف اللغة الأفغانية الهجائية الخاصة التي لا توجد لها أصوات وحروف هجائية في اللغتين العربية والفارسية، ليسهل على الأفغان كتابة هذه الحروف الهجائية، أقول: من المحتمل أن يكون بايزيد قد قام بتطوير كتابة هذه الحروف التي كانت موجودة ومستعملة قبله بكثير.

٣ ـ خير البيان[3]:

ألفه وكتبه بأربع لغات.. الأفغانية والعربية والفارسية والبنجابية وهو أهم كتبه الأدبية والعلمية، ويقع في أربعين فصلاً في الموضوعات الدينية وموضوعات الزهد على مذهب الإمام أبي حنيفة.

٤ ـ صراط التوحيد[4]:

كتبه باللغتين العربية والفارسية سنة ٩٧٨هـ = ١٥٧٠م، في الجزء الأول من الكتاب سيرته الذاتية، ثم يأتي دور رسائله، وفي آخر الكتاب موضوعات في الزهد.

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٩٩، وروهى أدب ١٩٧، و د پشتو د نثر تاريخ ١٣٩.

(٢) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٩٠، ود پشتو د نثر تاريخ ١٣٦.

(٣) پشتانه شعراء ١ : ١٣ ـ ١٩، ود پشتو د نثر تاريخ ١٤٢.

(٤) د پشتو د نثر تاريخ ١٤٠ ـ ١٤١.

٥ ـ حال نامه[1] (رسالة الحال):

ألفه بالفارسية، وفيه سيرته الذاتية، وقد أعيد تحرير هذا الكتاب مرة ثانية على يد تلميذه علي محمد مخلص بن أبي بكر قندهاري، وأضاف إليه سيرة أبنائه ومغامراتهم الحربية ضد المغول.

٦ ـ فخر الطالبين[2]:

لغته فارسية، وقد قام المؤلف بإرسال هذا الكتاب كرسالة منه إلى حاكم بدخشان في شمال أفغانستان على يد أحد تلاميذه، ويدعوه إلى قبول دعوته.

٧ ـ وعظ ونصيحت[3]:

كتاب من تأليفه، ذكره البروفيسور محمد نواز طائر في كتابه القَيِّم «الأدب الروحي» ولم أعثر على ذكره في المصادر الأدبية والتاريخية التي تحت يدي الآن.

٨ ـ مكتوبات:

كتاب آخر من كتب بايزيد أنصاري، جاء ذكره في كتاب تاريخ الشعراء الأفغان للأستاذ عبدالله بختاني[4]. ولم أتمكن من العثور على ذكره، في المصادر الموجودة حالياً في مكتبتي الخاصة.

٩ ـ وجيد ادى شلوك[5]:

كتاب تاسع من مؤلفات بايزيد الدينية والأدبية، ألفه باللغة البنجابية ليستفيد منه أنصاره ومريدوه في جالندر، وفي بقية مناطق البنجاب.

---

(١) د پشتو د أدبياتو تاريخ ٢ : ٢٩٨.

(٢) روهى أدب ١٩٧ ـ ١٩٨، ود پشتو د نثر تاريخ ١٤٢.

(٣) روهى أدب ١٩٧.

(٤) پشتانه شعراء ٤ : ٩٠٨.

(٥) روهى أدب ١٩٧، ود پشتو د نثر تاريخ ١٣٥.

وللشيخ بايزيد منشىء الحركة الدينية والأدبية والقومية للأفغان رسائل كثيرة غير ذلك، وليس بين أيدينا إلا ما ذكرته من الكتب التسعة التي جاء ذكرها آنفاً. وهو في كتبه يستشهد بآية أو آيات من القرآن الكريم، ثم يقوم بإضافة النصوص المناسبة المؤيدة لها من الأحاديث النبوية، ثم يحاول إكمال ذلك بأقوال مشايخ وعلماء الإسلام .

وقد أرغمته طبيعة الموضوعات التي يتناولها في آثاره الكتابية ـ وهي الدين والزهد والأخلاق ـ أن يكثر من استعمال المصطلحات العربية المألوفة على نطاق واسع مقترنة بكلمات من اللغتين الأفغانية والفارسية، وقد لقي كل من مقصود المؤمنين وخير البيان من كتبه الاحترام والتبجيل عند القبائل الأفغانية .

مشاهير المدرسة الأدبية الروشانية :

عرفنا فيما سبق من فصول الكتاب أن باني هذه المدرسة ومؤسسها هو الشيخ بايزيد ابن عبدالله أنصاري الشهير بپير روشان، ونحاول الآن أن نقدم أسماء عدد من أشهر قادتها وأتباعها الذين ساروا على نهج بانيها، ثم أضافوا إليها كثيراً من أفكارهم التي أنتجتها عقولهم، علاوة على ما قاموا به من الدفاع عن مبادىء هذه المدرسة، وشرح ما كان غامضاً من أفكار بانيها وما جاء فيه من تعاليم مرشدهم الديني، والمصلح الاجتماعي بايزيد الأنصاري :

أولاً ـ مشاهير المدرسة من غير مريديه :

١ ـ أخوند درويزه، العالم الفاضل، والأديب الإسلامي الذي يعترف صراحة بأنه أنشد الشعر على منوال « خير البيان » لبايزيد الأنصاري ليحبه الأفغان كما يحبون «خير البيان». ومن أشهر كتبه بالأفغانية مخزن الإسلام[١].

٢ ـ كريم داد بن أخوند درويزه، وهو الذي قام بتدوين مخزن الإسلام لأبيه وأنشد الشعر على منواله[٢].

(١) پشتانه شعراء ١ : ١٨ ، وروهى أدب ٢١٧ . ود پشتو د نثر تاريخ ١٥٨ .

(٢) پشتانه شعراء ١ : ١٨ ، وروهى أدب ٢٢١ .

٣ ــ عبدالسلام ...(؟) وقد أضاف إلى مخزن الإسلام لأخوند درويزه بعضاً من شعره [١].

٤ ــ عبدالحليم بن عبدالله بن أخوند درويزه، وقد قام بإلحاق بعض من شعره بمخزن الإسلام لجده [٢].

٥ ـ مصطفى محمد بن نور محمد بن عبدالكريم بن أخوند درويزه، وقد أضاف ما أنشده من شعره على منوال خير البيان إلى كتاب جده الأكبر مخزن الإسلام [٣].

٦ ـ بابو جان لغماني بلورستاني، وقد أنشد كثيراً من شعره على منوال خير البيان لبايزيد أنصاري [٤]

أخوند قاسم بابنخيل ، صاحب كتاب فوائد الشريعة بالأفغانية الذي ألفه سنة ٩٦٧هـ = ١٥٦٠م على طريقة خير البيان، وأسلوبه [٥].

كل هؤلاء الشعراء وغيرهم من الكتاب والمؤلفين من مشاهير المدرسة الروشانية . . قد تأثروا بأسلوب خير البيان لبايزيد أنصاري الشهير بپير روشان، وأنشدوا الشعر على منوال هذا الكتاب متأثرين به تأثراً قوياً عميقاً .

ثانياً ـ مشاهير المدرسة من مريديه :

١ ـ علي محمد مخلص بن أبي بكر كندهاري : كان معاصراً لبايزيد، وخليفة له ومصاحباً، وهو الذي أضاف إلى كتاب « حال نامه = رسالة الحال » لبايزيد أنصاري سيرة أبنائه، ومغامراتهم النضالية، وقد أثنى عليه كل من ميرزا خان أنصاري، ودولت الله لواني [٦].

(١) پشتانه شعراء ١ : ١٨ .

(٢) روهی أدب ٢٢٣ وپشتانه شعراء ١ : ١٨ .

(٣) پشتانه شعراء ١ : ١٨ ، وروهی أدب ٢٢٣ .

(٤) پشتانه شعراء ١ : ١٩ ، ود پشتو د نثر تاريخ ٢٠٦ .

(٥) پشتانه شعراء ١ : ١٩ ، ود پشتو د نثر تاريخ ٢٠٣ .

(٦) پشتانه شعراء ١ : ٢٤ ، وروهی أدب ١٩٨ .

٢ ـ ملا أرزاني . . . (؟) : من معاصري بايزيد أنصاري (پير روشان) ومن خلفائه الذين دافعوا عنه، وقاموا بشرح أفكاره وتعاليمه، ويقال إن له يداً في كتابة «خير البيان» لمرشده وأستاذه. كان يقول الشعر بالأفغانية والفارسية والعربية والهندية، وله كتاب باسم «جهار زبان = اللغات الأربعة»[1]. ومن أهم سماته أنه لا يتكلف، أو يقول ما لا يعتقده.

٣ ـ عبدالله بن ركن الدين، وهو من الشعراء المعاصرين لبايزيد أنصاري. ومن شعراء الأفغانية. ولأخيه نعمت الله عدد من الرسائل من تأليفه[2].

٤ ـ ميرزا خان أنصاري، هذه شهرته واسمه فتح خان، ينتمي إلى قبيلة اليوسفزية وقد استشهد في معركة «دكن» سنة ١٠٤٠هـ = ١٦٣٠م، وله ديوان يذكر فيه بايزيد بكثرة، وهو ترجمان أفكاره، ومن الشعراء الذين أنشدوا الشعر على أوزان العروض العربي[3].

٥ ـ دولت الله لواني : هذا اسمه وشهرته «شيخ دولت» وأبوه «داداو» ينتمي إلى قبيلة «نوجاني» التي تشتهر باسم «لواني» صاحب ديوان، ومن أنصار بايزيد أنصاري المخلصين، ويسير في شعره على طريقة سابقه ميرزا خان[4].

٦ ـ واصل . . . . . (؟) هذا الشاعر، والبلبل المغرد قد ذكر بهذا الاسم في عدد من الدواوين والكتب، وشهرته عند البعض «واصل روشاني» كان أحد مداحي الروشانيين، ومن شعرائهم المشهورين. وقد ذكره كل من خوش حال خان ختك، وأشرف خان هجرى، وكاظم خان شيدا، وميرزا خان أنصاري[5]. تأثر في شعره بفحول الشعراء الروشانيين، وسار على منوالهم، ونهج نهجهم.

---

(١) پشتانه شعراء ١ : ٢٤ ، وروهى أدب ٢٠٤ .

(٢) پشتانه شعراء ١ : ٢٥ .

(٣) پشتانه شعراء ١ : ٢٥ ، ٨٠ ـ ٨٧ ، وروهى أدب ١٩٩ .

(٤) پشتانه شعراء ١ : ٢٥ ، ٨٧ ـ ٩٥ .

(٥) پشتانه شعراء ١ : ٢٥ ـ ٢٦ و ٤ : ٩١٩ ـ ٩٢٢ .

تأثير المدرسة الروشانية :

كان للمدرسة الروشانية تأثيرها الواسع العميق في الأدب الأفغاني الإسلامي نثراً ونظماً، فناً وأسلوباً، شكلاً ومضموناً، وفي كل أنواع القول في المجال الأدبي في منازل الأفغان وفقاً للظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية التي سبقت أو رافقت الحركة الروشانية . . فقد ظهرت نتيجة لهذه الحركة كتب دينية وأدبية كثيرة من أهمها كتاب خير البيان لبايزيد أنصاري، ومخزن الإسلام لخصمه اللدود الشيخ أخوند درويزه، والكتابان تسيطر عليهما سيادة الفكر الإسلامي، وسريان الشريعة الإسلامية وموضوعاتها الفقهية .

كذلك أضاف تلاميذ هذه المدرسة وأتباعها، ومن سار على نهجها دواوين شعرية وكتباً في الدين والأدب والتاريخ، شرحوا فيها التعاليم الدينية لبايزيد أنصاري ودافعوا عنها، وأوضحوا فيها ما كان غامضاً أو معقداً، والإضافات الأدبية لهؤلاء الشعراء اتباع هذه المدرسة وأنصارها كثيرة ومتنوعة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الأفكار : في مجال الفكر والأدب ظهرت في شعرهم ونثرهم أفكار جديدة متعددة الاتجاهات في الأهداف والموضوعات التي عاشوها في واقعهم الإسلامي في منازل الأفغان، فقد ظهرت في أدبهم فكرة استخدام الشعر للدفاع عن المبادىء التي سار عليها زعيمهم بايزيد أنصاري فظهر بذلك شعر الدعوة، الذي كان منطلقاً للتحرر من قيود الجمود والتخلف والركاكة والتقليد الأعمى. كما ظهر في شعرهم طابع الزهد واضحاً جلياً تمشياً مع العصر الذي كانوا يعيشون فيه، وقد شرحوا في هذا النوع من الشعر مشاعرهم الدينية كذلك ظهر في أدبهم شعر الحماسة الإسلامية التي تفيض بإيحاءات زاخرة، وصور حية تنبض بعواطفهم وأحاسيسهم الدينية .

ومن الأفكار الأدبية التي كانت لها السيادة الشعر الديني بأنواعه وفنونه المختلفة من المناجاة والمناداة والثناء والحمد لله، والإشادة بالرسالة المحمدية الخالدة، وتصوير مبادىء الإسلام وقيمه السامية من خلال مشاعرهم الذاتية، وعواطفهم القلبية، فالصورة الأدبية في أدبهم الديني تستمد روافدها من نبع الإسلام الصافي، ومن سحر الدين وروعة العقيدة .

٢ ـ سارت المدرسة الروشانية في مذهبها الأدبي على نحو من المزاوجة بين الحفاظ على الدين النقي والعقيدة الصافية، وبين التجديد بما يتناسب مع العصر والبيئة، والثقافة، والفكر، والعلم، وغيرها من المقتضيات والظروف، والأحداث، ومن هنا نرى شعراء هذه المدرسة، وأدباءها يتجاوبون مع التيارات الفكرية والعلمية والأدبية وحتى اللغوية، وينشدون الشعر، ويكتبون الرسائل بلغات البيئة المختلفة.

٣ ـ لبايزيد أنصاري (پير روشان) ولتلاميذه، وأتباع مدرسته أفضال كثيرة وكبيرة على النهضة الأدبية الأفغانية، فقد أنشأوا القصائد والغزليات والقطع والمثنويات في دواوينهم، ودواوينهم حافلة بالحقائق الشامخة، والأفكار الجيدة، والمعاني المبتكرة، وقد سار كثير من الشعراء والكتاب والأدباء على نهجهم ومنوالهم في الشعر والكتابة الأدبية. وإلى بايزيد أنصاري يرجع الفضل في تطوير بعض الحروف الهجائية الخاصة باللغة الأفغانية (البشتونية).

كان على رأس هذه الحركة الأدبية والعلمية في أول أمرها بايزيد أنصاري الذي كان على قدر كبير من العلم، وعلى قدر أكبر من الفطنة، ومعه زمرة من أنصاره وتابعيه الذين توزعوا في الأقاليم والمدن مبلغين ومعلمين للناس، حاملين دعوته في الدين والأدب والسلوك والأخلاق، الأمر الذي استتبع بدوره العناية باللغة الأفغانية وفنونها الشعرية والنثرية وحروفها الهجائية. وهكذا تسير الحركة الأدبية والعلمية وئيدة في أيام الروشانيين مستهلة نشاطها بالتمسك بالدين والورع والتقوى، ثم بالتصنيف والتأليف والإبداع .

على أن الأمر الجدير بالتسجيل هو أن هذه النهضة الدينية والأدبية والفكرية قد انبثقت من پير روشان (بايزيد أنصاري) ثم نبغ عدد كبير من تلاميذه في مدرسته الأدبية، وأصبحوا أصحاب امتياز أدبي في ميادين الشعر والأدب في مقدمتهم ميرزا خان أنصاري، ودولت الله لواني، وملا أرزاني الذين تنوعت مشاربهم الأدبية، وتدفقت روافدهم الفكرية من المدرسة الروشانية .

٤ ـ الفكر القومي : هذا هو الغرض الثاني من أغراض المدرسة الروشانية، وهو يلي الأغراض الإسلامية. والفكر القومي لدى الروشانيين ينبع أيضاً من الفكر

الإسلامي فهو ملفوف كذلك في ثوبه الإسلامي الفضفاض في أجلى صوره وأشكاله ومعـانيه، واعتـزاز الروشانيين بالأدب، والفكر، والعاطفة الوطنية يأتي من الناحية الدينية، ومن هنا نرى مشاعرهم، وأحاسيسهم رقيقة في قوة، وعواطفهم ملتهبة في حماس مزيج من الشعور الإسلامي والوطني في مفهومه الإسلامي. وكانت ثورتهم على الطغاة والبغاة تثير المشاعر وتلهب العواطف، وتشعل نار الانتقام من أعداء الإسلام ومعـاونيهم من الأفغـان المسلمين. وكان من آثار هذه النهضة الفكرية الروشانية أن وقفت القبـائل الأفغانية أمام الطغاة المستبدين، وقاومتهم تحت راية إسلامية ووطنية واحدة بجدية ونشـاط، غيرت مجرى الحياة الأدبية، واتجـه اتجـاه الذود عن المسلمين الأفغان في ديارهم، ورفع الظلم عنهم في عقر دارهم.

٤ ـ أشعاره في الزهد:

كان بايزيد أنصاري الشهير بپير روشان زاهداً وكان على مذهب الأحناف، وقد ألف كتابه «خير البيان» وفقاً للقواعد الفقهية الحنفية، ومن قراءة هذا الكتاب يتأكد للقارىء بأنه كان تقياً ورعاً، ولم يتأثر بالتصورات الأفلاطونية، ولا بالبوذية الهندية، ولا بالرهبانية المسيحية[1].

على المبادىء الإسلامية الصحيحة قام بايزيد أنصاري، وأنصاره ومريدوه بدعوة ناشطة كان لها أثرها الواضح المؤثر في القبائل الأفغانية، وبخاصة في طائفة كبيرة من الشعراء.

مختارات من أدبه :

أرى من الواجب أن أشير في البداية إلى أن النصوص المختارة من أدب الشيخ بايزيد الأنصاري، قد تمت ترجمتها بشيء من التصرف اللازم في التقديم والتأخير، وفي التعـريف والتنكـير، وفي إضـافـة بعض المفـردات لبيان المعنى المراد، وزيادة توضيحه، ولرفع ما قد يكون فيه من الغموض والإبهام، وقد قمت بكتابة المفردات المضافة بين القوسين :

---

(١) طائر : روهى أدب ٢١٠ ـ ٢١١ .

نـــص (١)

من مقدمة كتابه « خير البيان »

بسم الله الغفور الرحيم الغفار . . . معنى ذلك جلي واضح ليس بخاف على الله ﴿لا يخفى عليه شيء﴾ سجلت في مقدمة الكتاب حمداً كثيراً، وثناءً عظيماً لله تعالى أشعر بسعادة بالغة عندما (أرى) الناس يمدحونني (بذلك) كثيراً (يقول الله) : انظر! وانتبه (يا عبدي) يسبح لي كل ما في أرضي، وما في السماء (من الكائنات) .

ليس في الوجود كائن (إلا) وهو يسبح بحمدي وثنائي . فعليك أن تصدق هذا القول .

﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾[1] وهذا بيان واضح (جاء) في القرآن .

كل كائن يسبح بحمد الرحمن[2]، قال ذلك الشيخ المسلم رحمة الله عليه .

إنني رجل من عامة الناس، كيف وبماذا أدون الحمد والثناء عليك يا إلهي !

. . . (؟) إنك عالم عارف بصير، إنك أنت قد خلقت المخلوقات (والكائنات) .

إنك حفيظ تحفظ كل الكائنات والموجودات من الضياع .

وقد جاء في القرآن الكريم (قوله تعالى) : ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾[3]

---

(١) سورة التغابن : ١ ، والآية الكريمة كاملة : «يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، وسورة الجمعة : ١ ، والآية الكريمة كاملة : «يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم».

(٢) قوله : «كل كائن يسبح بحمد الرحمن» : بهذا يشير إلى قوله تعالى في كتابه المجيد : «تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً» سورة الإسراء ٤٤ .

(٣) سورة سبأ ٢١ ، والآية الكريمة كاملة : «وما كان لهم عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربّك على كل شيء حفيظ» .

إن الله سبحانه وتعالى كان (ولا يزال) عالماً، وحافظاً لكل شيء قال الهادي (الشيخ المرشد) رحمه الله : لو صار عدد البحار ضعف عدد الكائنات .

وتحولت البحار السبع إلى حروف، أو زاد سبعون ألف كاتب على عدد تلك البحار.

أو زاد على ذلك العدد سبعون ألف قلم لكل كاتب (من الكتاب) دون شك أو شبهة .

لن تنفد أحاديث الثناء عليك، لو تكسرت الأقلام بسبب الكتابة، ونفدت الحروف .

قال الله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾[1]، هذا ما جاء في القرآن واضحاً صريحاً .

إن حمدك العظيم الذي (يليق بشأنك) هو ما تعلمه يا إلهي الكريم ﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾[2] هذا ما جاء في القرآن بيناً واضحاً .

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، قاله النبي عليه الصلاة والسلام .

لقد كتبت الصلاة في هذا الكتاب على خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وعلى جميع المرسلين والأنبياء وعلى آلهم .

«وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[3]، لقد جاء ذلك في القرآن[4]

حتى يقول :

إن الموت والهلاك يفاجىء الإنسان بغتة وفي غفلة .

(١) سورة لقمان ٢٧ .

(٢) سورة النساء ٨٦ .

(٣) سورة الصافات ١٨١ .

(٤) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٦ .

ليس للإنسان المقام الدائم والحياة الأبدية في هذه الدنيا انظر، وانتبه، إن الناس في هذا الزمان يطلبون متاع الدنيا إن كثيراً من هؤلاء الناس منهمكون بما فيها من المتاع . .

منهم من يعمل بالزراعة، أو التجارة، أو التنقل، أو الجندية، ومنهم من يعمل بشؤون أخرى .

﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾[1]، هذا ما هو ظاهر بيِّن في القرآن[2] .

نـــص (٢)

خاتمــة الكتــاب

اعلم، أنني وضعت كتاب خير البيان بأربعة لغات وفقاً لمبادىء القرآن، فيه بيان الصدق والكذب والحلال والحرام، وبيان الأمر والنهي (المناسب) لكل مقام، عليك أن تعلم ذلك .

اعلم، أنني قد وضعت كتاب خير البيان دواء نافعاً محكماً للدين، وصحة للإيمان، ومصباحاً منيراً لبني البشر .

اعمل بالقرآن، ثم بخير البيان . . بالكتاب الموافق للقرآن، وذلك من أجل تقوية القلب والروح والإيمان .

وإن لم تعمل بذلك فليس لك حظ ونصيب من خير البيان .

فليخجل منه من لا يعمل به، فإنه يقدم النصيحة إلى الناس من نصائح خير البيان .

اعلم، أن كل من يقرأ خير البيان، ويعمل به سأعلمه أربع لغات، وسأخبره أمور الأمر والنهي (المناسبة) لكل مقام .

---

(١) سورة الروم آية ٧ .

(٢) د يشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٣٠٨ .

سأدل النـاس إلى طريق الحـماية والنجـاة من سيئات النفس، ومكر الشيطان، وضياع الإيمان، وسأدلهم طريق الخروج من المنكر إلى العمل المقبول، ومن النفاق إلى الإخلاص .

اعلم، أن من يقرأ خير البيان ولا يعمل به، لن أعلمه أربع لغات، ولن أعلمه أمور الأمر والنهي (المناسبة) لكل مقام .

ولن يجد في الحياة الـدنيا النجـاة من سيئـات النفس، ومن مكر الشيطان. . . وستكون حياته مليئة بالذنوب .

وسيرى بسببها عذاب النزع، وعذاب القبر، وعذاب القيامة من النار، (وغيرها) وأنواعاً من العذاب البين الظاهر. . . يعذب الله الناس بسبب العصيان ويدخلهم (؟) في رحمتـه بسبب الإحســان. قال الشيخ المسلم، رحمـة الله عليه، هذا الكـلام. (ختام الكتاب). [1] [*]

أخـونـد درويـزه :

وقد آن الأوان أن نتحدث عن نجم آخر من نجوم الأدب الأفغاني وهو ند لبايزيد الأنصاري وخصمه اللدود ألا وهو «أخوند درويزه» الذي يعد نجماً من نجوم الأدب الأفغاني في عصره الذهبي .

إن الأدب الأفغاني بعامة والإسلامي منه بخاصة يتضمن في تكوينه وأبعاده وفي نواميسه الإسلامية قيماً جمالية تتحرك عليها الحياة، ويتواصل معها الإنسان الأفغاني المسلم حياتـه الروحية. . وهي تبدو في أكثر من جانب من جوانب بنائه الأساسي والفني، وفي توزيع المساحات الأدبية، والأبعاد الفكرية، وفي تشكيل الكتل اللغوية والبشرية، وفي ضبط السنن والنواميس، كما أنها تبدو في التدفق الدائم، والتجدد المستمـر، والانبعـاث الأبدي، والعطاء النامي، والاتساع الرحب الذي لا تصده

---

(١) د پشتو أدبياتو تاريخ ٢ : ٣١٦ .

(*) لا شك أن في أسلوب الشيخ مبالغات غير مقبولة أحياناً. الناشر.

حدود، ولا تقف عنده حدود فقد شهد أدبنا الإسلامي في أفغانستان عبر رحلته الطويلة عدداً جماً من الأدباء والشعراء الذين قدموا أبدع الأعمال في معظم المجالات الأدبية، وحققوا حضورهم الزمني والمكاني والأدبي، وفرضوا معطياتهم الأدبية والعلمية على الناس، لأنهم أبناء مدرسة الإسلام الأدبية، منها انطلقوا، على ضوء قيمها ومعاييرها كتبوا وأنشدوا، أنشأوا وأبدعوا، ومن هؤلاء المبدعين والمنشدين الشيخ أخوند درويزه الذي قام بإلقاء الضوء على الأدب الإسلامي في عصره، والذي وقف مستقيماً، دون أن يميل ذات اليمين أو ذات الشمال، وهو الذي هز السامعين والقارئين، وأطربهم بأفكاره الأدبية والدينية أيما طرب.

مولده ونشأته الأولى :

ولد الشيخ الجليل والأديب الفاضل أخوند درويزه (أحمد) بن كدائي بن سعدى ابن درغان في « بونير »[1] سنة ٩٤٠هـ = ١٥٣٣م[2]، وبها نشأ وترعرع، وقد أدركته الوفاة في بشاور عام ١٠٤٨هـ = ١٦٣٨م[3]، ودفن في مقبرة « هزار خانه »[4] وكان عمره وقت وفاته ١٠٨ سنوات[5].

تحصيله ودراسته :

اتجه الشيخ « أخوند درويزه » في بداية دراسته العلمية، ومراحل تحصيله الأولية إلى العلوم الإسلامية والعربية، فتلقى ما يتلقاه طلاب العلم في عصره من العلوم الدينية والفنون العربية، ومن أساتذته المشهورين الحاج محمد المعروف بالملا زنكي البابني، والملا سنجر البابني، والملا مصر أحمد البابني، وتعمق في أمور الدين على يد الشيخ علي الترمذي الشهير في البلاد الأفغانية بلقب « پير بابا »، وقد أصبح فيها بعد خليفة له في إرشاد الناس إلى أمورهم الدينية[6].

---

(١) محمد أفضل رضا : د پشتو د نثر تاريخ ١٥٨ . (٢) خان روشن خان : يوسف زئى قوم كى سرگزشت ٤٧٢ .

(٣) د پشتو د نثر تاريخ ١٥٨ ، ويوسف زئى قوم كى سرگزشت ٤٧٢ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٨ .

(٤) المرجعين السابقين . (٥) يوسف زئى قوم كى سرگزشت ٤٧٢ .

(٦) يوسف زئى قوم كى سرگزشت ٤٧٢ ، وروهى أدب ٢١٧ ، ود پشتو د نثر تاريخ ١٥٨ ـ ١٧٤ ، وپشتانه د تاريخ په رنا كى ٦٧١ ـ ٦٨٦.

آثاره العلمية والأدبية :

ألف الشيخ أخوند درويزه (أحمد) بن كدائي بن سعدي بن درغان كتباً علمية قيمة في الدين والأدب والمناظرة والتاريخ، وكان إسلامي النزعة والاتجاه، ومن أشد الناس كرهاً للزعيم الديني بايزيد أنصاري الذي آذاه في عقيدته وعلمه، ومنهجه في حياته السياسية والاجتماعية والإصلاحية. يعد نداً، وأكثر من ند له في الميادين الأدبية والعلمية، وأقل منه شأناً في السياسة والأصالة القومية ولقد حاول قدر استطاعته أن يتجلد في صراعه مع الأنصاري، وأن يصيبه في مقتله بعلمه، وأدبه. . نثره وشعره، كما يعد بحق إماماً من أئمة الأدب الأفغاني الإسلامي في عصره، ونجد في أدبه صوراً لمجتمعه في زمانه، فالتأنق في اللفظ عنده هو صدى تأنق الأدب في أيامه.

وهو من علماء القرن العاشر الهجري المشهورين، ومن أشهر الأدباء والمؤرخين، يتمتع بشهرة ومكانة متميزة، ويأتي دوره في الكتابة وفنون القول في المرتبة الثانية بعد بايزيد الأنصاري، وقد استخدم الأدب الأفغاني لأغراضه وأهدافه الخاصة ، وتمكن من نشر العلوم الدينية باللغة الأفغانية، ونصب نفسه على رأس من عارضوا بايزيد الأنصاري وتعاليمه الدينية والسياسية بشدة ووقفوا في طريقه صامدين[1].

وهو صاحب مدرسة فكرية أدبية يقابل بها المدرسة الروشانية الأدبية، ومن أشهر شعراء وأدباء هذه المدرسة وعلمائها الشيخ كريم داد المتوفى سنة ١١١٣هـ = ١٧٠٢م، والشيخ الفاضل أخوند قاسم باينخيل شينواري صاحب فوائد الشريعة، والشيخ الأديب نور محمد، والعالم الشاعر محمد يوسف الذي كان أحد أساتذة الشاعر الوجداني عبدالرحمن بابا، والشاعر مصطفى محمد، وغيرهم كثيرون[2].

وبفضل هذه المدرسة انتشرت في الأفغان ولغتهم الأفغانية العلوم الإسلامية على نطاق واسع، مثل علوم التفسير والفقه الإسلامي، وعلوم التاريخ والسلوك والأخلاق، والأنساب، والعلوم الطبية، بالإضافة إلى بيان ما للأفغان من عادات

(١) د پشتو د نثر تاريخ ١٥٩ وما بعدها .

(٢) د پشتو د نثر تاريخ ١٦١ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٨ - ١٩ .

وتقاليد، علاوة على ما كان له من التنديد الشديد بهؤلاء الأدعياء الذين يدعون زوراً وبهتاناً بأنهم أصحاب علم وفضل، ولهم ضلع عظيم في علوم الدين وهم ليسوا من ذلـك في شيء، ولأصحـاب هذه المدرسة العلمية والأدبية والدينية فضل كبير على الأفغانية وآدابها وفنونها القولية .

مؤلفـــاته :

يقول المستشرق الفرنسي دار مستتر بأن «أخوند درويزه» قد ألف وكتب خمسين كتاباً[1] نذكر منها ما يأتي :

١ ـ مخزن الإسـلام، وهـو من أشهر كتبه الأدبية والسياسية، وقد أضاف إليه أحفاده كثيراً من الفصول تشتمل على أفكارهم[2].

٢ ـ تذكرة الأبرار والأشرار[3].

٣ ـ إرشاد الطالبين[4].

٤ ـ شرح قصيدة الأمالي[5].

٥ ـ إرشاد المريدين[6].

شخصية أخوند درويزه :

إن الثبات والصمود، والاستقامة ركن أساسي في حياة الإنسان، والشيخ أخوند درويزه يمثل الثبات والصمود بكل ما في الكلمتين من المعاني والمفاهيم، ومن السهل اليسـير أن ندرك أن أبـرز صفاته التي كان يتحلى بها حرصه الشديد، على الثبات والصمود في كل الأمور وبخاصة فيما يختص بجوانبها الدينية والعلمية . .

---

(١) د پشتو د نثر تاريخ ١٦٢ .

(٢) پشتو پانکه ١٠ : ٢٧٠ . ويوسف زئى قوم كى سركزشت ٤٧٤ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٨ .

(٣) د پشتو د نثر تاريخ ١٦٢ ، ويوسف زئى قوم كى سركَزشت ٤٧٤ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٨ .

(٤) د پشتو د نثر تاريخ ١٦٢ ، ويوسف زئى قوم كس سركَزشت ٤٧٤ .

(٥) د پشتو د نثر تاريخ ١٦٢ .

(٦) د پشتو د نثر تاريخ ١٦٢ .

إنه حي الضمير والوجدان، والعاطفة والشعور، لا ينحرف إلى انحراف نفسي، أو مرض فلسفي مما تفشت جراثيمه في الآداب والأفكار، نعمت شخصيته باليقين وسعدت بالاقتناع، وتشبعت بمنهج الله، ونهلت من ينابيع العقيدة الإسلامية الصحيحة، دون شعور بالخوف، فيها صلابة الاستمساك بالثابت الراسخ على ضوء المفاهيم والقواعد الإسلامية الشامخة ذات الصبغة الإلهية.

إن شخصية « درويزه » إفراز طبيعي لمجتمع مسلم في منازل الأفغان، لأنه قوي الصلة بتربة الأفغان وبيئتهم الإسلامية، وينابيعهم الدينية والفكرية والأدبية، إنه مفرزة أواصر الأخوة الإسلامية، والعاطفة الدينية، والفكر والموقف الإسلاميين في دنيا الكلمة الشاعرة، وهو في الوقت نفسه يرتفع بالأذواق الأدبية والدينية، ويسمو بالروح الإسلامية، ويحيي الوجدان الإسلامي ، ويقوم الاعوجاج، ويتصدى بعلمه وأدبه للهجمة الشرسة التي تريد أن تعصف بمقومات الدين الإسلامي الحنيف .

وشخصيته الأدبية مملوءة بالحقائق الإسلامية الحية النابضة، مشرقة بالأمل والرجاء، دافئة بالأخوة الإسلامية، والصلات الاجتماعية السامية، منيرة بالخير والحرية والحب، وبالعطاء والنماء، متألقة بالجمال والسعادة، ملتزمة بنطاق الالتزام الإسلامي، والمنهج المحمدي، والتصور الديني، ويمكنني القول بأنه يلتزم شكلاً وموضوعاً بقيم إسلامية خاصة يحرص عليها أشد الحرص، ويدافع عنها في استماتة، ولكنه لم يقف عقبة أو قيداً على التطور في مجال الإبداع والفكر. والالتزام في شخصيته الأدبية والعلمية بمعناه الإسلامي هو الطاعة، والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية، وفرح وسعادة في فؤاد المسلم، وسلوك عملي مطابق لحقيقة عقيدته الإسلامية، والالتزام على هذا عمل يبدأ بالنية الصادقة الخالصة. والعزم الأكيد، وينطلق بصدق من ممارسة واقعية في جنبات الحياة المختلفة. وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها أو أحكامها، ويمتد ذلك ليربط الحياة بالآخرة. ومرجع ذلك كله هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والطاعة في نظره هي المخرج من صحراء الخوف والرعب والآلام والتمزق والتيه والضلال إلى واحة الثبات على الإيمان والصمود أمام التيارات « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً.. كتاب الله وسنتي » .

ولعله من الواضح فيما أسلفنا من القول ومما يأتي من الكلام حول شخصية الشيخ « درويزه » أن شخصيته تتمتع برهافة الإحساس الإسلامي، وسرعة الاستجابة للمؤثرات الإسلامية، وتوقد العقل والفكر الديني، وتوهج الوجدان والضمير، وغنى التجربة الأدبية الإسلامية، والعاطفة الدينية، وسعة المعرفة والعرفان، والحضور التأثيري في الأعمال الأدبية، والقدرة على الإبداع والابتكار، والرؤية الشفافة للظواهر والأشياء، والأسلوب الحيوي الفاعل الذي تتداخل من خلاله هذه المكونات في شخصيته الأدبية والدينية، ومن ثم فإن شخصيته الأدبية ليست هدفاً في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة أريد بها تمكين الإنسان الأفغاني المسلم من التحقق بعلاقة أكثر حيوية وتدفقاً وتصميماً بالأدب الإسلامي، وأكثر صموداً وثباتاً على أفكاره. . الأمر الذي يقوده إلى خالق الأدب والبيان، وهو بالتالي من أشد نقاط التركيز في شخصيته قدرة على التواصل والفاعلية والحيوية والنشاط الإسلامي.

رسـالته :

أما رسالة الشيخ أخوند درويزه في أدبه الشعري والنثري، فهي جزء من رسالة الأدب الإسلامي ومضامينه بعامة، فأدبه برسالته وبمضمونه كائن حي ينبع من أعماق وجدانه، ويحمل لهب مشاعره وأحاسيسه ليوقد في صدور الآخرين نار الحيوية والإبداع، ويحثهم على بناء شخصية أفغانية إسلامية، وحياة إسلامية مثالية، وذلك بدافع نبيل، ورغبة ملحة تنبع من القلب تجاوباً مع الفكرة، واستجابة لنداء الضمير الإسلامي، ودفاعاً عن العقيدة الإسلامية، ورسالتها السامية .

نعم، لابد لصاحب الرسالة، بل لابد للأديب والشاعر أن يكون له مركز حب يوجه إليه حبه الدافق بالتفاني والإخلاص، ومن النعم العظيمة التي أكرم الله بها شاعرنا أن جعل الإسلام مركز حبه، فكانت لديه قوة الرسالة، وقوة العقيدة، وقوة الاعتزاز بهذا الدين، كان يرى أن الإسلام هو دين الإنسانية، والرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى الكامل لهذه الإنسانية، فإذا ذكره ترنحت عواطفه ومشاعره وأحاسيسه، وجاشت نفسه المسلمة، وفاضت عينه البصيرة بالرسالة الإسلامية التي تستمد جوهرها من مشكاة الوحي، وهدي النبوة .

إن رسالته الأدبية خالدة، لأن خلودها مرتبط بالروح التي تسري في أنسجتها، وخلاياها، وشرايينها، وهي روح القرآن كلمة الله الخالدة . وعلى الرغم من حدوث اضطرابات في القيم والمفاهيم العامة للأدب في عصر رسالته، إلا أن الاتجاه الإسلامي لرسالته لم يخفت أبداً، حتى في أحلك فترات التاريخ في أفغانستان، وهي فترة الحكم المغولي في البلاد الأفغانية، كان هناك دائماً وأبداً علماء خلصاء، وأدباء أوفياء، وشعراء أتقياء من أمثاله يحرسون رسالة التوجه الإسلامي عبر الفنون والآداب في مختلف العصور والدهور، لا يقعدهم عن ذلك شطط عابث، أو غواية متحلل فاسد، أخضع الكلمة ورسالتها لِلَهْوِهِ، وشهواته ومجونه .

إن الشكل الفني لرسالته الأدبية الإسلامية ميراث وتراث، ومتغير ومتنوع بطبيعته، وإن مجال العمل في شكل هذه الرسالة يلتصق بإبداعه وآرائه الدينية والأدبية سواء بسواء. ولهذه الرسالة الأدبية جانبان . . جانب خاص، وآخر عام، الجانب الخاص فيها يرتبط بالإسلام عقيدة وفكراً وتصوراً وعاطفة، ودفاعاً عنه وعن مبادئه العامة والخاصة، والجانب العام تمتد جذوره إلى الإبداع الأفغاني الإسلامي وإلى التراث العالمي المشترك الذي أسهم فيه كل شعب بنصيب، وبخاصة فيما يتعلق بأشكال الرسالة الفنية التي أصبحت في هذا العصر ملكاً للجميع لا تحجزها نزوات التعصب السياسي، أو الجغرافي، ولقد ضرب أسلاف الأفغان أروع المثل حينما أسهموا في ذلك، ولم يحجموا عن قراءة التراث العالمي المشترك. وهذه سمة رائعة من سمات رسالة الحضارة الإسلامية في أفغانستان، حيث أسهم فيها العلماء والأدباء والشعراء من أمثال أخوند درويزه، وبايزيد الأنصاري، وخوش حال خان، وأحمد شاه باب، وعبدالرحمن وغيرهم .

فرسالة أخوند درويزه في تصوري عنصر مهم من عناصر رسالة الثقافة الإسلامية وحضارتها دون شك، ولسان من ألسنة الدعوة الإسلامية التي تحرص أول ما تحرص على القدوة والمثل، وتهتم بالفعل والعمل دون أن تهدر قيمة القول . وفي هذا الإطار المبين تتحرك رسالة الشيخ « درويزه » وسلاحه الكلمة الطيبة ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾[1] .

---

(١) سورة إبراهيم ٢٤ ـ ٢٥ .

إن الأدب الإسلامي في رسالة الشيخ « درويزه » الأدبية أدب مسؤول، والمسؤولية الإسلامية في الرسالة الإسلامية التزام نابع من قلب المؤمن وقناعاته الإسلامية، والتزام تمتد أواصره المتينة إلى كتاب الله والسنة المحمدية. وارتباط رسالة الأدب الإسلامي بالمسؤولية الإسلامية النابعة من صميم الإسلام والقرآن والسنة قد منع الشعراء والأدباء والمفكرين في الديار الأفغانية من السقوط في براثن تيه الفلسفات والديانات الباطلة التي تعد بالمئات، والشيخ « درويزه » يحرص في رسالته الأدبية أشد الحرص على مضمونها الفكري النابع من القيم الإسلامية العريقة، ويجعل من ذلك المضمون، ومن الشكل الفني نسيجاً واحداً معبراً عن رسالته الإسلامية أصدق تعبير.

أسلوب أخوند درويزه :

أسلوبه الأدبي أسلوب جامع يعبر عن الفطرة البشرية، وأسلوبه في شعره، ونثره، أسلوب علمي عميق، عمق علمه ونفسه، وقصائده الشعرية، وكتاباته النثرية ليست خالية من التقاليد الأفغانية، تشتمل على المعاني الدينية والخلقية والسلوكية، والاجتماعية، وترتكز أساساً على العقيدة الإسلامية، وهو عملي في فكره العلمي والأدبي، وقصائده وكذلك كتاباته النثرية مبنية على المشاعر والعواطف الإسلامية الحارة.

وهو يتلقى إلهامه من روحه المؤمنة، ومن علمه الغزير، وفي أسلوبه مزيج من العلم والزهد، يتحدث عن الآخرة التي إليها المآل، وعن الدنيا التي فيها المعاش، وذلك منبع فيوضاته العلمية والمعنوية.. وأسلوبه في كل ذلك سلس في الأداء وتصوير المشاعر، لا يميل إلى الغموض والإبهام، وعباراته وكذلك كلماته وألفاظه مختارة وبسيطة، ينشد الشعر، ويكتب النثر بوضوح بعيداً عن التعقيد، يتحدث عن المعاني والمفاهيم الدينية بكثرة، يميل إلى الواقعية، وقليلاً ما يقع في شباك الخيال.

يرى أن الدين، وكذلك العلم والعرفان أساس الحياة، وهو يرجح اليقين والإيمان الصادق على الجانب العقلي، ولكنه لا يهمل العقل وما له من الفضيلة والمزية في

الإطار الإسلامي الذي عاش فيه حياة روحية علمية واقعية . . إنه يمثل في أسلوب شعره ونثره مشاعر الأفغان وأحاسيسهم الواقعية، وعواطفهم الفطرية . . . الإسلامية والـوطنية، وذلك في أسلوب قوي بسيط، وفي ألفاظ دقيقة عذبة، وكلمات رصينة تتناسب والمفاهيم الأفغانية بحيث يمكن أن يفهم منه كل أفغاني غرضه وهدفه، وفقاً لذوقه الأدبي، ومقدار علمه وثقافته العامة.

وبالإضافة إلى ما يشتمل عليه أسلوب شعره ونثره من موضوعات دينية إسلامية يتناول أيضاً موضوعات اجتماعية مهمة تهم المجتمع الإنساني بأسره، يقدم دروساً ومـواعظ في الأخلاق والسلوك، وفي الموضوعات الحضارية، ويقوم بشرح وتفصيل مشـاعر الأفغان الإسلامية، وأحاسيسهم الوطنية، وشؤونهم القومية بشكل جيد، ويتمتع بل يتموج أسلوب شعره ونثره بفنون البلاغة والفصاحة والرصانة. . وبقوة بلاغتـه، عبر عن المعـاني العلمية، والمفـاهيم الصعبـة، والمضامين الدقيقة بشكل سهـل، وقام بتصويرها بصورة بارعة دقيقة، وعبر عنها بطريقة واضحة، إنه يتجه مباشرة إلى المعنى الذي يريد التعبير عنه، فهو أشبه في أسلوبه ومنهجه الأدبي، وفي تعبيراته التصويرية، وفي الدقة والأمانة، وتحري الصدق، والقياسات اللائقة والدقيقة الشاملة، وفي تخير الأوصاف والنعوت والألفاظ بخصمه اللدود بايزيد الأنصاري، وقلده في أسلوبه الشعري حين بدأ يشدو الشعر على منواله، وأمسك القلم للكتابة والإنشاء والتأليف ليقوم بالرد على بايزيد الأنصاري، وذلك إعجاباً بجمال أسلوبه وكماله، ولعظيم تأثيره في الناس .

ويتمتع أسلوبه بالإضافة إلى ما مر، بالولاء الشديد للإسلام وتعاليمه، والافتخار الـزائـد به، والتغني بأمجاده التاريخية، وعظمائه الأبطال، وتوجيه أسلوبه الشعري، والأدبي، والكتـابي، ومقدرته البيانية المتدفقة إلى الدفاع عن الدين والعقيدة . وقد سخر الله أسلوبه الرائع لأداء رسالة إسلامية رائعة، فكان لروعة الأسلوب وروعة الرسالة تأثير عميق وأحدث تراكيب جديدة، وأخيلة واقعية جديدة، ومعاني جديدة. يرجع ذلك إلى قوة العقيدة ومتانتها، فقد كان الرجل قوي العقيدة في صحة الإسلام، والدفاع عنه، وقوي العقيدة في صلاحية الإسلام للخلود والدوام، وأنه هو الرسالة

الأبدية الأخيرة المختارة التي تستطيع أن تجدف سفينة الحياة، وأن تسير بالإنسانية إلى بر الأمـان والسلام، إنه كان قوي الإعجاب بالمثل الإسلامية العليا. ومن هنا أثر أسلوبه القوي في الجيل الجديد في عصره في منازل الأفغان تأثيراً لا يُعرف إلا لقليل من أقطاب الفكر والشعر في الديار الأفغانية، وما من شاعر، ولا أديب، ولا كاتب جاء بعده في موطن الأفغان إلا وقد تأثر بأسلوبه الأدبي في قليل أو كثير. هذا هو سر أسلوب الشخصية القوية المؤثرة، فإن أسلوب الأديب أو الشاعر لا يقدر على التأثير حتى يكون وراءه شخصية قوية تفرض أثرها، وفكرها، ومنهجها على اللغة، ثم على الناس، شعرائهم وأدبائهم وكتابهم، وقد كان ذلك أيضاً من شيخ الأدب الأفغاني الزعيم خوش حال خان ختك، الذي فرض شخصيته الفكرية بأسلوبه الأدبي على الأدباء والشعراء والمفكرين، فبقي تأثيره القوي يعمل في مجال الأدب والتفكير طيلة قرون، وكذلك من الشيخ عبدالرحمن بابا، ذلك الشاعر الوجداني الذي فرض نفسه بأسلوبه على الأدباء والمفكرين الأفغان، وبقي أثره القوي يعمل في مجال الأدب بفنونه المتنوعة في بلاد الأفغان، ويرجع السبب في ذلك لقوة شخصية الأديب أو الشاعر أولاً، وقوة عقيدته الدينية ثانياً، وقوة العاطفة ثالثاً، وقوة الإخلاص والتفاني في العمل الأدبي رابعاً.

وفيما يلي نموذج من شعره المثنوي في الموعظة والنصيحة، وبيان ما في الصبر عند الشدائد والابتلاء من الفوائد والفضائل، ومن المثوبة والأجر عند الله :

نـــص (٣)

أقــدم ، وتـوجــه واســمع يـا أخـــي
وأبـصـــر مــا فـي الـصـــبر مـن الـفضـــائـل
إن الــصـــبر جــمـيـل ومـفـيـد فـي كـل أمـر
إلا أنـه أكـثـر جمـالاً فـي أمـور هـذه الـدنـيـا
عـنـدمـا تـحـدث للإنـسـان نـائـبـة المـوت
فـإن ألمـاً يـنـشـأ فـي خاطـره ويضـطـرب فكـره
ســواء كـان بـمـوت ابـنـه أو ابـنـتـه

أو شقيقه ، أو ابن عمه
أو بوفاة أبيه ، أو أمه
أو أي حبيب آخر من الأحباب
عندما يخرج في سفر يا عزيزي
ذاهباً من هذه الدنيا تاركاً لها
وهو يصبر بلا غم أو هم
ويتذرع بالصبر بلا غم أو هم
ولا يرفع صوته بالبكاء والاستغاثه بالصياح
إلا أن يتذكر موته في فؤاده
فهم يقولون : إنه أمر من أوامر
الحق سبحانه وتعالى ..
كل شخص سائر في هذا الطريق
والذي يبكي عليه ليس له حق في ذلك
يجب عليه أن يرضى بأمر ربه
وبكاؤه لا ينفع في شيء
إن الله يرضى - يا أخي - عن عبده الصابر
رضاء طيباً كثيراً في كل وقت وآن
يجزل - يا عزيزي - أجر وثواب
هذا العبد الصابر بلا حساب
كأجر عبادة مائة سنة
ويذكر متصفاً بالخصال الطيبة[1]

مخزن الإسلام ونماذج من أدبه :

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الكتب، وقد تم تأليفه وترتيبه لتعليم الأفغان أمور دينهم، ولينافس به كتاب خير البيان لبايزيد الأنصاري، وينقسم إلى أقسام :

(١) مير أحمد شاه رضواني : بهارستان ، نقلا عن حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٣٦ - ١٣٧ .

قسم من تأليفه، وقسم آخر من اختياره وترجمته عن كتب عربية في العلوم الإسلامية، وأقسام أخرى أضافها إليه أحفاده وتلاميذه، كما يقول ذلك البروفيسور سيد تقويم الحق كاكا خيل الأستاذ بجامعة بشاور[1].

ويتناول الكتاب موضوعات دينية وأدبية في ضوء الشريعة الإسلامية كالمسائل الفقهية والسلوكية والخلقية في إطارها الديني الإسلامي، كما ناقش قضية وحدة الوجود، وهي القضية التي سيطرت على أذهان بعض العلماء والشعراء، وأفكارهم الدينية والفكرية في تلك الأيام.

والكتاب في مجموعه عاصفة هجوم سلطها أخوند درويزه على بايزيد بن عبدالله الأنصاري رغم موضوعاته الدينية[2].

وفي شهرة هذا الكتاب يقول الزعيم الشاعر خوش حال خان ختك، رغم انتقاده له ولصاحبه أخوند درويزه :

شيئان اثنان يوجدان وحدهما في سوات في ظاهرها وباطنها
أحدهما مخزن الإسلام لدرويزه، والآخر دفتر الشيخ ملي[3]

وفيما يلي ترجمة قطعة نثرية للشيخ أخوند درويزه في كتابه «مخزن الإسلام» الذي كان يتمتع بشهرة واسعة في الأوساط الدينية والأدبية في الديار الأفغانية.

١ ـ « أحمد الله ، وأثني عليه، ما دام لساني قادراً على ذلك، وبعد ذلك، أمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالثناء ما دمت حياً في هذه الدنيا، عليك بعد ذلك أن تعرف خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأربعة، اعلم أن أولهم أبوبكر فعمر، ثم عثمان ثم علي (رضي الله عنهم) اسمع هذا بآذان قلبك، واسمعوه أنتم أيضاً، أيها الناس (كل طفل عندما يصل سن البلوغ في هذا العالم، ذكراً كان أو أنثى، وجب عليه أن يعرف كل الواجبات والفروض في الإسلام) .

(١) روهى أدب ٢١٨ ، وپشتو پانکه ١ : ٢٧٠ .

(٢) يوسف زئى قوم كى سرگزشت ٤٧٩ ـ ٥١٣ .

(٣) روهى أدب ٢٣٠ ، ود پشتو د نثر تاريخ ١٦١ .

٢ ـ «اعبد الله بكل لسان، عربياً كان أو فارسياً، أو هندياً أو أفغانياً، اعبده باللسان الذي ترغب فيه، هذه أقوال قالها الأئمة. أكثر الناس في العالم يقولون إن القرآن باللسان العربي، لا ينبغي فرضه علينا، يجب أن يكون باللسان الأفغاني. إنهم بهذا القول ينحرفون عن الحق، ويزلون عن الصواب، وهم جهلة وأبناء جهلة لا يفهمون»[1] .

ويلاحظ أن نثر أخوند درويزه نثر مسجع كنثر خصمه بايزيد الأنصاري، كما يلاحظ كثرة استخدام الكلمات العربية، حيث إنه حدثت في هذه المرحلة من مراحل التاريخ الأفغاني تغييرات كثيرة في الأساليب الأدبية شعراً ونثراً لدخول المفردات والتراكيب العربية في اللغة الأفغانية وآدابها وفنونها القولية، وبخاصة المصطلحات الدينية، وكان استخدام الكلمات العربية في الشعر أكثر منه في النثر نظراً لكثرة متطلبات الشعر من ضبط الأوزان والقوافي، بحيث لم تكن تتيسر دون الاستعانة بالألفاظ العربية، والنثر المسجع يشبه في ذلك الشعر.

وفيما يلي نموذج آخر من شعره في وحدانية الله :

نص (٤)

إن الذين يتمسكون بالشريعة
يسلكون طريق الرسول
وكل من لا يتعدى حدود الشرع الشريف
فإنه قد نصب في قلبه خيمة الإيمان النقية
ازرع في قلبك شجرة الشريعة الإسلامية
لتعرف حقائق الفروع والأصل

ويقول :

إن الله حي لا يموت

(١) د پشتو د نثر تاريخ ١٦٦ ـ ١٦٧ .

لا يمكن للعقل إدراكه
ومن حاول إدراكه بالعقل
فإنه على خطأ وليس له دليل
وعلى المؤمن الصادق
أن يقبل صادقاً ويؤمن
بأن الله خلق العالم كله
وهو يدبر أمور كل الكائنات[1]

خوش حال خان ختك :

زعيم من زعماء الأفغان، ملقب بأب الأدب الأفغاني، أديب عظيم . . شاعر وناثر مؤلف ومترجم، مؤسس مدرسة أدبية في الأدب الأفغاني، تربى فيها أبناؤه وأحفاده وأتباعه[2] .

مولده :

ولد زعيم الأفغان وشاعرهم العظيم خوش حال خان بن شهباز خان بن يحيى خان ابن أكوري بن جنجو في مدينة «أكوري»[3] في ربيع الآخر عام ١٠٢٢هـ الموافق مايو عام ١٦١٣م، وتوفي في منطقة «أفريدي» في ٢٨ من ربيع الأول عام ١١٠٠هـ الموافق ٢٠ من يناير عام ١٦٨٩م، ونقل جثمانه من هناك ودفن في قرية «أيسوري» العليا بالقرب من مدينة «أكوري»[4] وبعيداً عن الطريق العام الذي كان يربط بين أفغانستان والبلاد الهندية قديماً .

---

(١) روهي أدب ٢٢٠ .

(٢) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ٢٧ ، ١٥١ - ١٦٩ ، ومحمد نواز طائر : روهي أدب ٢٨٧ - ٣٠٤ .

(٣) أكوري : مدينة بناها السردار «أكوري» وتدعى «سراي» أيضاً، وتقع بين نهر كابل (لندى سيند) والطريق العام الذي يربط منذ القديم بين خراسان (أفغانستان وإيران) وبين البلاد الهندية .

(٤) سر أولف كيرو : پتهان ٣٢٦ و ٣٤١ - ٣٤٢ ، ومحمد أفضل رضا: د پشتو د نثر تاريخ ٢٢٩ - ٢٣٠ .

ثقافتـــه :

أتم تحصيله العلمي في مسقط رأسه، ويبدو أنه لم يطف بالبلاد كعادة طلاب العلم في عصره، درس العلوم الإسلامية والعربية. والأدبين الأفغاني والفارسي. كما درس علوم المنطق والفلسفة، وأجاد العلوم الشرقية، وبخاصة البلاغة العربية والفارسية إجادة كاملة، يدل على ذلك علمه الغزير في مؤلفاته، كما يدل عليه شعره في ديوانه(١).

كان يجيد بالإضافة إلى لغته الأفغانية العربية والفارسية والأردية، وله معرفة ما باللغتين السنسكرتية والتركية، ويقول الأستاذ سيد تقويم الحق : إنه يستعمل المفردات العربية والفارسية والسنسكرتية والتركية بسهولة وسلاسة كأنها مفردات من لغته الأفغانية(٢).

ويبدو أن أساس تربيته وثقافته قد بني أساساً على الثقافة واللغة الفارسية ، وله فيها شعر جميل(٣).

يؤكد المستشرقون بأن عدد مؤلفاته يصل إلى مائة كتاب، ويعتقد المستشرق الإنجليزي راورتي أن عدد مؤلفاته يبلغ إلى ٢٥٠ كتاباً(٤)، ويقول الأستاذ سيد تقويم الحق : إنه كتب أكثر من ثلاثين كتاباً(٥). وقد بلغنا من كتبه المؤلفة والمترجمة أربعة عشر كتاباً(٦).

وكان الزعيم الشاعر يميل بفطرته إلى الثقافة الإسلامية واللغة الأفغانية وكان في إمكانه أن يكون أحد شعراء البلاط المغولي ليتمتع بما كان يتمتع به غيره من الشعراء،

---

(١) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥١ - ١٦٩ ، ومجلة الپشتو ١٨ عدد مارس ١٩٨٨م ، مقال للسيدة بى بى فاطمة. ومجلة الپشتو عدد اكتوبر ١٩٨٧م ، بحث للأستاذ سيد تقويم الحق كاكا خيل.

(٢) مجلة الپشتو عدد أكتوبر سنة ١٩٨٧م .

(٣) طائر : روهى أدب ٢٨٨ - ٢٨٩ ، وسر أولف كيرو : پتهان ٣٠٧ .

(٤) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٦١ .

(٥) مجلة البشتو ٧ عدد أكتوبر ١٩٨٧م .

(٦) پشتانه شعراء ١ : ١٦١ - ١٦٢ ، ومقدمة كليات خوش حال ختك ٣٣ - ٣٥ ، طبعة كابل .

وكان في إمكانه أن يختار طريق كل من السيد جمال الدين الأفغاني وبايزيد الأنصاري، والشيخ أخون درويزه الذين اضطروا اضطراراً إلى تفضيل لغات أخرى على لغتهم الأفغانية لأسباب نعرفها جيداً، ولكنه لم يفعل ذلك رغبة منه في نشر الثقافة الأفغـانية وخـدمة لقومه الافغان[1]. ومن هنا نراه يعمل على إحياء النهضة الدينية والأدبية. والقومية بين القبائل الأفغانية[2].

الحياة السياسية في عصره :

وافق الزعيم الشاعر خوش حال خان ختك القرن السابع عشر الميلادي، وشهد في حياته السياسية والاجتماعية والأدبية زحمات الحوادث، وتقلبات السياسة، وتفرق الأمصار والشعوب، وتتبين معالم هذه الحياة المتقلبة من شعره الذي نرى فيه الطوابع القـومية الإسـلامية التي كان يسـير عليهـا ويدعـو إليها، إذ كانت منازل الأفغان الإسلامية موزعة بين الأمراء والحكام من الأفغان والمغول والفرس، ولم يكن فيها أمن ولا استقرار، نظراً لكثرة ما كان من الخصومات والتنازعات، كل حاكم نراه قلقاً على مصيره، ولا يعلم طريق التصرف في إدارة إمارته، وعدو المسلمين متربص بهم على الحدود والثغور، يأخذ الأفغانيين على غرة، ويحاول القضاء على آدابهم الإسلامية عاماً بعد عام، ولم يكن الأفغان المسلمون مستهترين غافلين عن ذلك إذ عرفوا ما يحيط بهم وبدينهم من العوادي والخطوب والأخطار، كانوا مدركين أن الانقسام والخلاف طريق للضياع ، ولكن لم يكن في وسعهم الإصلاح، وتقويم الاعوجاج في وسط تيارات جارفة. وفتن عارمة. . المغول كانوا يطمعون في احتلال الديار الأفغانية كلها، غير أنهم كانوا في خوف ورعب دائمين من هجمات القبائل الأفغانية، وعلى رأس بعض تلك القبائل الزعيم الشاعر خوش حال خان ختك، ولم تكن منازل الأفغان يومئذ تتمتع بحكومة قوية يمكنها جمع شمل هذه القبائل، والدفاع عن مواريثهم الأدبية وحقوقهم السياسية.

(١) طائر : روهى أدب ٢٨٩ .

(٢) سيد بهادر شاه ظفر كاكا خيل : پشتانه د تاريخ په رنا كى ٧٥٩ - ٨٠٩ .

وكان الفرس متربصين بالأفغان تستيقظ مملكتهم الصفوية بملء جفونها لتطيح بالأفغان وآمالهم، وبالمغول وطموحاتهم التوسعية، وكانت تستولي من حين لآخر على أجزاء من البلاد الأفغانية من أطرافها الغربية.

وكان الأمراء الأفغان أنفسهم منقسمين بين عصبية وعداوة وكراهية، فالسدوزية غير راضية عن الباركزية، وكانت قبائل الختك التي ينتمي إليها الزعيم خوش حال خان غير راضية عن اليوسفزية، الكل يضمر النكد والتنغيص للجانب الآخر، ويتربص به الدوائر، والأحقاد تملأ ضمائر الجميع .

هذه نظرات خاطفة على أطراف من الحياة السياسية ببلاد الأفغان في العصر الذي عاش فيه الشاعر ختك متقلباً بين هذه البلاد في مراحل حياته السياسية والأدبية . . مناضلاً حيناً وسجيناً حيناً آخر.

أما الحالة السياسية في قبائل الختك التي ولد فيها الزعيم الشاعر، والتي طبعت شبابه بطوابعها، وكان لها الأثر الأول فيه، فلم تكن مأمونة هادئة، ولم تعرف في ذلك الحين الراحة والطمأنينة، حيث كثرت الحزازات بين الختكية واليوسفزية، واستمرت الخصومات بينهما مدة طويلة، وحمي وطيسها إلى حد كبير، راح ضحيتها عدد كبير.

أما الوضع الإسلامي في هذا العصر، فكانت ساحته الديار الأفغانية، وكان بين الأفغان والسيخ، وكانت الوطنية الأفغانية في ثوبها الإسلامي تمثل هذا الوضع، وقد أحس في هذا العصر بنكبات وخطوب اشترك في صنعها كل من القبائل الأفغانية والمغول والفرس والسيخ والإنجليز، وقد كان هذا الوضع الإسلامي هو القوة الخارقة التي استطاع بها الأفغان أن يشقوا طريقهم في غمار الأمم المجاورة إلى الفتح المبين .

عاش الأفغان في ظلال حكم إسلامي شعروا معه بحياة وطنية سامية لايشوبها هوان، وإن كانت تلك الوطنية قد تداخلها انقسام أهلها متحاسدين متنافسين بين السدوزية والباركزية، أو بين الختك واليوسفزية، وقد عاش الشعر الأفغاني يدعم أنساب الأفغان، وتقاليدهم في الإطار الإسلامي .

الحياة الفكرية والأدبية في عصره

الفلسفة والكتب والعلماء :

كان يميز الحياة الفكرية في هذا العصر الذي عاش فيه الزعيم الشاعر شيوع الفلسفة وازدهارها، فقد اتبعت العلوم العقلية والفلسفة منذ هذا العصر منهجاً علمياً، وصار لها أسلوب مذهبي خاص، وقد مشى معها علم الكلام وسار على دربها، وأقبل عليها العلماء والمتأدبون، محاولين إنشاء فلسفة خاصة تتفق مع الفكر الإسلامي من آثار السلف، وأعمال الخلف بما يساير الفكر الجديد .

وقد شاع في هذا العصر اقتناء الكتب، وصار الملوك والأمراء يفاخرون باقتناء المصنفات، ويتسابقون إلى شراء نوادرها، وقد كثرت المكتبات في مختلف المدن الإسلامية، وكانت لها آثارها البعيدة في تبصير العقول بل كانت من أسباب النهضة الفكرية والعقلية، وكانت مورداً عقلياً لكثير من المفكرين والأدباء والشعراء في منازل الأفغان، وفي مقدمتهم شاعرنا الزعيم خوش حال خان .

عاش الزعيم الشاعر في عصر تألق بالأدب من كل جانب وصنف، وقد راجت سوق الأدب الأفغاني على يديه، ولا عجب فقد كان الأدب للأمة الأفغانية منذ قديم سجل مفاخرها، وديوان حكمتها وفنونها، ومظهر تفكيرها، وشعورها الديني .

ولم يكن الأدب منفرداً ـ كما هو الحال في مصطلح زماننا ـ وإنما كان أهله مازجين بينه وبين الدين واللغة، وأقيسة المنطق والبلاغة والفنون الأدبية الأخرى. . وهذا ما فعله الزعيم الشاعر في أدبه . . شعره ونثره . .

كانت أسرة الزعيم الشاعر منحة أدبية وسياسية في هذا الزمن من التاريخ الأفغاني، حيث برز من بين هذه الأسرة كثير من الشعراء والأدباء والمفكرين والنوابغ، بما يزيد اللغة الأفغانية فائدة وثروة وتحقيقاً، وساعد في التطور اللغوي والأدبي الذي كانت تمر به اللغة الأفغانية في هذا العصر، كل ذلك ساعد الأفغان في تنمية لغتهم، وفي اتساع أفقها، وانبساط سلطانها .

أمـا الأدب الأفغـاني في هذا العصر الذي عاش فيه الزعيم الشاعر فكان مرآة أصحابه، وصورة من نفوسهم، وأهوائهم، ولم يكن بمعزل عن الجماعات في المجتمع الأفغاني، ففي أدبه آثار كثيرة صورت مجتمع هذا العصر في الشعر والنثر، وظهرت كتبه جامعة بين الأدب واللغة والقصص والدين والتاريخ، ولم تخل من النحو والصرف والبلاغة الأفغانية والفارسية والعربية.

فقد ظهرت كتبه ـ وهي كثيرة ـ بنثرها وشعرها عالماً حضارياً، وأدبياً، وفنياً لا يفنى في أدب الأفغـان، وسوف تبقى على الدهر مرجعاً وثيقاً للحياة الفكرية الأفغانية، حيث ترك فيها أثره الروحي في الدين والتعبد، وفي الحرب والقتال والحياة الاجتماعية والسياسية، وبـالاختصـار فإن الزعيم الشاعر خوش حال خان في جملة كتبه يمثل عصره أصـدق تمثيل في الحفـاوة بعادات المجتمع الأفغاني، ومجالس الفكر والدين والمؤانسة، والأخلاق، والزهد والورع والتقوى.

ولقـد ألف الزعيم الشاعر كتباً قيمة في الأدب، وكان أفغاني النزعة والاتجاه في الإطـار الإسـلامي، وكـان أكثـر الشعـراء الأفغـان كرهـاً للمغول أعداء الأفغان التقليديين، قبل الإنجليز.

والزعيم الشاعر خوش حال خان ختك يعد بحق علماً من أعلام الأدب الأفغاني إليه ينتهي محور الأدب في نثره وشعره الأنيقين، ولم ينم هذا الزعيم الشاعر، والأديب الناثر على الضيم والذل، وإنما انتقم من المغول، ونال منهم بأن حاربهم، وفند أعمالهم بسيفه وقلمه، بشعره ونثره، وأبان للناس ما كان يقوم به المغول بأهل الأفغان. ونجد صدى نفسه الصافية المنغصة في هجومه على هؤلاء المغول الذين أشهروا سيوفهم، ووضعوها على أعناق الأفغان، وألقوا بهذا الزعيم الشاعر في غياهب السجون لأكثر من أربع سنوات.

ونجـد في أدبـه صوراً لمجتمعه، والتأنق في اللفظ عنده هو صدق تأنق السيف ولمعانه، غير أن هذا التنميق والتزيين قد انتهى به إلى شيء من التكلف المكشوف، وإلى شيء من الصناعة اللفظية، ولكنها تدل على كل حال على البطولة والمغامرة، وعلى الشجاعة النادرة.

ليس هناك من هو أقوى همة مني
وليس هناك من هو أكثر شجاعة مني
لا في قبيلة الختك ولا في كل الأفغان
عجباً، لو يأتي من هو أكثر ثقافة مني[1]

وقد أجاد استعمال المفردات العربية والفارسية والتركية والسنسكرتية وإدخالها في شعره ونثره كأنها مفردات من اللغة الأفغانية، الأمر الذي يدل على اتساع ثقافته، وإجادته لهذه اللغات[2] :

أنا « خوش حال » الأفغاني الوحيد الذي لا مثيل له في الأفغانية والفارسية ولكن حديث لساني يصل إليكم من خلال اللغة الأفغانية[3] .

حياته الاجتماعية :

كان الزعيم الشاعر قد تزوج أكثر من واحدة، فكان أباً ومربياً لستين من الأبناء، ولاثنتين وثلاثين من البنات[4]. كان الزعيم الشاعر طاقة جبارة من النشاط المتوقد الذي لا يعرف الملل، فليس من الغريب أن يخوض في حياته ميادين مختلفة، ويكافح في جبهات عديدة، ويوفق في أكثرها. وهو في حياته يبدو تارة في صورة أب ودود كريم، وآونة في ثياب عابد آناء الليل، وفي صورة واعظ أوقات النهار، وحيناً في وقار فيلسوف حكيم .

حنان الأب :

وقع أشرف خان هجري بن خوش حال خان سنة ١٠٩٣هـ = ١٦٨٢م أسيراً في أحد المعارك أيام أورنگ زيب ، ونفي إلى دكن بالهند، وسجن في قلعة بيجابور[5]، وكان شاعراً فارساً مغواراً، فأثر ذلك في خوش حال فأنشد قائلاً :

(١) محمد نواز طائر : روهى أدب ٢٩٥ ، ومجلة البشتو ١٨ عدد مارس ١٩٨٨ .
(٢) مجلة البشتو ٥ عدد أكتوبر ١٩٨٧م .
(٣) مجلة البشتو ٢١ عدد مارس ١٩٨٨م .
(٤) مجلة البشتو ٥ عدد أكتوبر ١٩٨٧م ، بحث بقلم سيد تقويم الحق كاكا خيل .
(٥) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٦٩، ومحمد أفضل رضا : د پشتو د نثر تاريخ ٢٢٩ .

نص (٥)

إنني لا أهاب الموت ولا أهتم به
فلماذا وكيف أهاب السجن ؟
غضب أولاً ، ثم فراق ثانياً
لهذا فأنا في النار وفي الماء
فقد كتب إليَّ أشرف خان رسالة
وأنا سعيد جداً برسالته (التي يقول فيها)
« مضى بي في السجن خمسة أشهر
ولكنني مرتاح الفؤاد يا والدي! »
ولدي ، كنت في غم وحزن عليك
إن كنت أنت بخير فأنا بخير
والذي ينافس السماء العالية
في الهمة العالية هو أنا
حكمه (تعالى) لا يخلو من الحكمة
أنا خوش حال راض بحكمه[1]

الغنى في نظره :

إن الغني ـ في نظر الزعيم الشاعر خوش حال خان ـ هو من ينفع الآخرين وليس الذي يقوم باكتناز الثروة لنفسه ، انظر إليه ، وهو يتحدث عن الغنى بالعمل :

الغني الذي يوصف بالغني الحق
هو ذلك الذي يتفرع من بحره نهر شخص آخر[2]

(١) سيد بهادر شاه كاكا خيل : پشتانه د تاريخ په رنا کی ٧٩٢ ، وكليات خوش حال ختك ١١٣ طبعة كابل.
(٢) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥٦ .

حقيقة القلب واللسان :

كل القلوب تكـــون سعيدة وفـــارغـــة عن الأحـــزان في الأفـــراح
القلب الـــذي يتحـــلى بالشجـــاعة أثناء المحن هو القلب الحقيقي
إن اللســـان الـــذي يخرج الكذب، كيف يمكن أن يكون لساناً؟
إن اللســـان الـــذي يخرج الصـــدق، هو اللســـان الصـــادق حقاً[1]

حياته القيادية :

كان الزعيم الشاعر خوش حال خان ختك قائداً في الجندية الإسلامية، كما كان ورعاً زاهداً، مد يده إلى السيف للدفاع عن الحق وهو ابن ثلاثة عشر ربيعاً، ولم يتركه حتى تجاوز عمره الثامنة والسبعين[2]، اشترك سنة ١٠٥١هـ = ١٦٤١م في حرب «جكت سنكـ» وانتصر، واشترك سنة ١٠٥٦هـ = ١٦٤٦م بفعالية في أحداث بلخ وبدخشان[3].

شعر الزعيم ختك :

الطبع والإلهام أساس الشاعرية، وقد كان الزعيم الأفغاني خوش حال ختك شاعراً مطبوعاً، نطق بالشعر وتأتي له وهو ابن ست عشرة سنة[4] وفي ديوانه قصائد قالها في أوائل حياته الشعرية، دلت على ما سيكون لصاحبها من مكانة في الأدب الأفغاني . وكـان لحياة هذا الشـاعر العظيم الأولى في أسرته وبين القبائل الأفغانية، ومعرفته بأصول اللغة، واستعمال الكلمة في موضعها من كلام الأفغان ـ أثر راسخ في موهبته وطبعه، حتى إن حب الوطن والحنين إليه، والدعوة إلى التحلي بالخلق الإسلامي، وبالشجاعة والبطولة ما فارق قصيدة واحدة من قصائد شعره[5].

---

(١) المرجع السابق .
(٢) مجلة البشتو ٧ وما بعدها عدد أكتوبر ١٩٨٧م .
(٣) مقدمة كليات خوش حال ختك ٢٩ طبعة كابل .
(٤) مجلة البشتو ٧ عدد أكتوبر ١٩٨٧م .
(٥) مقدمة كليات خوش حال ختك ٢٠ ـ ٢١ طبعة كابل .

ذاق في حياته الحلو والمر، ومنها تكونت شاعريته[1] الفذة، وطرق أبواب كل فنون الشعر، وجميع أصناف الأدب[2] التي نمت بنمو شعره وتطوره، ولم يترك موضوعاً إلا وتحدث عنه في آلاف الأبيات من قصائد شعره[3]. فهو بحق شيخ الأدب وأستاذ الشعر، ومعلم السياسة، ولهان الحرية، وسلطان المعاني، وتظهر الأخلاق الحميدة في أساليبه الشعرية[4] والنثرية[5]. وقصائده الشعرية تعج بالتشبيهات والاستعارات والتجنيسات والصنائع والبدائع[6]. وهو في كل ذلك صادق القلم، صريح التعبير دون خوف أو وجل[7].

إنه شاعر رومانتيكي واقعي، ورومانتيكيته تنتمي إلى الواقعية، وله قصائد غراء في الموضوعات الواقعية المختلفة التي لا تخرج عن الدين في شيء كالمودة، والحياة الاجتماعية، والدينية، والموضوعات الوطنية، والحماسية، وفي الفضائل الإنسانية الخلقية والسلوكية، وما يتمتع به الأفغان من الصفات كالشجاعة والإقدام، وكالبطولات في الحروب. إنه شاعر مجاهد، وأديب ماهر، وعالم بأمور الدين[8]. إن شعره يجمع بين طرفي اللفظ والمعنى، ولا يتعامل مع أحدهما على حساب الآخر، والابتكار وعدم التقليد الأعمى أحد مزاياه الشعرية الكثيرة. ويقوم بأداء المعاني المبتكرة وفقاً لأساليب اللغة الأفغانية وقوالبها اللغوية .

---

(١) مجلة البِشتو ٧ عدد أكتوبر ١٩٨٧م .

(٢) طائر : روهی أدب ٢٩٠ ـ ٢٩٦ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٥١ ـ ١٦٩ .

(٣) مجلة البشتو ٧ ـ ٨ عدد أكتوبر ١٩٨٧م ، وروهی أدب ٢٩٠ ـ ٢٩٦ .

(٤) پشتانه شعراء ١ : ١٥٤ ـ ١٦١ ، وكليات خوش حال ختك ١ وما بعدها طبعة كابل.

(٥) رضا : د پشتو د نثر تاريخ ٢٢٩ ـ ٢٤٤ ، وروهی أدب ٢٩٥ .

(٦) مجلة البشتو ٧ ـ ٨ عدد اكتوبر ١٩٨٧م ، وپشتانه شعراء ١ : ١٥١ ـ ١٦٩ ، وروهی أدب ٢٩٠ .

(٧) كليات محمد إقبال ٧٤٩ ، ومجلة البشتو ٧ ـ ٨ عدد أكتوبر ١٩٨٧م .

(٨) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥٣ ـ ١٦٩ ، وطائر : روهی أدب ٢٨٧ ـ ٣٠٤ ، ومجلة البشتو ٧ ـ ٨ عدد أكتوبر ١٩٨٧م ، ومجلة البشتو ١٨ وما بعدها عدد مارس ١٩٨٨م .

نقـده الأدبـي :

وجـه نقـده الشـديد الهـادف إلى الشعراء الذين سبقوه لخلو شعرهم عن المزايا الشعرية الجميلة وفقاً لاعتقاده. وهو في هذا المضمار يتمتع بالمواهب النقدية الصائبة، يوجه نقده إلى غيره من الشعراء بلهجة حادة شديدة، يقول:

لـسـانـي لـيـس إلا كـالـنـار
يـوجـه ضـربـاتـه كـالـبـنـدقـيـة[1]

وشأن لسانه في توجيه النقد شأن سيفه الصارم، ولا يقل قلمه في هذا المجال عن سيفه ولسانه، فهو يجمع في شعره ونثره مزايا اللسان الحاد، والسيف الصارم، والقلم الصائب، اسمعه حيث يقول:

مـا أحـسـن قـولـك يـا خـوش حـال
حيث إنـك تنشـر نثـر السـيف بالقلـم[2]

نماذج مختارة من شعره :

أما الشعر في هذا العصر، فقد انبعث في قريحة الزعيم الشاعر عبقرية فياضة، ومواهب متجاوبة، وكان هذا الأديب والزعيم الشاعر أكثر الشعراء طموحاً، بل كان في هذا التألق والتجدد ثمرة تطور فني، وتمازج فكري بدأ في الأدب العربي، وظهر أثره في الآداب الإسلامية التي ظهرت متأثرة بالأدب العربي. فمنذ زمن الزعيم الشاعر حدثت في شعر الأفغان هزة جديدة، وطفر الشعر طفرة رائعة، وقد جاء أستاذ الشعراء الأفغان خوش حال خان ختك ففتح أبواباً جديدة لصناعة الشعر الأفغاني، ومضى تلاميذه من أبنائه وأحفاده على غراره في صنع الشعر وقوله، وكان هو قد أدخل عليه من ذوقه وفنه الشيء الكثير، سواء في الوصف والتصوير، أم في دقة المعنى والتعبير، كما أخـذت بوادر الابتكـار تلوح على يديه في المعاني اللطيفة والطريفة ، وأتى هو

(١) پشتانه شعراء ١ : ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق .

وصحبه وأتباعه من الأبناء والتلامذة من الإبداع في الشعر الأفغاني ، بعثوا فيه روح البناء والتجدد والتفنن، مع المحافظة على ديباجة القول السديد، المحكم الرصين، وإبراز القصائد والمقطوعات في طراز رفيع ، يربط حاضر الشعر الأفغاني بماضيه التليد، لكن الروح الفنية الجديدة دخلت هذا الشعر، وآذنت الحضارة الإسلامية بتمازج الثقافات ، كما آذن الزمن أن يرث القرن الذي عاش فيه هذا الزعيم كل هذه الصفات والمزايا في الشعر الأفغاني، وليستقبل هذه المواريث الأدبية والفنية سائغة مستحبة، فيتداول أروعها، وأبقاها، ويختص شعره الإسلامي بأقوى ما فيها .

وكان بين الشعراء المبرزين آخرون دونهم في الشهرة والقصيد في هذا القرن، وكانت لهم آثار أدبية شاعت بين القوم، فيهم الشاعر أشرف خان هجري الذي كان له شعر حسن جميل لا يقل عن شعر والده خوش حال خان ختك، وكان في أيامه شاعر آخر، هو عبدالقادر خان ختك، الذي له نماذج شعرية يصل في الجودة والرصانة إلى شعر والده البطل الشاعر خوش حال خان، وكان في عصره كثير من الشعراء منهم خواجه محمد بنكَش الذي كان معاصراً لهذا الزعيم الشاعر، وله نماذج شعرية في غاية الجودة والروعة .

وفي كتاب « بته خزانه = الكنز المكنون » للمؤرخ الأفغاني محمد بن داود خان بن قادر خان الهوتكي شعراء كثيرون غير هؤلاء، عاشوا في ظلال الأدب، وللأدب والشعر .

روحه الجبارة :

كان للشاعر البطل خوش حال خان شباب وفتوة، ورونق ووسامة ، وكانت روحه نبيلة شابة طوال عمره، وقد صور روحه في شعره أصدق تصوير، فهي أبية جبارة حقاً حين قال فيها :

حملت السيف الصارم ثائراً لأجل الغيرة على الأفغان
إنني خوش حال من قبيلة الختك عالي الهمة غيور الزمان[1]

(١) كليات خوش حال خان ختك ٥٢ طبعة پشاور، وبتهان ٣٤٢ .

العزم القاطع إثر محنة السجن :

وكل مفاخرة تعج بالتعاظم والتباهي ، فهو يبدو فيها حيناً بصورة محارب شجاع ، وتارة في وقار فيلسوف حكيم ، وآونة في ثياب واعظ رشيد . أو وصاف ساحر ، وكان يرفع أحياناً هذه النفس الأفغانية المسلمة فوق نفوس البشر ، حتى يزهو بما ركب في طبعه ، وفي طبع الأفغان المسلمين من مزايا وخصال إسلامية سامية :

فقد انعقد بعد محنة السجن هذا العزم
وهو عزم قاطع جزم به قلب خوش حال
إما التوجه الدائم شطر مكة المكرمة
وإما القيام بالقتال ضد المغول
وإما اتخاذ ركن جبل من الجبال
للقيام بالصلاة والصيام ومجلس التلاوة[1]

العمل في نظره :

إنه يدعو إلى القيام بالعمل الذي تعم فائدته جميع أفراد قومه في المجتمع ، ويفضل المصلحة العامة على المصالح الفردية ، اسمعه حيث يقول في ذلك :

إن الذي يموت فداء وغيرة على قومه هو الابن الذي
يرفع رقبة أبيه عالية في العالم كله[2]

الاعتماد على النفس :

من معانيه في الشعر الدعوة إلى الاعتماد على النفس ، وهو من أهم أركان الخلق الاجتماعي والقيادي لدى الأفغان ، اسمعه ، وهو يقول في هذا المجال :

(١) د خوش حال خان ختك كليات : ١ : ٣٠ ، مقدمة طبعة كابل سنة ١٣٥٩هـ ش وحبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥٣ .

(٢) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥٦ .

بطولة الأسود وشجاعتهم لا تعتمد على الجيش
اعتمادهم في ذلك يكون دائماً وأبداً على النفس وحدها[1]

الإخفاق والفشل :

يدعو بقوة إلى عدم الاستسلام للإخفاق والفشل، وعدم الركون إليهما، وليكن القائد ذا همة عالية حتى في حالات الإخفاق والفشل، انظر إليه، وهو يقول في هذا :

لو ألقتك الأقدار داخل فم الأسد
لا تترك الهمة والعزيمة وأنت داخل فمه[2]

الكبرياء والطبع الأفغاني :

ولكن شرف الكبرياء الذي جلله، والتمرس بالجد في حديثه ومعاملته نفّرا منه كثيراً من القبائل التي لم تستطع إلا أن تقر له بميزات لم تكن موجودة في أمثاله، فكان الكبراء يغتاظون من خيلائه، والشعراء يحسدونه على قصيده، ويضيق الملوك بمكانته وهمته العالية. ومع هذا كله فإن الطبيعة الأفغانية بدت صريحة واضحة في حياته السياسية والأدبية، فكان صريحاً شجاعاً، معتزاً بإسلامه وأفغانيته وسيفه الذي كان لا يكسب الفضل إلا من مضاربه، كما كان على الدوام صاحباً له وحامياً حتى آخر حياته في منفاه الاختياري :

اتخذت الغيرة والشهرة عادة لي
لو عدلت عن عادتي هذه لكنت عبيدة حقيرة[3]

سيرته في شعره :

جاء شعر هذا الزعيم الشاعر موضحاً لسيرته وحوادثه، ولم يتفق لشاعر أفغاني برزت أطوار حياته وعصره في شعره مثلما اتفق لهذا الزعيم الشاعر خوش حال، ففي

---

(١) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥٥ .

(٢) المصدر السابق ١٥٦ .

(٣) د خوش حال خان ختك كليات : ١ : ١٩ ، مقدمة طبعة كابل ، وكليات خوش حال خان ختك ٥١ طبعة پشاور .

ديوانه وكتبه صور نفسه ومزاجه، وخصائص فكره، وضروب المحن التي لازمته في الموطن والمنفى :

نـــص (٦)

تطوقــت بالأغــلال في عهــد المــلك أورنــگ زيب
فأصــابــتــني الآلام دون تقــصــير، ودون ذنــب ارتــكبـتــه
صرت في قيود وأغــلال أورنــگ زيب ثلاث، أربــع سنــوات
وحــيث إن الله أنــقــذني سأتحــمــل الــصــبر للانــتــقــام
كانــت الحــياة في دنــيا المــغــول كالنــار المشتعلة في جســدي
بصــحــبــتــهــم أســود لوني كالــفــحــمــة الــســوداء
وفــجــأة وضــع أســاس الــفــســاد في هذه الــبــلاد
فتــذكــرت تصــميمــي على القيام بعمــل لتــلافي الانتقــام
فلو قمــت باستغــلال شرارة من هذا الفســاد وحــولتهــا ناراً
لأضــرمــت بذلــك الــنــار في دار المــلك أورنــگ زيب
وقــفــت الــيوم صامــداً غيرة على الأفــغــان كلهــم
ولهــذا أقــف على كل باب عنــد كل صوت
أصــبــحت شهــماً فارســاً مغــواراً في مثــل هذه الشيخــوخــة
وأقــول بصراحــة : ما جعــلني الله من المــغــول مرة أخــرى
لو حدثــني المــغــول مائــة حديث ووعــد
لكــانت هذه الــوعــود الكــلامية كحمــل الأتــربــة ونثرها على عاتقي[1]

تزعمه لحركة ثورية :

ولا أشك في أنه تزعم حركة أفغانية ثورية قومية ضد المغول، وأعوانهم، وكان غرضها سياسياً ودينياً، ممزوجاً بالقومية الأفغانية، وقد آل أمره إلى السجن والاعتقال

(١) د خوش حال ختك كليات ١ : ١٢ ، مقدمة طبعة كابل .

بعد المطاردة والتشريد، وفي سجنه كان عظيم النفس أبي الروح، لم يتمكن عض الحديد والجوع، ومشقة الغربة من إجباره على تقديم التماس العفو من الحاكم المغولي

لا يبدو في هذا الوسط شيء آخر
إما القضاء على المغول. وإما ذلة الأفغان[1]

ويقول في القصيدة نفسها :

إذا كان الأفغان يفكرون في شيء آخر فإنهم لا إدراك لهم
لا نجاة ولا إنقاذ بعمل آخر غير السيف
إن الأفغان أفضل من المغول في البطولة والشجاعة
لو كانوا يستحوذون على قدر من الذكاء في العلم والمعرفة
إن الشعوب عندما تساند بعضها بعضا
فإن الملوك يختارون الخضوع لها[2]

تصوير الآلام في السجن :

عندما كان الزعيم الشاعر خوش حال يقاسي من آلام الفرقة والغربة في ظلام سجن « رنتمبور » في الهند تمكن من كتابة قصيدة قصيرة، وبعث بها إلى مسقط رأسه سراي (أكوري) مع أحد الأشخاص يعبر فيها عن آلامه الممزوجة بالشكوى، وذلك قبل أن يطلق سراحه بوساطة أحد أصدقائه[3]. انظر إليه، وهو يقول :

نص (٧)

أحمل على قلبي علامة الحرقة بسبب أناس غير كاملين
لم يقم بعلاج هذه العلامة الحارقة هؤلاء الكسالى النائمون

---

(١) كليات خوش حال خان ختك ٢٥ طبعة پشاور .

(٢) سر أولف كيرو: پتهان ٣٢٩ ـ ٣٣٠ الترجمة الأردية، وكليات خوش حال خان ختك ٢٥ طبعة پشاور.

(٣) مقدمة كليات خوش حال ختك ١٥ ـ ١٦ طبعة كابل ، وسر أولف كيرو: پتهان ٣٣٣ ، وكاكا خيل : پشتانه د تاريخ په رنا كى ٧٦٤ ـ ٧٦٥ .

إن الغزالة إما تأكل الضربة في قلبها، أو تعود جريحة
وذلك عندما تدخل حلقة الصيادين السريعي الحركة
سوف يكون أسفي على من أملت فيهم وهم لا يخجلون ولا يتمتعون بالغيرة
سيجعل الله كل الأمور طيبة ، سابقاً ولاحقاً
إن دموع عيني تحولت إلى دماء تتساقط
حتى إن الشياب على بدني أصبحت غير صالحة للارتداء
إن المتألم يعلم حال المتألمين قياساً على حاله
ولو تحدث عنها لا تبدو للأصحاء واضحة
شعر خوش حال هذا عندما يصل إلى سراي
سيرفع الأصدقاء الطيبون صرخاتهم لقراءته[1]

أنا مسلم خلفاً عن سلف :

هذا العنوان من اختياري ، وقد عنونت به قصيدة للزعيم الشاعر خوش حال خان ختك قمت بنقل بعض أبياتها إلى اللغة العربية ، يقول فيها :

نص (٨)

حمداً لله الذي أوجدني من العدم
ولم يجعلني خلقة أخرى، وجئت إلى الوجود من آدم
انحدرت مسلماً محمدياً نسلاً عن نسل
إن الله تعالى منح قلبي حباً كثيراً للعلماء
إنني لست خماراً، ولا مقامراً، ولا زانياً
ولست القاضي أو المفتي الذي يطمع في عدة دراهم
جعل الله السيف(*) من نصيبي لأنني أفغاني
كان والدي شهباز خان كريماً كحاتم الطائي

---

(١) كليات خوش حال خان ختك ١٨٠ طبعة كابل ، ومجلة اليشتو ٢١ عدد مارس ١٩٨٨م .

(*) يشير إلى الجهاد .

وكـــان قلبـــه كقــلب الأســـد، وفـــاق رسـتـم في الـبـــطولـــة
كان متمسكــاً بالشرع صامـداً محكـماً، متعـامـلاً بالصـدق دائماً
لم يكن يجيد الكتـابة والقراءة، ولكنه كان عارفاً خبيراً بالحكمة[1]

التدبر في مناظر الكون :

عنــدمــا قمت بالنــظر والتــدبـر والتفكـر في الـذرات والمـوجـودات
تأكــد لي بأنني قد جئت إلى الـدنيا جاهـلاً، وسـأخـرج منهـا جاهـلاً
رداء واحــد فقط يلف وسط الإنســان، والفهم عاجــز عن العمــل
هذا القــدر من القصص، وهــذا القـدر والكم من إدراك السـماوات
لم يدرك كنــه أسرارهــا الــصــحــيحــة أحــد من الــنـــاس
لو نظرت إلى الكــائنــات تأكــد لك بأنها مصنــع ومعمــل كبـير. .
تعـلم واطـلب الـعـلم إلى درجــة تتمكن معهــا أن تعلم الآخــرين
وآخــر الأمــر لن تستــطيع أن تحيط علماً بترهــات الكــون ودواهيه
المــردودة، أو المـقــبــولــة، أو المـعــقــولــة، أو الــلا معـقــولــة
انــظر إلى ذلــك وشــاهــده متفــرجــاً، ولا تتنفس أكثر من ذلــك
تضــع رأســك للسـجــود، وتقــول بأنــك تصــلي يا خوش حال!
ولا تنظر إلى قلبك الذي يوجد فيه كم من أصنام اللات والمناة![2]*

عبدالرحمن بابا ـ الشاعر الإسلامي الوجداني :

عبدالرحمن بن عبدالستار الشهير بـ «رحمان بابا» أكثر شعراء الأفغان شهرة وقبولاً، وأكثرهم تقـديراً واحـتراماً، ليس في الأفغان شخص لا يعرف عبدالرحمن الشاعر الوجداني الإسلامي، ولا يطرب لشعره يقوم الخطباء فوق المنابر بتقديم أبيات شعره

(١) كليات خوش حال خان ٥٢ ـ ٥٣ طبعة بشاور .

(٢) كليات خوش حال ختك ٣٩ طبعة كابل ، حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٥٨ .

(*) يريد الشاعر في البيت الأخير أن يخلي نفسه من كل شيء في صلاته ، وعبادته ، ولا يريد أن يشغله شيء عن ذكر الله وحده .

كمواعظ دينية مؤثرة، والنساء يستشهدن بأبيات شعره عند تقديم نصحهن للشباب، ويستشهد الشيوخ أثناء مؤتمرات المصالحة بشعره، ويتغنى الشباب بقصائده، الكل يحترم شخصيته، ويقدر شعره، وهو عزيز مجلل في نظر الجميع، وهو شاعر الأفغان الموهوب، وبلبلهم المغرد المطبوع[1].

مولـــده[2] :

ولد عبدالرحمن بابا على الأرجح سنة ١٠٤٢هـ = ١٦٢٢م في بلدة « بهادر كلـي» ونشأ في بلدة « هزار خاني » وتوفي بها سنة ١١٢٨هـ = ١٧٠٨م[3]. ويرجع بنسبه إلى قبيلة مومند (مهمند) الأفغانية الشهيرة وبعد أن درس العلوم الرائجة في عصره اعتزل الناس، وانقطع إلى عبادة الله، وقد ظهر فيه منذ أوائل شبابه ميل إلى التدين والتلذذ بالتجـرد الـروحي، فلما مر ببعض مراحـل حياتـه العلمية عاد إلى العبادة والسياحة الروحية، فنضجت شاعريته الوجدانية، وكملت مواهبه الروحية والمعنوية .

على أننا لا نعلم عن أسرته شيئاً يذكر، والمصادر التي تتحدث عن تاريخه وتاريخ أسرته قليلة شحيحة.[4]

---

(١) مجلة البشتو عدد أكتوبر ١٩٨٧م پشتو أكيديمى، پشاور يونيورستى، مقال بقلم الأستاذ سيد تقويم الحق كاكا خيل.

(٢) يراجع : حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ١٩٣ ، ومير عبدالصمد خان : شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ مقدمة عبدالحليم أثر، ديوان رحمان بابا ٥ ـ ٩ طبعة كابل، مقدمة حبيب الله رفيع، ومجلة البشتو عدد أكتوبر ١٩٨٧ ، وديوان عبدالرحمن بابا ٦ ـ ١٣ طبعة پشاور ، مقدمة سيد رسول رسا، وديوان عبدالرحمن بابا ١١ ـ ١٨ طبعة پشتو أكيديمى پشاور ، مقدمة مولانا عبدالقادر .

(٣) محمد آصف صميم : د رحمان بابا د ديوان نوم شود ١٤ المقدمة ، ومحمد هوتك : پته خزانه ٤٤ الطبعة الثالثة ١٣٥٤هـ ش = ١٩٧٥م.

(٤) ديوان عبدالرحمن بابا ١٢ ـ ١٣ ، مقدمة سيد رسول رسا ، طبعة پشاور ، وديوان عبدالرحمن بابا ١٩ ـ ٢٠ مقدمة مولانا عبدالقادر ، طبعة پشتو أكيديمى ، پشاور يونيورستى.

سـيرته :

أنـا عبـدالـرحمـن أطـلب الحـماية من ذلـك الـعـلم
الـذي لا يمـت إلى الـدين والـعـقـيدة بصـلـة[1]

تلقى عبدالرحمن ما يتلقاه فتيان أهل زمانه من علوم على يد علماء عصره. . درس القرآن الكريم والعلوم الدينية الأولية في «بهادر كلي» مسقط رأسه، ثم ارتحل كعادة طلاب العلم في عصره إلى «سلطان بوره» ودرس بعض العلوم الإسلامية والعربية، كما أقام ردحاً من الزمن في كوهات ودرس مزيداً من العلوم الإسلامية والأدبية، ثم عاد إلى مسكنه في «هزار خاني» ولزم منزله، وعاش فيه على طريقة الزهاد في الدنيا ومتاعها .

يبدو أنه قرأ بإمعان كثيراً من دواوين الشعراء الأفغان من أمثال ملا أرزاني. وميرزا أنصاري، ودولت لواني، وخوش حال خان، وغيرهم ممن سبقوه في قول الشعر، كما يبـدو أنـه اطلع على دواوين شعـراء الفـارسية من أمثـال سنائي غزنوي، وحافظ شيرازي، وعبدالقادر بيدل، وغيرهم، وقد تأثر بها، وأخذ بعضاً من معانيهم، وهو يضع شعره وشعر سنائي غزنوي في منزلة واحدة من الجودة حيث يقول[2]:

أنـشـد عبـدالـرحمـن الـشـعـر بالـلغـة الأفـغـانـية
وأنـشـد سنـائـي الـشـعـر بالـلغـة الـفـارسـية[3]

الثبات على الإسلام، والاستقامة، والزهد في الدنيا، وعدم التظاهر في عبادته، وبقية أعماله من المبادىء التي سار عليها عبدالرحمن بابا ولم يرض بغير الإسلام ديناً وعقيدة وسلوكاً، ويدعو الله أن تكون عبادته لله في الدنيا خالصة لوجهه بعيدة عن الرياء والتظاهر، وهذا البيت من شعره يدلك على شيء من زهده واستنكاره للرياء :

---

(١) د عبدالرحمن بابا ديوان ١١٦ ، د سيد رسول رسا تحقيق .

(٢) مير عبدالصمد خان : شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ ـ ١٥ ، طبعة پشاور ، ومحمد نواز طائر : روهي أدب ٣٠٦ ـ ٣١٥.

(٣) د رحمان بابا ديوان ١٣ ، مقدمة حبيب الله رفيع ، طبعة پشتو تولنه ، كابل.

أنــا عبــدالــرحمــن أرغــب في الحــماية من زهــد فيه رياء
إن الــزهــد الــذي يحتــوي على الــرياء عذاب وعــقــاب[1]

كان عبدالرحمن من الدعاة الهداة، ومن العلماء الحماة، يرفع صوته بالدعوة إلى الله ليجعل الديار الأفغانية معطرة بأبيات شعره الذي يحتوي على مبادىء الإسلام، وتعاليمه السامية، وقد أدرك جيداً ما للشعر من تأثير على نفوس الأفغان، حيث ينشر بينهم من خلال روائع شعره القِيَم الإسلامية الرفيعة، والمبادىء القويمة، والأخلاق المتينة، والأهداف السامية التي وضعها الإسلام، وشرحها نبي الإسلام :

ربــاه، شعــري الــذي يجعــل بلاد الأفــغــان معــطرة
صير كل شطر منــه ضفــيرة من ضفــائــر الحــســان[2]

يجمع المؤرخون على أنه كان ورعاً وقوراً طيب الأقوال والأفعال، ومن روح قصائده الشعرية يتجلى له أربع مزايا بارزة :

١ ـ كان شديد التأثر بالإبداع الإلهي في الطبيعة والكون، وأثر ذلك واضح جلي في شعره الوجداني، حيث إن في ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها مناجاته لله .

٢ ـ ميله الشديد إلى العزلة والتقشف، والبعد عن ضجيج الناس ومتاعبهم، وقد عبر عن ذلك في كثير من أبيات شعره، منها هذان البيتان :

ما رأيت المــلك الأســفــل ولا المــلك الأعــلى
ولا عنــدي خبر عن الــيمــين، ولا عن الــيســار
المــاء والــطعــام يصــلني كالــرحــى في مكــاني
في منــزلي يتــم سكــوني، وكــذلــك حركــتي[3]

(١) د رحمان بابا ديوان ٣٨ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل . وديوان عبدالرحمن بابا ١٨٠ ، طبعة پشتو أكيديمى ، پشاور يوينورستى .
(٢) د رحمان بابا ديوان ٢٢٢ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل .
(٣) د رحمان بابا ديوان ٥٣ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل سنة ١٩٧٧م .

٣ ـ كرم سجيته وحسن خلقه، فقد أجمع الكل على نعته بسمو الخلق من رقة وإيناس، وكرم وترفع عن حطام الدنيا، ولم يكن من الذين يصطنعون التدين طمعاً في الحصول على المال أو شرف المقام، بل كان التدين طبعاً فيه، يرفعه عن الشهوات والأطماع المعيبة، لذلك كان يترفع عن المدح، وكذلك عن الهجاء، ومن شعره في ذلك قوله :

إنني أجيد فن المدح وفن الهجاء إجادة جيدة
إلا أنني لا أشعر بالرضا والسرور بمثل هذه الأمور
ليس لي إلا العبادة سواء كان ذلك عيبي أو مدحي
لقد قمت بقطع العلاقات الأخرى عن الآخرين[1]

٤ ـ شدة المؤاخذة، كان شديد المؤاخذة لنفسه، كثير البكاء والاستغفار والاستغاثة، وبالاختصار كان عبدالرحمن بابا شديد الإحساس والتأثر، كثير التأمل ورعاً تقياً، محباً، حسن الصحبة، كثير الخير، وكثير الصيام، وكثير الندامة والأسف، فلا تستغرب عن إكرام الناس له ولشعره، إذ كان أولاً من العلماء، وكان ثانياً من الشعراء، وكان ثالثاً من الزهاد والأتقياء، فهو صاحب منزلة قوامها الدين والعلم والزهد، والوجدان بالإضافة إلى منزلته في الشعر الأدب .

ولا عجب أن يكون عبدالرحمن أكثر شعراء الأفغان قبولاً، وأكثرهم تقديراً، وأن يحتل تلك المكانة المرموقة في عالم الأفغان. ولا عجب أن ينال كل هذه العناية من علماء الأمة الأفغانية ونقادها، لأنه أيقظ همم أفراد هذه الأمة، ولأنه هو وغيره من شعراء طبقته قد أثاروا حركة فكرية عند الأفغان انشغلت بها وبشعره طوائف كثيرة من الأدباء والنقاد، ولا يزال محل دراسة الباحثين في الدراسات الشعرية والأدبية .

إن في أعماق وجدان عبدالرحمن بابا ما يمكن أن نطلق عليه تقابلاً منغماً بين الهدوء والثورة، بين السكون والحركة، بين الإيجاب والسلب، بين الأخذ والعطاء، بين التقبل والرفض، بين السكوت والتعبير. إن أعماق وجدان عبدالرحمن كالبحر الذي

(١) د رحمان بابا ديوان ٤٩، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م.

يضم في اللحظة الواحدة هدوءاً حالماً، وتمخضاً مخيفاً. . وفي أعماق وجدانه نشأت رسالته. . رسالة الحب والود، رسالة المحبة والمودة. . حبه لله ولرسوله، حبه لنفسه، حبه لقومه، محبته لبني البشر، ومودته للكون والكائنات، إن حبه في أعماق وجدانه عالمي في شكله ومضمونه. إذا كان كثير من الشعراء في البلاد الإسلامية قد وجه شعره لخدمة أهداف خاصة، فإن عبدالرحمن بن عبدالستار الشهير ببابا الأفغان قد وضع شعره وفكره ووجدانه في أعماقه لخدمة المجتمع الإنساني عامة، ولخدمة الإسلام بخاصة .

ديوانـه :

ترك لنا عبدالرحمن ديواناً بلغ من اهتمام الأفغان به إلى درجة كبيرة من الاحترام الشديد.إن الأفغان ينظرون إلى ديوانه نظرة تقدير واحترام، تجري أبيات شعره على ألسنـة كل الطبقات الخاصة والعامة كالحكم والأمثال السائرة. ومن مشاهد اهتمام الأفغان بهذا الديوان أنه كان عند المستشرق الإنجليزي « ميجر راورتي » ٦٠ نسخة خطية مختلفة، كتبت في أماكن وأزمنة مختلفة، وكان بعضها قد رتب بعد وفاته بسنوات قليلة[1].

يحتوي ديوانه على ٤٢٢٠ بيتاً من الشعر[2]. مع ملاحظة وجود بعض التكرار في بعض القصائد والمقطوعات والمنظومات التي ظهرت في الطبعة الأخيرة للمجمع اللغوي الأفغاني سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

ديوانه مدون في قسمين (دفترين) لا فرق بينهما من ناحية النضج الفني، والخيال الأدبي، والرونق الشعري، ومن المستحيل معرفة تاريخ تدوين الأول منهما عن الثاني، والديوان يعتمد أساساً على «الجمالية البسيطة» في الأداء والتعبير والتصوير لكي يؤدي وظيفته في الحدود القصوى التي يريدها عبدالرحمن، لأنه بمثابة مدرسة يتوجب أن يتعلم منها الأفغان في كل أمورهم الدينية، والأدبية والروحية. إن هذه القيم الجمالية

(١) ديوان عبدالرحمن بابا ٨ ـ ٩ ، مقدمة سيد رسول رسا ، طبعة پشاور.

(٢) د رحمان بابا ديوان ٢٩٤ ، مقدمة حبيب الله رفيع ، طبعة پشتو تولنه ، كابل .

في ديوانه، تبدو في أكثر من جانب من جوانب شعر عبدالرحمن الوجداني عقلاً وروحاً وحساً ووجداناً، وقد منح كل هذه الجوانب الحيوية اللازمة، ووهبها القدرة الكافية على البقاء والدوام في عالم الشعر والأدب. ومن خلال جولة شاملة عبر ديوانه المؤلف من قسميه أو دفتريه نلتقي بذلك الجمال البسيط المنبت في كل زاوية من زوايا شعره وفكره ووجدانه. وبإيجاز شديد جداً.. إن الأفغان العلماء منهم والنقاد يعلمون كيف تعامل عبدالرحمن مع الحرف الأفغاني، وكيف صاغ من الكلمة تعابيره الشعرية والأدبية، وكيف استخدم مفردات عربية وفارسية للتصوير والتجسيد! وبالجملة فإن ديوانه من حيث هو باقة جميلة من الشعر الأفغاني الوجداني قوامها السهولة والسلاسة مع الرصانة والحلاوة!

وقد قدم عبدالرحمن في ديوانه ألواناً جديدة، ثرية بالأفكار الإسلامية، عليها طابع الأصالة والصدق والعفوية، وتتصل بواقع الحياة في كثير من صورها ومناحيها، وهو في ذلك لا يفرط أبداً في سلامة اللغة، والتمسك بإسلاميته.. عقيدة ومنهجاً..

ونخلص من كل ذلك إلى أن عبدالرحمن في ديوانه كله إسلامي الفكر والوجدان، إسلامي الشعور، إسلامي السلوك، إسلامي التصوير والتعبير، يحمل إشراقة الأمل الإسلامية. ومن هنا كان لديوانه في المحيط الأفغاني أثره البالغ في رسوخ التعاليم الإسلامية.

وأخيراً لا يخلو ديوانه عن الزهد الذي كان يومئذ مظهراً من مظاهر التدين، وعلى هذا الأساس كان الجمهور والحكام ينظرون إلى الزهد وأهله، ويعظمون من شأنهم من خلال تدينهم، وليس في ديوانه كله شعر الخمر والكؤوس، والعبث والمجون.

شعره:

ينطلق شعر عبدالرحمن بن عبدالستار من مشاعره في داخل أعماق وجدانه، وهو وثيق الصلة بالله خالقه، وهو ثورته الهادئة على الظلم والطغيان، وهو ناصره للمظلومين.. وهو ثروته الخالدة، وتراثه وتراث الأفغان الخالد التليد.

ودواعي الشعر عنده كثيرة ومتنوعة، وكلها تنبع من الواجبات الإسلامية الملقاة على عاتقه، وعاتق الشاعر المسلم.. فقد وقف شعره لخدمة الإسلام، وقضاياه، ومجتمعه، دون الالتفات لحياته الخاصة، وقد وصل إلى قمة الإبداع في كل هذه الجوانب..

لا تكن حزيناً مغموماً لأجل منافع الدنيا وأعراضها
فكر بحزن في أمور الدين، وشؤون الإيمان ولا تكن ملحداً بلا دين
كل مشكلة لها حلها وطريقة حلها يا قليل الحظ
فلا تيأس من رحمة الله، ولا تكن عابس الجبين(١)

وهو يؤكد أن أهداف شعره تمجيد الإسلام، وتمجيد رواده، وأبطاله، لعل الأمة الأفغانية تأخذ من ذلك القدوة، فتعيد تلك الأيام الخوالي وتنجب مثل هؤلاء الأبطال والرواد الغر الميامين. من أجل ذلك نراه وقد رسم لنا صورة المسلم البطل، والمسلم الرائد، والمسلم المناضل، وقد استخدم في ذلك تصوره الشامل، وسعة فكره، ووضوح رؤيته، وطهارة سلوكه، وصدق إيمانه الإسلامي..

سيتمتع بالأمن من خطر الطوفان ذلك القلب الشجاع
الذي يحمل كالسفينة مشقة أحمال الناس(٢)

شعره رصين سلس، سهل واضح المعالم والمعاني له شفافية روحانية عذبة، يشتمل في الغالب على الموضوعات الدينية والخلقية، أو التي لها صلة وثيقة بالدين والعقيدة والوجدان، ولهذا كان واحداً من الحداة لركب الإيمان السائرين على درب الحق. إنه يعبر في شعره الرصين عن مشاعر الأفغان الفطرية والوطنية، ويصورها بأسلوب بسيط، وفي ألفاظ دقيقة عذبة، وعبارات تقطر عذوبة وحلاوة، الكل يفهمه بقدر ما فيه من القدرة على الفهم، وكلما تعمق فيه كلما وجد فيه معنى أعمق، ومفهوماً أوسع.

---

(١) مير عبدالصمد خان : شاعر إنسانيت رحمان بابا ٢١٨ ، ود رحمان بابا ديوان ١٥٩ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل ، مقدمة حبيب الله رفيع .

(٢) د رحمان بابا ديوان ٢٢٩ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل ، مقدمة حبيب الله رفيع .

في شعـره إخـلاص مواج، وإجادة متناهية، وطيبة متدفقة، ورصانة ملموسة، وعذوبة طيبة، وبساطة جميلة، ومتانة محكمة، وحرقة ملتهبة، وفهم عميق للمفاهيم الإسلامية، لم يكن عبدالرحمن بابا من الناطقين باللغة العربية، ولكن فهمه الجيد لكلمة التوحيد كان عميقاً إلى أبعد الحدود، وفي عمقه هذا توسع غير محدود، كل ذلك ساعده على معرفة الأسرار في كلمة التوحيد والمفاهيم الإسلامية الأخرى .

وقـارىء شعر أبي الأفغان عبدالرحمن يحس من اللحظة الأولى بلهفته الشديدة لكشف المجهول، وشوقه المزيد لما يحمله الغيب، لأن المسلم مطمئن لما يأتي من عند الله، لذلـك نراه يعـبر عن الأمـل المحجوب بستار الغد والانتظار الشائق المحرق أحياناً، بل والمرارة والحرمان من الواقع أحياناً، كما يشعر قارىء شعر عبدالرحمن بأن الإيمان في شعـره نور غامر يفيض بلا نهاية، وفسحة ظليلة تمتد بلا حدود، ورؤية واضحة متجددة مع الزمن، وطمأنينة مؤنسة بلا ملل، إنه يصل بين الإنسان المؤمن والحياة بوشائج الفطرة التي لا تضعف، بعد أن يصل بين الإنسان المخلوق وخالقه الكـريم. والإنسـان الـذي يخاطبـه عبدالرحمن بابا هو الذي صاغه الإسلام فكراً ووجـدانـاً، وسلوكـاً في حياته في الدنيا والآخرة، وهو الإنسان الذي بقيت فطرته سليمـة، واستعصت على الجاهليات، فلم تستطع إفسادها. وهو كل إنسان حمل الإسلام منهج حياة، والتزم به عقيدة وسلوكاً .

شـاعريته :

لم ينل شعر شاعر أفغاني من الشهرة والذيوع ما ناله شعر عبدالرحمن وشاعريته الـوجـدانية، فهـو بعيد الأثر في مجالس الأدب، شائع بتوسع بلا حدود بين جميع الطبقات، ولشاعريته الوجدانية مقام فريد بين شعراء الأفغانية وشاعريتهم، لنضج القـوة الشعرية في شاعريته الفطرية، ولعدم تقييد شاعريته الموهوبة بقيود إلا بقيد العقيدة الإسلامية.

وعبدالرحمن في مجال الشعر وفنون الشاعرية صاحب مذهب في الشعر تم وضع دعائمه وأسس بنيانه على يديه منذ القرن السابع عشر الميلادي، وأصبح له خصائصه

الفنية التي تميزه عن غيره من المذاهب أو المدارس الأدبية والشعرية، وقد عرف هذا المذهب بالمدرسة الشعرية الرحمانية نسبة إلى عبدالرحمن، وقد اتخذها كثير من تلاميذه وأتباعه مذهباً لهم، وساروا على دربها، ونسجوا على منوالها، من أمثال عبدالرحيم هوتكي، وأحمد شاه الدراني، وعبدالعظيم السواتي، والملا جمعه الباركزي وغيرهم. وهكذا كان لشاعريته أثر كبير فيمن أتى بعده من الشعراء.

وقد كتب لهذا المذهب الشعري، أو المدرسة الشعرية الذيوع والانتشار والبقاء، وتأثر بعبقريته وبشاعريته الموهوبة كثير من شعراء الأفغان كما قلت، وذلك لما وهبه الله من طبع وموهبة وذكاء خارق، وملكة مبتكرة في الشاعرية التي تنبع من أعماق وجدانه، والتي بلغت ذروة الكمال.

شاعرية عبدالرحمن الوجدانية تصور صدى فؤاده، وتحمله إلى الآفاق البعيدة، والقارىء لشعره يشعر بأن لسان شاعريته وإن كان في ظاهر الأمر يخاطب الخلق، إلا أنه في حقيقة الأمر يخاطب رب الخلق من أعماق قلبه ووجدانه.. ومعنى ذلك أنه يخاطب الخلق ويناجي رب الخلق في آن واحد. وهذه الكيفية المزدوجة النابعة من شاعريته المطبوعة، ومن عبقريته الموهوبة قلما يعثر عليها عند غيره من شعراء الأفغانية. ويكفي شاعرية عبدالرحمن فخراً أنها تركت لنا ديوان شعر كان ولا يزال مرجعاً يهتدي به الشعراء الأفغان في كثير من فنون الشعر، ولا يزال كثير من الباحثين يجدون فيه معيناً لا ينضب لكثير من المعاني والبحوث والدراسات.

وتمتاز شاعريته برقة في الطبع والتعبير، وبدقة في العبارة والتصوير، إلى جانب ما تتمتع به من النعومة والسلاسة والعذوبة، وتبلغ الدرجة العليا من الأناقة والرشاقة، وهو في شاعريته في طليعة الشعراء ديباجة وملاءمة ورونقاً، وسهولة وجزالة وحلاوة، وفي شاعريته الطبيعية الفطرية رصانة ونصاعة ولطافة، إلى جانب اشتمالها على الطلاوة والملاحة والحسن.

يا إلهي، احتراماً وتكريماً لنبيك الحبيب
اجعل هذا الإنشاء البسيط لعبدالرحمن مصبوغاً بالجمال والروعة[1]

(1) د رحمان بابا ديوان ٢٢٢، طبعة پشتو تولنه، كابل.

في شاعريته الفطرية ارتباط وثيق بين الشكل والموضوع، بين الأسلوب والعمل، بين الظاهر والباطن، بين المظهر والجوهر، وبين اللفظ والمعنى، إن مدرج الالتزام الإسلامي في شاعريته يبدأ بالإسلام، فالإيمان، فالتقوى، وينتهي بالإحسان .

إنني بطبعي الحسن في غنى عن أذى الحاقدين
وإنني بحلمي وصبري كالماء أكافىء النار جزاء لها
وإنني أبدو وأظهر لجميع الناس في شكلي وصورتي الحقيقية
وإنني كالمرآة بلا مواراة، وبلا رياء وتظاهر[1]

إن الجمال في شاعرية عبدالرحمن ملمح أصيل يميز بين الجمالية الإسلامية الصارمة وبين سائر المذاهب والمواقف الجمالية التي انبعثت عنها أنماط شتى من الآداب والفنون. إن الجمالية الرحمانية الصادقة ترفض هذه الخديعة، والمواراة، وتصف بالكذب أولئك الذين يسعون إلى تزييف الحياة بالنفاق والخداع، إن الإنسان المسلم يتميز بكونه يعيش الحياة بنوعيها الباطني والخارجي بتركيز شديد من الاستقامة الصادقة، وحسن الخلق والسلوك، فليحترق ذلك القلم الذي لا يكتب إلا صدقاً، وليمت ذلك القلب الذي لا يتأمل إلا بصدق :

إنني عبدالرحمن أطلب الحماية من مثل أولئك الناس
الذين يتظاهرون بخلاف مقاماتهم التي لا يتمتعون بها[2]

إن الشعر في شاعرية عبدالرحمن الوجدانية نوعان: وجداني وموضوعي، فالشعر الوجداني ينبع من أعماق وجدانه، ويدور حول نفسه، بعد أن يتأثر بأمر ما، ثم يظهر ذلك التأثر بالكلام المنظوم. شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء. ومن هذا النوع في شعره مدحه وثناؤه لربه، ومدحه لرسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ووصفه لما تقع عليه عينه، ودعوته إلى الإصلاح .

---

(١) المرجع السابق ١٠١ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٩٧ .

(٢) د رحمان بابا ديوان ٤٠ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل ، و ٧٥ طبعة پشتو أكيديمي ، جامعة پشاور.

أما شعره الموضوعي فيدور على شيء خارج عن نفسه ووجدانه، على صفات يتخيلها أو يراها فيها حوله من ظواهر الطبيعة، أو النظر في حياة الإنسان المسلم وما إلى ذلك من الموضوعات الخلقية والسلوكية والاجتماعية والأدبية التي تمثل للجمهور ما يشعر به في الحياة، أو تحملهم على أجنحة الخيال إلى ما وراء المحسوسات، فتثير فيهم حب الجمال وتدفعهم في سبيل الوصول إلى الكمال، والنوع الأول وهو الشعر الوجداني يستوعب أكثر صفحات ديوانه بقسميه بينما نرى النوع الثاني وهو الشعر الموضوعي فإنه أقل من النوع الأول بكثير، وإن كان النوعان من شعره كفرسي رهان في الجودة والروعة والكمال .

المعاني الإنسانية في شعره

عيشة الزهد والتقشف :

التدين والزهد والتقشف أحد أسباب سعادة الشاعر عبدالرحمن بابا في حياته الروحية، وهو ينظر إليها على أنها من صميم الدين والعقيدة الإسلامية فلا يجوز التظاهر والرياء فيه وفي الأعمال الصالحة الأخرى، وقد تكرر هذا المعنى في ديوان شعره مراراً، من ذلك هذا البيت من شعره :

ما ألبس الله أحداً من الناس لباس الرياء والتظاهر
إن عبدالرحمن قد ربط عمامة عوجاء تبختراً وهو درويش(١)

القناعة كنز :

القناعة في نظر شاعرنا عبدالرحمن كنز لا يفنى، ويدعو الله أن يرزقه القناعة لأن حقيقة الحياة في نظره هي القناعة والبساطة، وقد صور ذلك في هذا البيت من شعره :

رباه ، امنح عبدالرحمن كنز القناعة
ليكون غنياً ثرياً بلا ملك وحشم(٢)

---

(١) د رحمان بابا ديوان ١٩١ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل .

(٢) المرجع السابق ٢٦٢ .

العزيمة والتوكل :

الاعتماد على الله ، والثقة فيه، والتوكل عليه في الأمور العظيمة أحد المعاني التي صاغها عبدالرحمن في روائع من شعره في مواضع عديدة من ديوانه الشعري منها هذا البيت الذي يصور فيه هذا المبدأ في صرخة من ندائه إلى ربه :

ربـاه ، لا تجعلهم من البائسين، أولئك الأشخاص
المؤمنين الذين اعتمدوا في تحقيق آمالهم على كرمك[1]

الاحتيـاج :

الحاجة والاحتياج ظاهرة اجتماعية في المجتمعات الإنسانية لا يحس بها إلا المحتاجون وتتحول أحياناً إلى مشكلة تؤدي إلى الخصام بين الأفراد. يدعو عبدالرحمن ربه بألا يحتاج أحد إلى أحد في قضاء حاجة أو أمر من الأمور، ويسكب هذا المعنى في قالب لفظي جميل، ويقول:

أتوسل إلى ذلك الرب الجليل المنزه بعظمته
بألا تتوقف حاجة أحد عند أحد من الأشخاص[2]

حماية الأهـل :

لا ينسى عبدالرحمن أهل قريته وعشيرته، ويتمنى أن يحفظهما الله في أمان من الشدائد، وأن تكون في حمايته ورعايته وتحت عنايته الكريمة، وقد عبر عن هذا المعنى وألبسه ثوب الدعاء:

حفظك الله وحماك من كل اضطراب وحزن
يا عمران أهل بيتي وقريتي وعشيرتي!![3]

(١) د رحمان بابا ديوان ٢١٩ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل .
(٢) د رحمان بابا ديوان ٥٠ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل .
(٣) المرجع السابق ٢٧١ .

الذرية الصالحة :

الذرية قرة أعين إن كانت صالحة سالكة سبيل المتقين، وقلب الأبوين مفطور على محبة الذرية، ومتأصل بالمشاعر النفسية والعواطف الأبوية لحماية الأولاد والرحمة بهم، والشفقة عليهم، والاهتمام بأمورهم، حيث أنهم أفلاذ الأكباد، وثمرات الفؤاد، إلا أن مصلحة الإسلام والعقيدة فوق كل المصالح والاعتبارات، لذلك نرى شاعرنا عبدالرحمن ينادي ربه ويدعوه بألا يرزق أماً ولداً سيئاً لا يتمتع بالخلق الإسلامي ولا يتحلى به، وقد صور هذا المبدأ في هذا البيت من شعره :

لا أخرج الله مولوداً سيء الخلق من بطن أمه
حيث إنه سيسيء إلى سمعة الوالدين[1]

الزهد :

شاعرنا عبدالرحمن الشهير بأب الأفغان كان زاهداً، وهو يحمل في زهده معنى التعاون والبذل والإيثار، ولم يكن من صائدي الدنيا باسم الدين، وزهده لا يعني أبداً الانقطاع عن العمل والجهد، بل ترفعاً عن حطام الدنيا وغرورها الزائف، وهو يدعو بقوة إلى الاستفادة من دروس الحياة العملية، عملاً بمبدأ لا رهبانية في الإسلام، وهو ينظر إلى هذه الدنيا على أنها زاد المسافر في رحلته إلى عالم الغيب، اسمعه حيث يقول :

جميلة جميلة هذه الدنيا
في أنها زاد العقبى والآخرة[2]

البراءة من القومية :

وفي سبيل الدين والعبادة يتنازل عن القومية التي ينتمي إليها ويتبرأ منها إذا كانت تعارض العواطف والمشاعر الإسلامية، والانتماء الوطني عند الأفغان مبدأ من المبادىء

(١) د رحمان بابا ديوان ٦٦ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل .

(٢) د رحمان بابا ديوان ٥ ، طبعة پشتو تولنه ، كابل ١٩٧٧م.

الاجتماعية التي يتمسكون بها، ومن الصعب التنازل عنها، وهذا الضرب من شعره كثير، ومنه ما لا يجاريه فيه إلا القليلون، اسمعه وهو يقول:

إنـني عابـد، شـغـلي الشـاغـل مع عبـادة الله وحـده
لست من بني خليل، ولا من الداودزية ولا من قبيلة مهمند[1]

فأنت في كل ذلك وفي غيره من شعره أمام منبر واعظ إسلامي وقور يرشدك إلى العمل في سبيل الخير كما تدعو إليه تعاليم الدين الإسلامي، ولكن في وعظه شاعرية جليلة عظيمة، ولحن شجي يسهل عليك مشقة الإصغاء إلى الواعظ ومواعظه، وفي نبرات شاعريته الحانية ما يجبذك ويجذبك إليه جذباً، فتصغي إليه مسروراً، وتشعر منه بنشوة خفية تملأ قلبك، وتحرك عواطفك نحو ما يدعو إليه .

الحالة السياسية في أيامه :

وفي مجال السياسة في أيام عبدالرحمن كان التنافس السياسي بين العناصر العرقية المختلفة ملتهباً، وبالأخص بين بني الأفغان والمغول والسيخ . . كان المغول يتصرفون في شؤون الديار الأفغانية، وفي مصادرها المالية والإقتصادية، وفي آدابها الحضارية وفقاً لأغراضهم وأهدافهم السياسية، والإقليمية . وكان السيخ يحاولون الاستفادة من الصراع الذي كان يدور بين الأفغان والمغول، واستثمار ذلك لمصلحتهم القومية .

أما الروح الأفغانية الأصيلة فكانت تتمثل في عظمة الأفغان الإسلامية الماضية، وفي آمالهم في استرجاعها، ولم تلبث أن تجسمت بروح الثورة الأفغانية يقودها كل من الامبراطور شير شاه سورى (الغوري) في داخل الهند، والزعيم الشاعر خوش حال خان في بشاور، وزعماء القبائل السدوزية والباركزية في كندهار، واليوسفزية في بشاور، وكان أبرزهم وأقواهم الامبراطور أحمد شاه الدراني بطل معركة «پاني پت» الشهيرة .

وقد زادت الأوضاع السياسية سوءاً واضطراباً بعد أن أعلن الزعيم الشاعر خوش حال خان الحرب ضد المغول الذين أعلنوا عداوتهم السافرة للأفغان، وشاعرنا

(١) المرجع السابق ٤٩ ، وپشتانه شعراء ١ : ١٩٦ .

عبدالرحمن قد عاش أكثر أيام عمره في عهد أورنگ زيب، حيث ولد في عهد شاه جهان المغولي، وعاصر أورنگ زيب، وقضى السنوات الأخيرة من عمره في عهد الأمير معظم بن أورنگ زيب الذي تربع على العرش سنة ١١١٨هـ = ١٧٠٦م.

فهل أثر فيه كل ذلك؟ يبدو أن ذلك التأثير كان قليلاً، لا يصل في مجموعه إلى ما وصل إليه ذلك التأثير في شعر خوش حال خان، ومن هذا التأثير القليل هذا البيت من شعره :

بسبب الحكام الظالمين وحكمهم الظالم
صارت الثلاثة . . . القبر والنار وبشاور شيئاً واحداً[1].

ومن ذلك التأثير القليل هذا البيت أيضاً :

من المستحيل أن يعيش الإقطاعيون والدراويش في قرية واحدة
أين مقام عزيز خان «الإقطاعي» من مقام الدرويش عبدالرحمن[2]

كان العصر الذي عاش فيه عبدالرحمن عصر الإقطاع، والنظام الطبقي. . ويبدو من بيت الشعر الذي مرت ترجمته آنفاً أنه مال إلى الطبقة الثانية.

ومع ذلك أي ميله إلى طبقة الفقراء كان لحياته في هذا المجتمع الطبقي تأثير في شاعريته، ومسلكه الشعري، وهو يستغرب كيف يجوز للأجير وصانع الأحذية والجزار والدهقان (الفلاح) الادعاء على أنهم من الأصول الأفغانية النجيبة».

يتحول الجار والدهقان (الفلاح الأجير) فيه إلى الأفغان وهو في الأصل إما أن يكون إسكافياً أو جزاراً[3]

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٠٢، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م.

(٢) د رحمان بابا ديوان ١١٦، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م.

(٣) د رحمان بابا ديوان ٢٥٩، طبعة پشتو تولنه، كابل، و٣٧ من المقدمة و١٠٩، طبعة پشاور ومقدمة سيد رسول رسا، و١٦٥، طبعة پشتو أكيديمى، پشاور، مقدمة مولانا عبدالقادر.

الحافظ الألپوري:

ليس من الهين عليَّ أن أجمع حياة عدد من الشعراء الأفغان الإسلاميين في كتاب واحد، ذلك لأن حياة هؤلاء الشعراء طويلة حافلة خصبة من ناحية، ولم يتناولها أحد من الكتـاب العـرب وحتى غير العـرب من ناحية أخرى، وبخاصة حياة الشاعر الضرير الحافظ الألپوري الذي يشبه في كثير من جوانبه الأدبية، وملامحه الخلقية أبا العلاء المعري .

وقـد حجب تراث الألپوري وغـيره من هؤلاء الشعـراء عن جمهرة قراء العربية طويلاً، أو قدم لهم شيء من صور ناقصة لا تمثل هذا التراث في شيء، ومع هذا لست أرى أن أتعجل فأقدم الحافظ الألپوري في كلمات من هذا الكتاب، بل أفضل أن أتركه هو وغيره من الشعراء الأفغان يقدمون أنفسهم من خلال صفحات الكتاب وما فيه من النماذج الشعرية والنثرية، وقد حرصت كل الحرص أن أدع لهم مهمة الحديث عن أنفسهم، وأن أنقل إلى القراء أصواتهم في كل خطوة من رحلة الحياة الأدبية والفنية دلائل أمينة، وعلامات صادقة على ذلك .

شهرته «حافظ ألپوري»[1] واسمه ـ على الأكثر ـ معظم[2] خان بن أمير حمزه بن أولياء بن عبدالصمد[3]، ولد سنة ١١٢٨هـ = ١٧١٥م، وتوفي ـ على الأكثر ـ سنة ١٢١٥هـ = ١٨٠٠م، وقيل غير ذلك[4]، وقد دفن في بلدة ألپوري .

كان شاعرا موهوبا يشبه عبدالرحمن بابا في شعره، كما يشبه كلا من الشاعر الهندى ميرزا غالب، والشاعر الإسلامي محمد إقبال في طموحاته وآماله[5].

---

(١) ويقول القاضي عبدالحليم أثر الأفغاني : إن اسمه عبدالمقتدر، ويقول الدكتور سعيد الله إن اسمه مير أفضل، مقدمة ديوان حافظ ألپوري ص و ، ا ى . وراجع أيضاً مجلة «جمهور إسلام» عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠م.

(٢) يوهاند حبيبى : پشتانه شعراء ١ : ٣٦١ - ٣٦٧ . ومجلة «قند» عدد يوليو ١٩٧٢م .

(٣) مقدمة ديوان حافظ اليوري ص ز.

(٤) مقدمة ديوان حافظ اليوري ص ا ى . وپير معظم شاه : تواريخ حافظ رحمت خانى ، تحقيق خان روشن خان ص ٦١٢ .

(٥) مقدمة الديوان ص هـ ى - و ى .

درس العلوم الإسلامية والعربية، وجال لأجل ذلك في كل من سوات مسقط رأسه، وبشاور، وبنير، ومردان[1]، حتى وصل الهند، وقد عاد بعد ذلك إلى بلدته البوري، وجلس في مسجدها لتدريس القرآن الكريم والعلوم الإسلامية[2]. وقد كون له مكتبة خاصة به[3].

كان حافظاً للقرآن الكريم، وكان متديناً شديد التدين، كما كان عابداً لله، زاهداً في الدنيا، وكان يصوم كثيراً[4]. كان الرجل الشاعر يتمتع بذكاء عظيم، وفقه عميق للعلوم الإسلامية والعربية، وبموهبة أدبية أصيلة مبدعة. يقنع من الطعام بما يمسك رمقه، ومن اللباس ما يستره من خشن الثياب، ومن الفراش بحصير من خوص أو لباد، وكان يروض نفسه على الزهد في الدنيا ومتاعها كيما يهون عليه احتمال محنة الوجود، ووطأة الحرمان، وصدمة البؤس، شأنه في ذلك شأن أكثر الشعراء الأفغان في عصره..

أضعفني المرض والفقر، ولست ثائراً على الشيخوخة
حيث إنه لا يمكن أن يكون ربيع الشباب ناضراً مفرحاً على الدوام[5]

وكان ـ رحمه الله ـ معاصراً للامبراطور الأفغاني أحمد شاه الدراني وابنه تيمور شاه، حيث ذكرهما في بعض من شعره[6]، يبدو أن الامبراطور أحمد شاه الدراني دعاه لزيارته في كندهار، إلا أنه لم يقم بهذه الزيارة رغم قبوله الدعوة[7]، إباء وزهواً، وتقريعاً للنفس ومنعاً لها من أن يبحث عن المال عند الملوك، فليس هو بالذي يزيف وجدانه بمثل هذه الأشياء.

(١) مقدمة الديوان ص ح ك.
(٢) مقدمة الديوان ص د ك.
(٣) پير معظم شاه: تواريخ حافظ رحمت خانى ٦١٢.
(٤) مقدمة الديوان ص و ك.
(٥) الديوان ص ١٢٠.
(٦) مقدمة الديوان ص د. ى. وپشتانه شعراء ١: ٣٦١ - ٣٦٧.
(٧) مقدمة الديوان ص ب ى.

بدأ قول الشعر بعد أن أتم تحصيله العلمي، ومن ذلك العهد اهتدى الحافظ الألپوري إلى سلاحه في معركة الحياة، وعرف طريقه على الدرب، والتمس من العلم وقول الشعر النور الذي حجبه عنه العمى، وفي عناد واعتداد واعتزاز صمم على أن يتحدى محنته، وأن يشق طريقه مع الشعراء والعلماء لا يعوقه فقد البصر :

إذا كنت في ضنك يا حافظ، فلتعش سعيداً بإحسانه
حيث وضع الله في صدرك كلامه المجيد[1]

هكذا يبدو وكأن الدنيا لا تتسع له لفرط طموحه، واعتداده بما وهبه الله من فضله، وبدا أن القدر أملى له حيناً، فمضى في حياته ملء الزهو والطموح، وواتته شاعريته فلم يدع غرضاً من أغراض الشعر الإسلامية المعروفة إلا نظم الشعر فيه، وذلك على مذهب الشعراء الأفغان. . دعا إلى التوحيد، والإيمان بالرسالة المحمدية، وقدم النصيحة في الإطار الإسلامي، ومدح لغير تكسب، ورثى في حدود الدين، وشكا من الحوادث والضنك، ومن عدم تقدير الناس له، ومن عدم اكتراثهم به، افتخر بالمفاخر الإسلامية، وتحدث عن الموضوعات الفلسفية والتاريخية، ودعا إلى التحلي بالخلق الإسلامي، وإلى تعلم العلوم الإسلامية، ورفع نجواه إلى الله .

كان الحافظ الألپوري صادقاً في التعبير عن معاناته، كاشفاً عن وطأة إحساسه بما لاقاه من الحرمان، فرفع نجواه إلى الله، وحاور رسوله الكريم، ثم سرى بعيداً حيث لا مطمع ولا رجاء. ولا نرفض أن تكون له غزلياته، وزهدياته، كما لا نرفض أن تكون هذه الغزليات والزهديات من الشعر الرمزي الذي يخفي وراء لفظه دلالة على أمنيات تعلق بها الشاعر الألپوري في حياته، كأن يكون رمزاً إلى الدنيا، أو إلى المجد، أو إلى نعمة البصر، أو إلى الجنة التي يتمناها كل مسلم، لعله كان يجلجل بذلك رجاء التشاغل عن واقعه المر، وحمل نفسه على المقاومة، والتجمل بالصبر على ما لا حيلة له فيه، أو لعله كان يحاول بذلك أن يصم أذنيه عن سماع صوت يأتي من أعماقه يؤرقه ليلاً ونهاراً .

---

(١) الديوان ٤٦ .

وأكثر ما تلقانا هذه الومضات في إسلامياته، ومدائحه، وحماسياته، وفخرياته، ومراثيه التي صدرت عنه معبرة عن اليأس والمرارة، وعن الجرح الغائر في أعماق وجدانه، وعن مكابدته النفسية، وهواجس الخيبة والقهر، وفيما يلي مرثيته التي أنشدها بمناسبة وفاة زوجته « مهرية » :

نص (٩)

مهرية التي كنت أراها على الدوام، لماذا لا ترى الآن ؟
والتي أبحث عنها على وجه البسيطة، لماذا لا يعثر عليها
والتي كانت حلوق الناس عذبة بالأحاديث العذبة عنها
تلك الأفواه صارت عاجزة عن الكلام، لأجل ذلك لا يسمع قول عنها
كانت مهرية أغصان ذات ثمار تتغنى فوقها البلابل[1]
لماذا لا يتغنى الغصن أثناء تغريد بلابل[2] الخضراء (فوق الأغصان)؟
الأزهار كثيرة متعددة غير أن الفراشة قد فضلت الوردة البيضاء
لأجل ذلك لا يعذب فؤادي بأحد سوى المحبوب
عندما يسيل الصديد من الجرح تقل شدة الألم
فلماذا لا يقل ألمي بكثرة (سيلان) دموعي؟
يصل خبر الصديق إلى الصديق مهما كان بعيداً جداً
فلماذا لا تصل إليَّ أخبار صديقي، وهو أسير بالقرب مني؟
إن السجين ينطلق حراً في النهاية لأي سبب كان
فلماذا لا ينطلق المسجون في سجن المرقد حراً طليقاً؟
الصبر هو علاج المريض ودواؤه، فلماذا لا صبر للمتألم ولا تجلد؟
صدري يغلي كالمرجل هائجاً فائراً بنار الغم والحزن والألم
فلماذا لا يبرد فورانه وهيجانه بموعظة العالم، ونصيحة الحكيم؟
عقب كل ليلة يأتي ضياء الصباح وسناؤه

(١ ، ٢) البلابل ترجمة البيغاوات مجازا .

لماذا لا ينبثق الصبح الصادق، حيث كانت ليلة الحبيب حزناً وغماً؟
كنت راكباً سفينة الوصال فظهر الفراق فجأة كالتمساح
فلماذا لا يتم عبور السفينة بسلام من هذا التمساح؟
الموت يذوقه الإنسان مرة واحدة، أما الفراق فهلاك مستمر
فلماذا لا يمكن نزول حبيبين معاً إلى مرقد واحد؟
بسبب بشرى غارة الفراق، سلمت « درخو »[1] روحها
لأجل ذلك لا يمكن أن تعيش لحظة واحدة بدون روح
يقوم صانع النبال بتقويم السهم المعوج بحرارة قليلة من النار
رباه! يحترق كبد الحافظ احتراقاً، فلماذا لا يستقيم سالماً[2]

وقد حاول الحافظ الأليبوري صادقاً أن يشغل نفسه بهذه المقطوعة الشعرية عن مكابدته النفسية لدواعي الحزن واليأس والقنوط، وهواجس خيبة الأمل والقهر، وحاول ما وسعه الجهد أن يقاوم الاستسلام إلى واقعه، والرضوخ لما كبلته به محنته من وفاة زوجته مهرية دون أن يخونه لسانه بتفوه كلمة أو عبارة، أو شكوى تخالف عقيدته الإسلامية الراسخة رسوخ الجبال.

وبقدر ما كان صادقاً مستقيماً في رثائه المعبر عن حزنه في الإطار الإسلامي، كان صادقاً كل الصدق في تلك الدعوة الصادقة الكاشفة عن مكنونه الإسلامي الصادرة عن فؤاده، حيث يقول[3] :

(١) درخو : أو «درخاني» اسم فتاة أفغانية، اشتهرت في الأدب الأفغاني بالتضحية وبذل الروح فداء لزوجها «آدم خان» الذي قتل في حرب خاضها دفاعاً عنها وغيرة عليها. وقد أصبحت «درخو = درخاني» مضرب الأمثال في التضحية والفداء وبذل الحياة. وقصة «آدم خان ودرخاني» تشتهر في الأدب الأفغاني كقصة «مجنون ليلى» في الأدب العربي. وتدور حوادث القصة ومشاهدها في إقليم «سوات» وكلاهما من أبناء رؤساء القبائل اليوسفزية.

(٢) الديوان ص ٨٦ .

(٣) الديوان ص ٣٥ .

نــص (١٠)

أمسـك بيدك كلمـة النفي والإثبـات[1] (التـوحيد) كالخنجر الحاد دائماً
واعـتـصـم بحبـل الـدين الإسـلامـي الخـالص بإحكـام
أمـسـك بالشريعـة الإسـلامـية في قبـضـتـك بقـوة
لا تصـغ إلى وسـاوس الـنـفس والـشـيطان، وخـذ حذرك منهـا
والـذي يشـتـهـر بين جماعـة الـرسـل بالـسـيادة والشرف
أمـسـك بتـلابـيب قمـيص المـصـطفـى خير الـبشر
أطـعـه بنـية خالـصـة، واتـرك الـطرق الخـاطئـة
كن شجـرة مثـمـرة، وأثـمـر ثمـراً عذبـاً طيب المـذاق
لا تنـم وقـت الـسـحـر، حيث إنـه يعـد جنـونـاً
وامـسـك يديك مسـاويتـين في تواضـع وتضرع
إن الـكـتـب الأربـعـة[2] قد نزلـت من عنـد الله
إلا أن الـقـرآن هو الـكـتـاب المعـتـبر، فاعـمـل بأحـكـامـه
وخـلفـاء الـرسـول (ص) الأربـعـة زهـور مشرقـة

الحنين إلى بيت الله :

الحافظ الأليوري شاعر إسلامي أصيل، يمتاز شعره بالقضايا الدينية وبالجزالة والحيوية، وهـو في نسجـه أقـرب ما يكـون للشـاعـر العظيم والمصلح الاجتماعي عبدالرحمن بابا، وقد وقف شعره للمعاني الدينية التقليدية المعروفة. والأبيات التالية تصور حنينه إلى الديار المقدسة، وهذه الأبيات من قصيدة مكونة من ٢٧ بيتاً صور فيها أسفه على أنه لن يتمكن من القيام بأداء واجباته الدينية ظناً منه بقرب أجله المحتوم :

---

(١) كلمة الشهادتين. . النفي يعنى «لا إله» والإثبات يعني «إلا الله».

(٢) يقصد الشاعر بالكتب الأربعة القرآن والإنجيل والتوراة والزبور.

نـــص (١١)

سيتــجــه الـحــجــاج إلى بيت الله في همة ونــشـــاط
سينــزل عليهــم مطر الــرحمــة مدراراً،
ونــحــن - واحسرتــاه - لن نكــون هنــاك
سيتــم نداء الــتــلبــية ومــســح الحــجــر أثــنــاء
الــطواف، ونــحــن - وا أســفــاه - لن نكــون هنــاك
وفي المــوقــف سيتضرعــون إلى الله
بالــدعــاء، ونــحــن - يا حسرتي - لن نكــون هنــاك[1]

ثم يقـول :

وســيشــارك الــعــالم في المــصــافــحــة وتــقــديم الــتــهــاني
سعـداء مسرورين بالأعياد، ونحن - واحسرتاه - لن نكون هناك
وبـالتـلاوة ستصبح قلوبهم المكـدرة من الصـدأ مجلوة كالصيقل
وسيواصلون تلاوة القرآن، ونحن - مع الأسف - لن نكون هناك
وصــورة الحــافظ وبــدنــه سوف تختــفــي تحت الــثــرى
فإذا كان لأحـد من أمنية بعـد ذلـك، فنحن لن نكـون هناك[2]

أحمد شاه دراني[3]:

إنه امبراطور فارس قوي الشعر، رصين الأدب، تكشف أسارير وجهه عن نبل عريق، وشرف إسلامي رفيع، وتنطلق نظرات عينيه بشجاعة الشجعان، وبطولة الأبـطال، وفحـولة الشعراء، حلى بريق سيفه بالنصر، وزين غمده بنفيس جواهر الفتح، وسنان رمحه ترسل بريقاً وهاجاً يسحر أعين أعداء الإسلام، يعتز بكرم دينه، وحسن جهاده .

(١) الديوان ص ١٣٤ .

(٢) الديوان ص ١٣٥ .

(٣) أحمد شاه درانى، ويدعى أيضاً : احمد خان وأحمد شاه أبدالى وأحمد خان أبدالى.

مولــده :

ولد أحمد شاه دراني في هرات في حوالي سنة ١١٣٥هـ[1] = ١٧٢٢م. وتوفي سنة ١١٨٦هـ = ١٧٧٣م[2]، بعد أن حكم إمبراطوريته الواسعة ٢٦ سنة، وهو مدفون في كندهار العاصمة الأفغانية في أيامه[3].

ثقافتـه :

يبـدو أنـه يتمتـع بعلم غزير وثقـافة عالية، له باع طويل في العلوم الإسلامية والعربية، وفي الآداب الأفغانية والدرية والعربية، وكان محباً للعلم والعلماء، وكان يدعو إلى نشر العلم والمعرفة في أرجاء البلاد[4].

حياته السياسية :

حياتـه السياسية طويلة ومتشعبـة، من المستحسن عدم الـدخـول في تفاصيلها لخروجها عن الإطار الأدبي المحدد لهذه الدراسة الأدبية في حدودها الإسلامية وفي الجملة فإنـه المؤسس الحقيقي لدولة الأفغان الحديثة، وكانت إمبراطوريته تمتد من مشهد إلى كشمير شرقاً وغرباً، ومن سيحون إلى الخليج شمالاً وجنوباً[5].

دفاعه عن الإسلام :

فتح أحمد شاه دراني الهند خمس مرات دفاعاً عن المسلمين فيها، وقد خاض غمار هذه الحـروب ببسـالة نادرة، انتصر في أكثرها، ولم يوفق في بعضها وأشهر معاركه الإسـلامية على الإطـلاق معـركة « بـاني پت » التي حلت الهزيمة المنكرة فيها على البوذيين وهـم يتوثبون على المسلمين . .

(١) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ٣٢٨ .

(٢) كاكا خيل : پشتانه د تاريخ په رنا كى ٨٨١ .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٣٤٨ ـ ٣٥٧ الترجمة العربية .

(٤) راجع ص ٢٣٤ من هذا الكتاب ، وروهى أدب ٣٨١ ، وپشتانه شعراء ١ : ٣٣٥ .

(٥) صافي : أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ٥٤٥ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٣٤٨ ـ ٣٥٧ .

أحمد شاه في طريقه إلى پاني پت :

امتطى أحمد شاه جواداً كريماً راح يهملج في تبختر وزهو إسلاميين في ميدان من ميادين كندهار، استعداداً للخروج متجهاً إلى « پاني پت » وهو يردد قوله :

يا أحمـد، إن أيام هذه الـدنيا معـدودة تمضي سريعة على الجميع
جاهـد، فإن الأفغـان سيفتخـرون ببطولتك في وقت آخر قادم[1]

سار الفارس الشاعر بجواده في شوارع مدينة كندهار في يوم من أيام سنة ١١٧٤هـ = ١٧٦١م فانفرجت السابلة عن طريقه كما تنفرج أمواج البحر أمام سفينة يداعب شراعها الرياح العاصفة، وأخذ الناس في كندهار يتهامسون في إجلال وخشية . . هذا أحمد خان، هذا بطل أربع معارك إسلامية في بلاد الهند، هذا فارس كندهار الإسلامية، وشاعرها، وبطلها المسلم.

وكان الفارس المجاهد قوي العزيمة، راسخ الإيمان والإرادة، ظهرت في وجهه سطور كتبتها السيوف، ونقطتها النبال، فدلت على أن فارس الإسلام جندي قديم، عرك الوقائع، وحنكته الأحداث الإسلامية التي خاض غمارها، واتجه بجواده وفرسانه خارج كندهار، وهو يقول :

سيعـود عهـد حميد وفـريد[2] حياً ثانـية
إذا كان الأفـغـان يؤدون ضربـات سيوفـهـم[3]

حيـاة البطولـة :

لقـد خاض هذا البطل أحمد شاه وقائع إسلامية، ظهرت فيها جرأته وإقدامه، وصـدق درايتـه بالحـروب، وظهـر فيهـا رفق القـوي بالضعيف، واعتزاز الشجاع

(١) ديوان أحمد شاه ، نقلاً عن محمد نواز طائر : روهي أدب ٣٨٤ .

(٢) حميد وفريد : حميد هو الأمير الأفغاني حميد اللودي الذي حكم الملتان سنة ٣٧٣هـ، ثم استمر الحكم في بنيه مدة طويلة . أما فريد فهو الاسم الحقيقي للأمبراطور الأفغاني شير شاه سوري (الغوري) حكم الهند وأنزل الهزيمة على الملك المغولي همايون سنة ١٥٣٩م . راجع كاكا خيل : بشتانه د تاريخ په رنا كى ٥٤٧ ، وپتهان ٢٠٤ ، وروشن خان : تذكره ٢٩١ .

(٣) ديوان أحمد شاه ، نقلاً عن خان روشن خان : تذكرة ٢٩١ ، وحبيبى : پشتانه شعراء ١ : ٣٣١ .

بشجاعته ومكانته، وهو يمتطي جواده الأفغاني في شوارع كندهار متجهاً شطر الشرق، وهو يردد قوله :

عش حياة البطولة على بريق السيف يا أحمد
وقم بطلب النصر، واتجه للفتح نحو كل الديار[1]

زاد الحديث عن الجهاد والمجاهدين، فقال لصاحبه وهو يحاوره في الجهاد: دعك يا صاحبي من ذكر الجهاد والمجاهدين، والحروب والمحاربين، فإن هناك دماء طهر الله منها سيوف الجبناء والمتقاعسين، واختار لها من الأبطال من يليق بالشهادة، ويستحق الجنة ونعيمها .

قال صاحبه : أحقاً يعد كل من لم يشهد الجهاد جباناً متخاذلاً؟

قال : نعم ، إن اعتداء الهندوس وأمرائهم على المسلمين، وعلى ملوكهم في الهند، وضغنهم القديم الموروث على الإسلام، وادعائهم أن الإسلام قد اغتصب البلاد الهندية بسيفه، ثم ما أعدوه للإسلام والمسلمين من غوائل الحرب والغدر، كل ذلك مما يوجب الجهاد والقتال، ويدفع كل مسلم في منازل الأفغان إلى امتشاق الحسام، والموت في سبيل دينه، وفي سبيل الدفاع عن المسلمين شهماً كريماً، ومن لم يشهد ذلك فهو جبان متقاعس، خواف متخاذل. وأنشد قوله :

إنني أقوم بتسخير البلاد وفتحها بفضل من الله
وبفضل من الخبير العليم أخرج إلى كل جهة ناصراً منتصراً[2]

كان أحمد شاه دراني نون النصر في هيجاء الهندوسية، وصاده، وراءه،لولاه ـ بعد الله ـ ما عز للمسلمين في الهند جانب، ولا خفق على حصونهم علمهم ، ظهرت على وجهه كدرة الغضب حين جاء إليه نذير من النذر الجديدة من قبل الهندوس الذين بدأوا تآمرهم ضد الإسلام وأهله، وقد تجمع مقاتلوهم، صال رجال البوذية وجالوا،

(١) محمد نواز طائر : روهى أدب ٣٨٣ .

(٢) محمد نواز طائر : روهى أدب ٣٨٤ .

وتطايرت نيران مؤامراتهم في كل أرجاء الهند، زلزل المسلمون لذلك زلزالاً شديداً، واتجهت عيونهم إلى السماء أولاً، ثم إلى كندهار في رجاء المستغيث، حتى إذا اشتد خوف المسلمين سمعوا صوتاً مجلجلاً يصيح قائلاً: إليّ إليّ أيها المسلمون، إن أحمد شاه قائدكم المفاخر بشجاعتكم يدعوكم إلى خوض المعركة لإنقاذ الإسلام من أيدي هؤلاء البوذيين الذين تجمعوا للقضاء على الحكم الإسلامي في تلك البقعة من بلاد الهند، وهو يصرخ بقوله مخاطباً نفسه:

إذا كان الله قد قدر لك النمو وكبرك يا أحمد!
فعليك أن تساعد الضعفاء المسلمين دائماً(١)

ودارت المعركة في باني پت:

قال أحمد شاه دراني إن قلوباً يملؤها الإيمان، أقوى من كل ما جمعوا وأعدوا، إننا أيها المسلمون لا نجاهد لأرض وقلاع وحصون، وإنما نجاهد لدين وعقيدة ومجد إسلامي قديم، إن الهندوس الوثنيين إذا برعوا في التجمع والإعداد لقتال المسلمين، فإنهم في الفرار منه أكثر براعة إذا حمي الوطيس، وعقدت النية على المضي في الجهاد.. إليّ إليّ أيها المجاهدون، وما كاد أن يتم النداء حتى وثب على جواده، وهم وراءه كالأسود، إلى أن وصلوا إلى أرض التجمع الوثني، ودارت المعركة في «باني پت» فكان ينثر رؤوس الهندوس يمنة ويسرة ثم صاح: الله أكبرا فردد جيش المسلمين صيحة التكبير، وتواثبوا على تجمعات الأوثان، فألحقوا بهم الهزيمة الساحقة، وعاد المسلمون بالنصر، وبآلاف من الأسرى والأسلاب والغنائم، لقد كان ذلك نصراً مبيناً، وتلته فتوح أخرى. وتمت فيها بعثرة متاع العدو، كما تم فيها تمزيق أوصاله:

ستتم بعثرة متاع حياة العدو وتمزيقه
إذا كان الأفغان يقومون بأداء الضربات بقوة(٢)

---

(١) ديوان أحمد شاه، نقلاً عن روهى أدب ٣٨٥.

(٢) ديوان أحمد شاه، نقلاً عن پشتانه شعراء ١: ٣٣١.

العظمة الإسلامية هي الهدف :

فقد انتصر الإمبراطور الشاعر في أرض الحلبة في « پاني پت » في عمق الهند بعيداً عن الوطن، وخرج منها مظفراً منصوراً، وقد اشترى النصر والعظمة من هذه السوق سوق الفداء والتضحية :

يا أحمد شاه، هنا تدور معركة الفداء والتضحية
فعليك بشراء العظمة والرفعة من هذه السوق[1]

كانت في جيش هذا القائد المظفر قلوب ضيغمية يطيع كل منها رمحه إذا جد الجد، وأذن مؤذن الجهاد، وبنداء القائد شمر الجميع لتلبية النداء، وفي مقدمتهم قائدهم أحمد شاه الذي يخاطب نفسه قائلاً :

يا أحمد شاه، شمر عن ساعدك ما دامت فرصة العمل في يدك
واحسرتاه، على من يحك يديه على ما فاته من العمل[2]

كانت أفغانستان في عهد أحمد شاه في شوق شديد إلى من يدعوها للجهاد الذي هو من مآثر الأفغان المألوفة، ومن مفاخرهم الإسلامية المعروفة، والذي يملأ آذانهم بوقائعه المظفرة. وبشجاعة أبطاله قديماً وحديثاً. وهم يعتبرون حياة الجبان الذي يتخلف عن الجهاد ظلماً وجفاءً. انظر إلى أحمد شاه كيف يصور هذا المعنى الذي يلعب دوراً مهماً في حياة الأفغان العسكرية والاجتماعية والأدبية، والذي يتردد صداه في كل دواوين الشعراء الأفغان بلا استثناء :

البطل الذي يموت غيرة وحمية ليس بميت
بل حياة الجبان الذي لا غيرة لديه ولا حمية ظلم وجفاء
لن أرفع يدي عن الحمية والغيرة
حيث إن الدنيا باقية بالغيرة والحمية

---

(١) ديوانه ، نقلاً عن حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ٣٣٢ .

(٢) ديوانه ، نقلاً عن حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ٣٣٢ .

إن الـــذيـن يـضحـــون بـحـيـاتـهـــم
حـبـهـــم صـــادق دون شـــك[1]

حيا الله هذا الإمبراطور الشاعر، فقد أحسن الذود عن المسلمين لقد كان أرفع قدراً، وأرفع منزلة في الشعر، إنه كان شاعراً قبل أن يكون ملكاً، ومعرفته بإبداع الكلام لا تقل عن درايته بامتشاق الحسام، متمكناً من ناصية الشعر، ومن استذلال المعاني، وكان من أمكن الشعراء في تصاريف الكلام، وفي فتح الديار، إن له لساناً لو ضرب به حجراً لفلقه كما مزق حسامه الأجساد، وقد رفع من شأن المسلمين في الهند بسيفه الصارم، ولم يكن خافياً ما كان بين المسلمين والهندوس من عداء محتدم، فقد وثبت جيوش البوذية على المسلمين مراراً، فكانت منه هذه النجدة الصارمة. وكان قبل ذلك قد طهر بيشاور زينة البلاد، وكندهار جبين الأفغان وكابل روح البلاد وشريانها المتدفق.

شخصية أحمد شاه وصفاته :

لم يكن أحمد شاه من أشهر أباطرة الأفغان، ولا من أشهر القادة الفاتحين في آسيا الوسطى فحسب بل بالإضافة إلى ذلك كانت شهرته في عالم الشعر والأدب، وفي دنيا العلم والمعرفة والزهد تطبق آفاق العالم الإسلامي، وإذا كانت شخصية أحمد شاه تشتهر اليوم في التاريخ الأفغاني بالشجاعة والبسالة، وبكثرة الفتوح، فإن شهرته في ميادين العلم، والأدب، والورع، والتقوى، وفي التواضع والخشوع لا تقل عن ذلك، وديوان شعره مرآة تمثل شخصيته في صفاتها وجوانبها العديدة، كما تمثل بيئته ووقائعها المختلفة.

ويمكن القول بأن أربع سمات متكاملة متداخلة تسهم في تكوين شخصية أحمد خان، وهي الولاء الإسلامي، والانتماء الأفغاني، والجهاد الإسلامي، والأدب الأفغاني، وهذه هي الخطوط الرئيسة الأربعة في شعر هذا الأمبراطور الشاعر، وقليل من هم يمسكون هذه الخطوط الأربعة في شخصياتهم في آن واحد، ومن الممكن أن نعد منهم الزعيم الشاعر خوش حال خان.

(١) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ٣٣٣ .

فالولاء الزائد للإسلام وقيمه السامية أحد مزاياه في شخصيته وفي شعره، كذلك الافتخار به وبالانتماء الأفغاني، والتغني بهما وبأمجادهما، وتوجيه القريحة الشعرية والقوة القتالية الجهادية لخدمة الإسلام والدفاع عن أهله من الصفات والمزايا التي تظهر واضحة في شخصيته .

وبالإضافة إلى هذه السمات الرئيسة الأربعة تتميز شخصيته وتتمتع أيضاً بالتضحية والفداء، وبالعلم والمعرفة والفضيلة والتقوى، كما كانت شخصيته تتمتع بالاستقلالية والصلابة، والإيمان القوي الذي لا يتزعزع، وبعزة النفس، وبهذه الشخصية القوية هز كل طود للشرك، ونزل على أهله صاعقاً محرقاً، وارتجفت أرض الشرك من تحت أقدامه، وسنابك فرسانه، وكان في ذلك أعز الناس نفساً، وأرجح الناس وزناً ورأياً، وكان بشخصيته وبصفاته الحميدة غرة في جبين الدهر. ويرجع السبب في كل ذلك إلى ما منحه الله من قوة في شخصيته أولاً، ومن قوة في عقيدته ثانياً، ومن قوة في عاطفته الإسلامية والأفغانية ثالثاً، ومن قوة الإخلاص والتفاني فيما يصبو إليه رابعاً.

كان أحمد خان ملكاً متواضعاً من سلالة الأصول الأفغانية العريقة، وفتح الهند عدة مرات، وقد أنشد أروع قصائده أثناء فتوحه في الهند، كل بيت فيها رائع خلاب، أخاذ بأوتار القلوب، يخلد شخصيته واسمه بين زمرة الخالدين .

شجاعته :

إن الشجاعة في الشعر وفي العمل أبرز شيء في هذا الشاعر القائد، بالإضافة إلى إقدامه، وكرم سجيته، وصبره على الجهاد، فلم يكن فيه إلا النجدة للمسلمين في الهند، والعزة والأنفة عن كل ما يشين. . علم أن أعداء الإسلام في ديار الهند قد جمعوا مكرهم وألقوا حبالهم، فلم يكن منه إلا أن هز كتفه، وقال: آن الأوان للدفاع عن الإسلام في ديار الهند، ولم تمض ساعات أو أيام حتى كان في طريقه إلى الهند ينهب الأرض في صمت وعزم أكيد، وانطلق لنجدة المسلمين كما ينطلق السهم، وانقض على الأعداء كما ينقض الأجل المحتوم، استنجد بسيفه لنيل مطلبه الإسلامي، فكان الجهاد الذي هو روحه، وقطرات دمه. وقد خاض الحرب الدفاعية

وكله علو وشمم، وشهامة وإباء، فكان شجاعاً حازماً في مواقفه الحربية .

كان أحمد خان الشجاع مملوء القلب بالآمال والطموحات الإسلامية، وكان حقيقاً بنيل تلك الآمال العظيمة، وقد نفر بشجاعته من جمال المادة إلى جمال الروح، وأحب العبقرية المتلألئة في الحرب، والنبوغ الفاتن في دنيا الشعر، والشهامة الوثابة والنفس الطموحة.

رحم الله صاحب البطولة الإسلامية الوثابة، والشجاعة الغلابة، وصاحب الخلق الراسخ، والمجد الشامخ. رحم الله صاحب ذلك اللسان الشجاع الذي كان ينثر فرائد الحكم، وصاحب ذلك السيف الشجاع والعقل القهار .

إيمانه بالله[1] :

الملك الشاعر أحمد خان كان مؤمناً بالله راسخ الإيمان، يبدو ذلك واضحاً جلياً في شعره وجهاده، وفي حياته الاجتماعية والسياسية، وقد زين ملكه بفرائد شعره في الإيمان بالله والثقة الكاملة فيه . وبإيمانه الراسخ كان يبعث القوة والعزيمة في الجيش الخارج للجهاد بقيادته .

ومع إيمانه الراسخ بالله العظيم يتمتع بتواضع جم، وبخلق جميل، ويدعو إلى التحلي بالتواضع، والابتعاد عن الكبرياء، انظر إليه وهو يصور هذا المعنى في «الإطار الإسلامي» :

إن الكبرياء من أخلاق الشيطان، فلا تصغ إليها
لأنك ستجعل رأسك بالكبرياء مجففة كالقصب[2]

ديوانه :

ديوانه يشتمل على ثلاثة آلاف بيت من الشعر[3] الجيد، وفي ديوانه بالإضافة إلى الإسلاميات الرائعة المملوءة بالعظة والعبرة، الحكمة، والتوجيه، والنصح والإرشاد

(١) مقدمة ديوان أحمد شاه أبدالي ٥٠ ، نقلاً عن روهى أدب ٣٨١ .
(٢) ديوان أحمد شاه ، نقلاً عن پشتانه شعراء ١ : ٣٣٣.
(٣) حبيبي : پشتانه شعراء ١ : ٣٢٩ .

والأحـاسيس والعواطف الأفغانية، ومشاعر العطف والكرم، والشجاعة والبطولة، والأنفة والحمية، والعزيمة القوية والعقيدة الراسخة، كل ذلك مع التمسك الشديد بالإسلام وتعاليمه .

وفيه من المعاني الوطنية شيء كثير كالحنين إلى الوطن، والاستماتة في الدفاع عنه، والوطن عزيز عليه، والوطنية تشغل جزءاً كبيراً من ديوانه، ومن أفكاره .

كما أن الزهد يشغل حيزاً أكبر من ديوانه، ويقف شامخاً عملاقاً في هذا المضمار ، وسلك فيه درب الجهاد والنضال والعمل .

وفي ديوان أحمـد شاه ما يدل على أنـه لم يكن من أشهر أباطرة الأفغان في آسيا الـوسـطى فحسب ، بل بالإضافة إلى ذلك كان يتمتع بشهرة كبيرة في دنيا الشعر والأدب، وفي ميادين العلم والمعرفة، والفضيلة . . ويتميز شعره في ديوانه بالأسلوب الرصين، والهدف الرفيع . كل ذلك وغيره من المعاني والأفكار يمكن العثور عليه في ديوانه .

شـــعره :

إن الشعر الإسلامي روح قبل أن يكون لفظاً ووزناً، وهو شعاع من نفس قائله، ونـور يفيض به قلب صاحبه، فإذا كانت النفس مدنسة بالأغراض الحقيرة، وكان القلب نهباً للأطماع الدينية، جاء الشعر فاتراً خائراً، ولم يكن الإمبراطور الشاعر من هذا النـوع من الشعراء، كان شعره أغلى من أن يبعثر في غير الإسلام، وعلى غير الـدفـاع عن الأفغان، وقد ملأ دنيا الهندوس باسم الإسلام دوياً، وأرسل أجنحة الشعر بمديحه خفاقة في آفاق الأفغان، ورفع صوته المجلجل بالشعر فيخوض الأنهار، ويثب الجبال، ولا يقف دونه سـد .

لم يقل الشعر في الكأس والطاس ، لم يكن شعره إلا في غزو وفتح ونصر، وفي حب الوطن وأهله، لم ينحدر شعره إلى الهاوية، فليس فيه إلا نجدة وعزة وأنفة عن كل ما يشين . ويحمد فيه وفي صاحبه الإباء والشمم والجرأة، والعبقرية الحربية والأدبية. وقد كانت قصائده الغراء آية بينة من آيات البيان . كان الشعر والأدب جناحيه اللذين

يطير بهما، ويغرد في سماء الجهاد، وفي دنيا الكرامة الإسلامية.

إن أطيار غوطة كندهار قد أسرت بأنغام شعره الذي يبعث فيها القوة والعزيمة، وحب الغلب والنصر، ويصل بجهاده وأدبه إلى قرارة القلوب. كانت كندهار خير مكان يشرق فيه أدبه، ويصدح فيه شعره، وتعقد فيه نيته للجهاد والقتال، وكانت برياضها تشرف على السهول، وكانت كثيرة المساجد رائجة التجارة، وقد كثر فيها الأدباء والشعراء وطلاب العلم، لا تقل في ذلك عن المدن الإسلامية الأخرى في ذلك الوقت من التاريخ الأفغاني الإسلامي.

كان في شعره فن جديد، وروحانية قوية، ووطنية مفعمة بالمبادىء الإسلامية تهز المشاعر، وتثير خامد القلوب وفاتر العواطف والمشاعر، وفيه شوق، وفيه شكوى، وفيه حنين إلى الوطن وأهله، كان من أبرز وأعظم قواد الأفغان وقادتهم، ومن أبرع شعرائهم، إن قصائده من عيون الشعر الأفغاني، إنه شاعر وفي، انظر حنينه إلى وطنه، وكيف صاغ هذا الحنين في عزة وإباء، وفي شوق شديد، حيث يقول بعد أن فتح الله عليه دلهي، ودخلها فاتحاً:

إن زهرة قلبي ستخرج رأسها عالية من تحت التراب
إذا هب نسيم أرض الجبال وأسرع إليّ في نشاط[1]

كان الشاعر صورة للأفغاني المسلم الشجاع، وكان رجل جد، وصرامة خلق، مملوء القلب بالآمال الإسلامية، كان له مطلب أسمى من مجرد إنشاد الشعر، ووصف الحنين إلى الوطن، اقتصر من الشعر على القدر الذي يكفي لبلوغ ذلك المطلب، ونيل تلك الغاية، خلقه الله للجهاد الإسلامي وطهره من وساوس الإثم ودنس الشهوات. وشعره من النوع الذي لا يجلجل إلا في قتام الحروب. وصليل السيوف، جمعت تفاعيله من أسنة الرماح، وشفار السيوف، وصهيل الخيول[2]:

إذا برق لمعان سيفي الأبيض البراق مرة أخرى

(١) ديوان أحمد شاه، نقلاً عن پشتانه شعراء ١ : ٣٣١.
(٢) مقدمة ديوان أحمد شاه تبدالی ٥٠، نقلاً عن روهی أدب ٣٨١.

فأنــا في سبيل مودتـك ـ يا ربـاه ـ فاتـح الـدنيا في كل اتجـاه[1]

في شعره كثير من الفنون البلاغية المختلفة، كالتشبيهات، والاستعارات، وصور من المجاز، والبديع، بعيد عن التكلف والتصنع، وعن التعقيد والغموض، وفي تخيلاته لا يتجاوز المعروف في عالم الأفغان الإسلامي، وتغلب عليه الصراحة والصرامة.

إنه أمير الشعر والبيان، ومحيي ما درس من لغة الأفغان، ومحيي تراث الإسلام في بلاد الأفغان.

ومن صفاته في شخصيته أنه كان محباً للعلماء والأدباء، والشيوخ ورؤساء العشائر والقبـائـل، يصلهم ويقـربهم هذا إلى كرمه وتواضعه، وشدة تمسكه بتعاليم الدين الإسـلامي، يجالس العلماء، ويناقشهم، ويناقشونه، وكان صادق الرأي، حسن التعبير، عالي الهمة، وكان ناقداً بصيراً، دخل التاريخ من أبواب المجد والسؤدد، والعظمة التي هي عجينة نفسه، وممزوجة بفؤاده كالشعر الذي هو جزء من كيانه.

أسلوبه الشعري:

وفي أسلوبه الشعري ينسج شعره على منوال الشاعر الزاهد عبد الرحمن بابا ويتميز أسلوبه الرفيع بما فيه من حب لله ولرسوله وللإسلام ومبادئه، وحبه لقومه ووطنه، ويؤمن بأن هذا الحب دين عليه يجب الوفاء به:

يا أحمـد[2]، بما أنـك قد جعـلت الحـب دينـا عليك
ففِ بوعـدك لأن هذه الـدنـيا كمـعـبر فانٍ لا بقـاء له[3]

وفي أسلوبه يبدو كأنه مصلح اجتماعي، ومعلم لدروس الأخلاق، وفي أسلوبه نغمات سماوية تغرد في سماء شعره، وفي دنيا ترانيمه، وعواطفه وأحاسيسه.

---

(١) ديوان أحمد شاه، نقلاً عن روهى أدب ٣٨٤.

(٢) الشاعر يخاطب نفسه، حيث إن اسمه الكامل أحمد خان، ثم صار أحمد شاه دراني بعد أن أصبح ملكا، راجع هامش ٣ ص ١٨٨ من هذا الكتاب.

(٣) مقدمة ديوان أحمد شاه أبدالي ٥٠ وروهى أدب ٣٨١ - ٣٨٢.

نماذج مختارة من شعره :

قد مرت بنا نماذج كثيرة من شعر أحمد شاه أثناء الحديث عن جوانب حياته المختلفة، وبخاصة النماذج الشعرية الخاصة بالإسلام والجهاد وفيما يلي مختارات أخرى من شعره:

نص (١٢)
حب الوطن

وطني ، صارت الأكباد والصدور مملوءة بدماء عشقك
وفي سبيلك يقدم الشباب رؤوسهم فداء
أعود إليك فيصبح قلبي خاليا من الأحزان
ومن غيرك تكون أفكاري المخيفة كالثعابين لقلبي
مهما زاد متاعي الدنيوي في العالم
لن تذهب عني بساتينك الناضرة إلى عالم النسيان أبدا
إنني أنسى عرش دهلى عندما أعيد إلى ذاكرتي
قمم جبال أرضي الأفغانية الجميلة
سيتم تمزيق أسباب الحياة للعدو إربا إربا
إذا أدى الأفغان ضرباتهم بالسيوف
سيعود دور فريد وحميد[1] مرة أخرى
إذا بدأت القيام بالغارات على كل الجهات
لو وضعت الدنيا كلها في جانب، وأنت في جانب
فإن صحاريك الخالية القاحلة أحب إلى من غيرها
إن أحمد شاه لن ينسى منزلتك تلك أبدا

(١) راجع لمعرفة كل من فريد وحميد هامش رقم ٢ ص ١٩٠ من هذا الكتاب.

وإن تمكن من فتح ممالك العالم كله[1]

الذات والوجود:

الحديث عن ذات الإنسان ووجوده يتردد كثيراً في دواوين الشعراء وكتب الزهد قديما وحديثا، ويبدو أن شاعر الإسلام محمد إقبال قد تأثر بهذه الفكرة أيضاً حيث نرى صدى فكرة الذات والوجود في دواوينه بكثرة. والامبراطور الشاعر أحمد شاه يصور هذه الفكرة في أشعاره:

نص (١٣)

الدعوة إلى الجهاد ووحدة الكلمة

من أية جهة جاءت قافلة العشق
وتقيم في قلبي ، ما هذه الغوغاء؟
الكل من طينة واحدة، غلجية كانت أم أودلية[2]
والأكرم هو من كانت مرآة قلبه صافية
والبطل الشجاع هو من كان عمله حسنا
وإن كان قد لبس عباءة من الكرباس[3]
على الأفغان أن يكونوا كلهم يدا واحدة
لأننا نقوم اليوم بالجهاد في كل الجهات[4]

---

(١) ديوان أحمد شاه، نقلا عن حبيبي: پشتانه شعراء ١: ٣٣١. وكاكا خيل: پشتانه د تاريخ به رنا كى ٨٨٣، وطائر: روهى أدب ٣٨٣.

(٢) أودلية: الأودلية، والأودالية، والأبدالية، والعبدلية قبيلة من القبائل الأفغانية، تعرف الآن باسم «الدرانية» تنتشر في كندهار، وهرات وكابل، وإليها ينتسب أحمد شاه الدراني مؤسس أفغانستان الحديثة. والقبيلة منسوبة إلى «أودال أو أبدال بن ترين بن خرشبون بن قيس. وقد ذكره السيد جمال الدين الأفغاني باسم «عبدل».

(٣) الكرباس: فارسية نوع من القماش منسوج باليد من خيوط القطن.

(٤) حبيبي : پشتانه شعراء١ : ٣٣٢.

الدعوة إلى التحلي بالعلم :

الإمبراطور الشاعر كان من الملوك العلماء، يحب العلم ويشجعه، ويدعو إلى نشره بين طبقات الشعب الأفغاني، وفيما يلي بعض من أبيات شعره، يدعو شعبه فيه إلى التحلي بالعلم:

نص (١٤)

إذا كانت مصابيح العلم دائمة الاشتعال والإيقاد
إلى متى ستعيش أيها العجوز في ظلمة الغفلة؟
اجعل علم اليقين هذا مرافقا ملازما نفسك
طر ، ثم طر على جناح الهمة والعزيمة القوية

***

سيتلألأ الدر في الجهات الأربع لأجلك
إن أضأت لنفسك مصباح العلم المنير
الروح تأخذ الضياء من العلم، فتتعلم بعد أن
يبدل الخلق السيء بالخلق الحسن، يا أحمد شاه

***

تنبه ، إن العلم بحر كبير واضح جلي
ومع هذا فإنه يجرى متفرعا إلى عدة أبواب
إن بحر العلم محيط في كل مكان
تعلم العلم لأن صرح العلم مرتفع[1]

(١) پشتانه شعراء ١ : ٣٣٥.

النصوص

نص (۱)

د کتاب پهل

په نامه دخدای چه بخشاینده دی مهربان یعنی په نامه دخدائی په خدای دی عیان۔

آغاز د کتاب : څما د ډیر ستور۔ صفت و کنبه‘ خوشی مي پیداشی چي څما ډیرستور صفت وائی آدمیان۔

گوره څما تسبیح وائی چي څما په مزکه کښي دی په آسمان۔

نشته هیڅ بیرون چی څما تسبیح وائی ته باور کړه په دابیان۔

یسبح لله ما فی السموات وما فی الارض په قرآن کښي دی عیان۔

کل شئی قال تسبیح الرحمن ‘ ها دی ویلی دی رحمت دخدای په وه دا کلام۔

زه عامی میره یم‘ په څه ستا دیر ستو ر صفت و کنیم‘ او سبحان۔۔۔

ته دانا یی او خالق یی د مخلوقان۔

ته ژغوړوی واړه مخلوقان، اوژوړول دی چی لادوی پیداشوی نه وُ عیان۔
و ربک علی کل شئی حفیظ په قرآن کښي دی عیان۔
عالم و حافظ کل شی ء کان سبحان۔
ها دی ویلی دی رحمت دخدائی (په ده) که دریابونه شی څوپکړندر دمخلوقان نو دواړه دریابونه نوری شي یا که له دغو پکړندر(۱) زیات شی اویا زره کاتبان یاکه له دغو پکړندر(۱) زیات شی،د هر کاتب اویا زره قلمونه شی بیگمان کښي او تمام به نشی ستا د ستوری ثناخبری، که د کښل په بهنه قلمونه مات شی، او توري شی تمام۔۔۔۔۔
ولوأنما فی الارض من شجرة اقلام والبحر یمده من بعد سبعة ابحر مانفدت کلمات اللّٰه(ان اللّٰه) عزیز حکیم په قرآن کښي دی عیان۔
یاستا ډیرستور صفت هوی دی پکړندر(۱) چي پتا معلوم دی او سبحان۔
ان اللہ کان علی کل شی ء حسیبا په قرآن کښي دی عیان۔
لااحصی ثناء علیک انت کما اثنیت علی نفسک نبی ویلی دی صلی اللّٰه علیه وسلم و کښه پدا کتاب

صلوة په خاتم دانبیا چی محمددی (ع - م)
او په واړه پیغامبران چی ددیو دی پسروان۔
وسلام علی المرسلین والحمد لله رب العالمین په قرآن کښي دی عیان۔۔

مرگ به ورشی وسړی وته ننگهان
نشته د سړی په دنیا کښي تل و تله مقام۔

گوره ددغي زماني ادمیان غواړی دنیااو هرچي پکښي دی پی مشغول دی ډیرادمیان۔

ځنی په کرل یا به بازر گانی یا په یوند گلی
یا په تر کښي باندی، ځینی په

نورنور چار مشغولی که ادمیان یعلمون ظاهرامن الحیاة الدنیا وهم عنالاخرة هم غافلون ۔۔ په قرآن کښي دی عیان۔۔۔۔

نص (۲)

گوره کړی دی خیرالبیان، په څلور ژبی، موافق له قرآن۔
پکښي دی بیان د رښتیا د دروغ د حلال و حرام۔
او بیان دی کړ د نکړ دهر مقام۔۔په تادي وی اعلام۔
گوره کړی مي دی خیرالبیان کتاب، تنگ دارو د دین،
تندرستی دایمان او څراغ د ادمیان۔

چار کړه په قرآن، په خیرالبیان، اوپه هغه کتاب چي موافق دی له قرآن د تندرستی دپاره دزړهٔ دروح د ایمان۔

او که چار یی نکړی، بخره دی نشته په خیرالبیان۔

تر ودی وشرمیږی له ماچی پند در کوی و ادمیان مي کړدی د خیرالبیان۔

گوره هرچي اولی خیرالبیان۔ او یی چار کا وربه وښیم وده وته څلور ژبی، خبربه ئی کړم د کړ د نکړله چاري د هر مقام۔

پناه به ئی کړم ددنیا په ژوندون داوس له بدی، د شیطان له منکره، له ور کوالی د ایمان۔۔۔۔تروبه ئیوباسم لمنکری، وباور وته، له گناهه ورمندن وته، له غفلته و یادمدام۔ له بیراهی دلارونه، لهناپوهتئ و بومونه، له ړندوالی ولیده ونه نه کنوالی وارویدهٔ وته، له جدائ و پیوستون وته، اوله شرکه ویگانگی وته، له نفاقه و اخلاص و ته آدمیان۔۔۔۔

گوره هرچی اولی خیرالبیان، او چاریی نکه، وروبه نه ښیم وده و ته څلور ژبی او خبربه ئی نکړم د کړ د نکړ له چاری دهر مقام۔

ولی پناه به نه مومی ددنیا په ژوندون د اوس لهبدی، نه

له منکره د شیطان---او ژوندون به ئی وی له گناهان-
تروبه بیامومی عذاب د ځانکندن، دگور، دقیامت، داور
او عذاب رنگارنگ عیان----یعذب الله الانسان
بسبب العصیان وید خلهم فی راحته بسبب الاحسان
هادی ویلی دی رحمت د خدائی په ده دا کلام -
(دکتاب ختم)

نص (۳)

راشـــه واوره څـــمـــا وروره
فضیـــلت دصـــبر گوره
صبر ښه دے په هر کارکښي
ولی زیارت په دا روزگار کښی
چه ماتم و چاته پیښ شی
ور پیدا د خاطر بریښ شی
که ئے زوئے وی که ئے لور وی
یا ئے ورور یا ئے تربور وی
یا ئے پلار وی یا ئے مور وی
یا ئے بل مئین څوک نور وی
چه سفر و کاندی جانه
لاړ شی دے له دے جهانه

او صابر په دا ماتم شی
صبر و کاندی بې غم شی
نه ژړا کا نه فریاد کا
خوخپل مرګ په زړه وریاد کا
هسې وائی دا فرمان دے
دا فرمان د حق سبحان دے
په دا لار د هرچا تله دی
چه ژړا کا د چا څه دی؟
رضامند د خدائے په کړه شی
کۀ ژړا کړی په دا څه شی؟
خدائے له دوئی بندوئی وروره
رضامند وی ډیر هر ګوره
ثواب ورکاندې اے یاره
دی بنده لره بې شماره
عبادت د سلو کالو
یاد شی دی له خوب خصالو

نص (٤)

هر سالک چه موافق په شریعت حئی
له حدیثه له قرآن دے دکل جهان پیشوا دے
په پاکی د مصطفی ده په ښو پاکه ده راغلے
چه په شرع مستقیم شو د نبی لار هغو نیولے
هر چه تجاوز نه که له شرعے
دباور سپینه خیمهٔ ئے په زړګوتي ده وهلے
دشریعت اونه ته نهاله کړه په زړه کښیے
چه خبر شے له ښاخونو هم له ونے

ح - دے حی لایموت دے
دے له عقله ماورا دے
هر چه دے په عقل غواړی
د هغه دلیل خطا دے
هر چه تول ایمان لرینه
دے د دومره اومنینه
چه خالق د کل عالم دے
هم کارساز د کل اشیا دے

نص (۵)

پہ مردن پروا دار نہ یم
پہ زندان پروا دار څہ یم
یو غصہ دویم بیلتون دے
چہ پہ اور.پہ اوبو زہ یم
اشرف خان د راتہ کښلی
زہ خو خوښ پہ خط د دہ یم
پنځہ میاشت یم پہ بند کښې
بابا ډیر پہ زړہ ډاډہ یم
چہ فلک سرہ سر باسی
پہ همت کښې هغہ زہ یم
ځویہ ما خو غم درتا کړو
چہ تہ ښہ ئے زہ خو ښہ یم
کړہ ئے نہ دی بے حکمتہ
زہ خوشحال د دۀ پہ کړہ یم

نص (٦)

په دوران د اورنګ زیب بادشاه په بند شوم
بې تقصیره ئې ګناه دردمند شوم
دري ځلور کاله په بند د اورنګزیب شوم
خدائې چه خلاص کرم انتقامه ته شکیب شوم
دمغولو زیست روزګار راباندې اور وُو
په صحبت ئې زما رنګ لکه تورسکور وو
ناګهانه په دا ملک فساد بنیاد شو
د مهم د تلافی کار په باد شو
د فساد که یو بخرې وو ما اور کړه
اور مې پورې د اورنګ بادشاه پهٔ کور کهٔ

نص (٧)

یوځه داغ لرم په زړه د نادرستو
د دي داغ علاج ونه کړو سستو، پستو
یا به ئې عین په زړه و خوری یا زخمی شی
چه هوسی په پوه ورسی د چستو
دبې ننګو بې ننګی مي به ارمان شی
خداي به واړه چاری بنیے کا وړاندې ورستو

دبهتو اوښکي مے ويني شی تري ځاځی
دا د تن جامے مے نه وی د اغوستو
د دردمندو حال دردمند په قياس معلوم کا
که يی وائی ښکاره نه دی په تندرستو
دا غزل چه د خوشحال ورشی تر سرايه
ښه ياران به ئے نعرے وکه د لوستو

نص (۸)

دخدائے منت راباندے چه ئے هست کړم له عدم
بل خلقت ئے نه کړم راپيدا شوم له آدم
ښښت په ښښت راغلے مسلمان محمدی يم
چار د چار يارانو سره واړه منم سم
درست په دا پوهيږم چه څلور مذهبه حق دی
زه د حنفی مذهب دعوا لرم محکم
مينه ئے په زړهٔ کښے د علماؤ راکړه ډيره
مينه ئے د دور د شيخانو راکړه کم
نه خراباتی نه قمارباز نه زناکار يم
نه قاضی مفتی چه ئے نظر پهٔ څو درم
بخره ئے د تيغ راکړه په اصل کښے پښتون يم
پلار په نيکهٔ نه يم بے دولته بے حشم

پلار مے سور کفن د گور تہ لاړ نیکونہ واړۀ
ډیر خلق پرِ د مړ خون ئے لاړشو تر عالم
پلار مے شهباز خان پہ سخاوت لکہ حاتم وُہ
زړۀ ئے و زمری، پہ توره تیر وه تر رستم
تینګ ولاړ پہ شرع تل ئے کار ؤه پہ رښتیا کښے
خط سواد ئے نہ وه نور دانا وُہ لہ فهَمَ

نص (۹)

هغہ مِهرئ چہ مالیدۀ اوس لیده ولے نہ شی
چہ مخ د زمکے پسے غوارم مونده ولے نہ شی
چہ خوړتے حلق وه د خلقو پۀ خوږو خبرو
هغہ خولے گونګے شوے تے ګفت اوریدے ولے نہ شی
مهرئی شاخونہ میوه دار وُو چنړیدۀ پے طوطیان
دښنو طوطیانو پچنړ شاخ شنړیدۀ ولے نہ شی
د جراحت نم چہ بهیږی درد الم کمیږی
څما پۀ ډیرو اوښکو درد کمیدۀ ولے نہ شی
اشنا تہ رسی د آشنا خبر کہ دیر لرے وی
یار م نزدے اسیر خبر رسید ولے نہ شی
لہ بلہ بنده بندیوان پۀ سبب خلاص شی آخر
دکور لہ سجنہ د مسجون خلاصیدۀ ولے نہ شی

روح اللّٰه بردے چہ ژوندے کاندی دلبر پہ دعا
صبردار وے د دردمند صبریدہ ولے نہ شی
ځما ګوګل لکہ مرجل جوشان د غم پہ اور شہ
د دانشمند پہ پندئے جوش سړیدہ ولے نہ شی
پہ هرہ شپہ پسے رنړا د صبح دم رادرومی
چہ شپہ د یارغم کړہ صادق میدہ ولے نہ شی
زہ د وصال پجهاز ناست بیلتون نهنګ پیدا شہ
لہ دے نهنګہ دجهاز تیریدہ ولے نہ شی
مرګ خویو ځل پہ سړی تیرشی بیلتون مرګ دے مدام
ددوہ مینو ګورتہ هم کوزیدۀ ولے نہ شی
د بلیتانہ پہ ناتار زِیَږیٔ دُرُخو رُوح تسلیم کہ
بے لہ آدمہ ئے یودم پائدہ ولے نہ شی
پہ اندک تاؤ دَاُور کړہ تیلئے تیرګر کۀ سمہ
ځیګر سوزیږی د حافظ سمیدۀ ولے نۀ شی

نص (۱۰)

نفی اثبات مدام پلاس تیرہ خنجر اونیسہ
رسئ محکمہ د صاف دین د پیغمبر اونیسہ
منګلے ټینګے لږہ وہ پہ شریعت د نبی
ماورہ د نفس او د شیطان تِے نہ حذر اونیسہ

چه په تولی د انبیاؤ کښې سردار یادیږی
لمن دهغه مصطفی خیرالبشر اونیسه
اوکره طاعت په خالص نیت پریږده غلطے لارے
بارداره اونه شه خواره خواره ثمر اونیسه
د پیشمنی مکوه خواب دا لیونتوب یادیګي
په تواضع په تضرع لاس برابر اونیسه
څلور کتابه نازل شوی دی د خدائے د لوری
په دغه وارو کښې قرآن ښه معتبر اونیسه
څلور یاران دی دحضرت رسول الله ګلونه
افضل وارو کښې اول صدیق اکبر اونیسه
دویم ئے یارچه په فاروق نامه یادیږی مدام
ابن الخطاب د دین نواب حضرت عمر اونیسه
دریم عثمان ابن عفان دحیا کان وه یاره
په ذی النورین سره مشهور د علم غر اونسیه
شیر دالله زوج د بتول قبول په در د رسول
څلورم یار هغه کرار علی حیدر اونیسه
د حسنینو د رکاب ته بوسه ګیرشه مدام
کوه زاری تل د بی بی فاطمے در اونیسه
تول امامان څلور څلور ئے مذاهب یادیږی
دا دامام صاحب مذهب کښې سره زر اونیسه

نص (۱۱)

بیت الله ته به حاجیان په همت درومی
د رحمت به پرے باران وی مونږ به نه یو
په طواف کښیے تلبیه مسح به کیږی
په موقف په دعا خوان وی مونږ به نه یو
دست بوسی مبارکی به عالم کاندی
په اخترو به شادان وی مونږ به نه یو
په لوستن به ئے زنګ زړونه صیقل کیږی
خوانده به د قرآن وی مونږ به نه یو
د حافظ صورت به لاندي شی تر خاؤرو
که هاله د چا آرمان وی مونږ به نه یو

نص (۱۲)

ستا دعشق له وینو ډک شوه ځګرونه
ستا په لاره کښې بایلی ځلمی سرونه
تاته راسمه زړګی ځما فارغ شی
بی له تا می اندیښنی دزړه مارونه
که هر څومي د دنیا ملکونه ډیر شی
ځما نه هیر نشی داستا ښکلی باغونه
د دهلی تخت هیرومه چه رایاد کړم

ځما د ښکلی "پښتو نخوا" د غرو سرونه
د رقیب د ژوند متاع به تار په تار کړی
چه په تورو پښتانه کا گزارونه
د "فرید" او د "حمید" دور به بیاشی
چه زه وکاندم پرهر لوری تاختونه
که تمامه دنیا یو خوا ته بل خواته ئی
زما خو خوښي دی ستا خالی تش دکرونه
احمد شاه به دغه ستا قدر هیر نکا

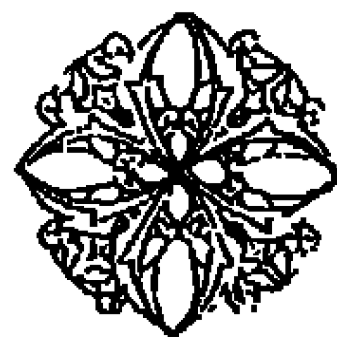
نص (۱۳)

قافله دعشق راغلي له کوم خوا ده
پر زړگی باندی میشته کا څه غوغا ده
ټوله یو دی که غلجی دی که اودلی
ښه هغه چه ئی ښیښه دزړه صفا ده
چه عمل ئی ده نیکئ وی میړه هغه
که اغوستي ئی گدله د خمتا ده
پښتانه دی ټوله لاس سره یو کاندی
چه مو نن غزا هر لوری شا و خوا ده

نص (١٤)

څو ډیوی د علم دی همیشه بلي
د غفلت پهٔ تیارهٔ څو ګرزی عجوزه
دا یقین علم له ځانه سره مل کړه
د همت په وزر الوزه الوزه
له څلورو خوا به در در ته ځلیږی
که د علم رونړ چراغ ته درته بل کړي
روح له علمه رنړا اخلی هله زده کړه
احمد شاه چه بدخوی په ښه بدل کړی

علم ګوره څه څرګنده لوئ دریاب دے
بیا هم دے رابهیدلے په څو باب دے
دا دٔ علم دریاب هر چیری محیط دے
علم زده کړه چه د علم لوړ جناب دے



الباب الثالث

أدب الجهاد الأفغاني

الفصل الأول
شعر الجهاد الأفغاني

شعر الجهاد:

تمهيـــد :

إن الشيوعية الأفغانية أشد الشيوعيات عداوة للأفغان. وكرها للإسلام، وحقداً على المسلمين، تضع في طريق القيم الإسلامية، والأفغانية كل العقبات والعراقيل، وتستعين في محاولة القضاء عليها أو الحد من نشاطها بالشيوعية العالمية، وقد قامت بإنـزال المحن على المسلمـين، فأعدمت كثيراً من الأبرياء، أو اعتقلتهم، وشردت الآمنين، وذلك بعد أن قفزت على كرسى الحكم في كابل بمساعدة الروس، وبعد أن احتل الاتحاد السوفيتى البلاد الأفغانية بالقوة. وقد لعب الحزبان الشيوعيان الخلق والبرجم دور العملاء في هذه العمليات الإجرامية.

ولم يكن أمـام الشعب الأفغـاني المسلم إلا القيام بالجهاد الإسلامى في مواجهة عمليات القهـر والقمـع والتنكيل التي تمت فيهـا ممارسـة أشرس أسـاليب المقاومة الإسـلامية، وأشدها فتكاً وتأثيرا، قام بها المقاتلون الإسلاميون في بلادنا الأفغانية المسلمـة، الـذين انـطلقوا إلى الجهاد المسلح مؤمنين بمبدأ الحرب الإسلامية التي اتخذوها شعاراً لصعودهم في مواجهة العدو، وحكمه الجائر، ونظامه العميل. ومن هذا المنطلق بدأت مسيرة الجهاد الأفغاني، وانطلقت إلى كل الآفاق دفاعاً عن الدين والوطن.

١٧ ابريل سنة ١٩٧٣م = ١٣٩٣هـ:

بدأت الحركة الشيوعية البغيضة تنشط في أفغانستان منذ أن قام السردار محمد داود خان بانقلابه المشبوه سنة ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ، ونصب نفسه أول رئيس للبلاد، ومنـذ هذا التـاريخ بدأت مأساة المسلمـين في أفغانستان، حيث اتخذته الشيوعية الأفغـانية مطية لها لتحقيق أغـراضهـا السياسية والاسـتراتيجية على المدى الطويل

والقصير، وقد وقع الأمير المغرور منذ ذلك الوقت بين مطرقة الخلق، وسندان البرجم[1]، بعد أن صفقت له الشيوعية بحرارة شديدة لخداعه وتحذيره، حتى إذا ما انتهت الحاجة إليه نبذته بعيداً عن الساحة، ولفظته، وألقت به في سلة المهملات. . فقد كان داود أول ذبابة سقطت في شبكة عسل الشيوعية حيث جذبته إليها حلاوة مكر التعايش السلمى الذي كان الشيوعيون ينادون به.

٢٧ إبريل سنة ١٩٧٨م - ١٣٩٨هـ:

وعندما استنفد الرئيس محمد داود خان طاقاته لخدمة الشيوعية والشيوعيين، واستيقظ من سباته وغفلته، وحاول التقرب إلى الدول الإسلامية، قام الشيوعيون في ٢٧ إبريل سنة ١٩٧٨م - ١٣٩٨هـ بانقلاب عسكرى أطاحوا فيه بالرئيس المتهور المخدوع، وقتلوه مع أسرته بوحشية، ونصبوا السيد نور محمد ترهكى رئيساً للجمهورية الشعبية، فأنزل بأفغانستان ألواناً من الدمار، وعلى المسلمين أنواعاً من العذاب. . قام بعمليات القتل الجماعي للطبقات الإسلامية، وبتشريد الأسر الإسلامية في القرى والمدن وبإلقاء الأبرياء من النساء والرجال في السجون والمعتقلات، وبتدمير القرى وإحراق الحقول والغابات لتجويع العباد والدواب، بغرض إخضاعهم لنظام شيوعي متعفن، لا يعرف إلا القتل والتدمير والتشريد والتجويع، ولا يعترف بالرحمة والأخوة والمواساة، ولا يخضع للمبادىء والمثل، نظام يفضل المساواة الإجبارية الشكلية على المساواة الإلهية الإسلامية، نظام دكتاتورى إجبارى مرهق. . نظام شيوعي فاجر ماكر خبيث، يرغم المسلمين إرغاماً أن يكونوا كالآلات الصماء بلا حس وبلا شعور.

مات السيد نور محمد ترهكى الشيوعى في ٩ أكتوبر سنة ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ، بعد أن قتل ثمانين ألفا من المسلمين رجالاً ونساء وولداناً من بينهم عدد كبير من العلماء والزعماء الإسلاميين. وقد حل الرئيس حفيظ الله أمين محل ترهكى، وحكم أفغانستان لشهور معدودات حكماً شيوعياً صارماً في القسوة والوحشية، حتى قتله

(١) الخلق والبرجم: حزبان من الأحزاب الشيوعية في أفغانستان، الخلق يعني الشعب، والبرجم يعني الراية.

الروس مع جميع أفراد أسرته في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ بمشاركة الثعلب الماكر ببرك كارمل الذي تولى الحكم الماركسي بعد قتل سابقه. وقد كان أمين يتفنن في القيام بعمليات التعذيب وإراقة دماء رجال المقاومة الإسلامية، والإعدام الجماعي، وقصف القرى والمدن، ونهب أموال الناس، وتشريدهم. اشتدت المعاناة، وازدادت المحن، وسقطت فيها الآلاف من الرؤوس المسلمة، وأريقت فيها الدماء المؤمنة أنهاراً.

٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ:

جاء كارمل إلى الحكم في كابل محمولا على أكتاف الشيوعيين الروس، وفرضوه رئيساً للجمهورية، ورئيساً للوزراء، وذلك بعد الإطاحة بأمين في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ والاجتياح الروسي لأفغانستان، وقد استمرت في أيام هذا الثعلب الماكر عمليات القتل والاغتيال السرية، أبيد فيها كثير من العناصر الإسلامية، واستمرت كذلك عمليات التدمير والتنكيل بالمسلمين أكثر وحشية، وأشد تنكيلاً.

فقد اشترك كارمل بخسته وخيانته في عملية اغتيال أفغانستان التي اشتركت فيها ست فرق عسكرية من قوات الغدر الروسية تدعمها مئات الناقلات والمصفحات والدبابات والطائرات، دكت الحصون والقصور والقلاع في كابل، ودمرتها، كما دمرت استقلال أفغانستان وحيادها، إن اشتراكه في الغزو الروسى المباشر لأفغانستان واغتيالها نقطة سوداء في حياة هذا الماكر.

في أيام كارمل الماكر اشتدت عمليات إزهاق أرواح الأبرياء، وعمليات القهر والقسوة والعنف الخسيس، راح ضحيتها كثير من المسلمين، وازداد طغيانه النتن على العناصر الإسلامية قسوة وجبروتاً، واشتدت عمليات الضرب والتنكيل، وعمليات التعذيب والغدر بكل وسائل المكر والخديعة، وبكل طرق الخيانة والنذالة والتضليل، كما اشتدت عمليات التشتيت والتمزيق والتفريق بين الشعب. وإثارة الأحقاد الطائفية والرواسب القومية، فقد قام الرفيق كارمل الدساس بدس السم في العسل

بخطبه المعسولة، والشعارات المزيفة للمخادعة والمهادنة، كما قام بمحاولة تطبيق الشيوعية المتعفنة بالشعارات البراقة.

قام باغتيال الفكر الإسلامي بإلغاء مركز البحوث، والصحف، والمجلات الإسلامية، واغتال ركناً من أركان الإسلام بوضع القيود والشروط على فريضة الحج، وتحديد عدد الحجاج الأفغان، أجبر النساء المسلمات على السفور وكشف الوجوه، إلى غير ذلك من عمليات الاغتيال الخلقي والديني بالإضافة إلى عمليات الاغتيالات السرية.

التنظيمات الإسلامية تبدأ الجهاد:

انطلاقاً من المبادىء الإسلامية بدأ الأفغانيون الجهاد، واتخذوه رمزاً مقدساً لكفاحهم ونضالهم دفاعاً عن الحق، وللحق وحده، واتخذوه كذلك طريقاً لمواجهة الإلحاد والاحتلال، انطلق المسلمون الأفغان إلى الجهاد مؤمنين بمبدأ الجهاد لتحرير أرض الإسلام، وصمدوا في وجه نظام ملحد فرض عليهم فرضاً، وقد كان الدين وحده هو الدافع في هذه الحركة الجهادية ضد النظام الشيوعي في كابل.

وقد بدأت كل طبقات الشعب الأفغاني المسلم الجهاد الإسلامي ضد الروس وأعوانهم في كابل، وتحركت الجماهير الأفغانية المسلمة لمقاومة النظام الشيوعى القائم في العاصمة، تقودها المقاومة الجهادية، وأخذت تناضل ضد الأوضاع الجديدة في البلاد. فقد اندفع الكل للعمل الإسلامي بصورة أو بأخرى.. بالهجرة حفاظاً على الدين، أو بالانضمام إلى الحركة الجهادية في الريف والقرى والمدن، أو بالتعاطف والعمل السرى مع المجاهدين، الأمر الذي أضاف بعداً مؤثراً إلى المقاومة الجهادية المسلمة على مستوى أفغانستان كلها.

بدأت الثورة الإسلامية المسلحة بصورة متواضعة في إقليم «كونر» الاستراتيجى، حيث تمكن المقاتلون المسلمون من الاستيلاء على القاعدة العسكرية في «أسمار» واستسلمت الحامية لرجال المقاومة الإسلامية، فقويت بذلك شوكة الجهاد الأفغاني بالسلاح والعتاد والخبرة، وسار الجهاد المسلح قدماً بعد هذه العملية المظفرة بشكل درامي. ثم انتشر الجهاد المسلح في جميع الأقاليم الأفغانية.

ذروة السنام في الإسلام إنما هي الجهاد في سبيل الله، لنشر الدين، ورد المعتدي، وعزة المسلمين، وإرهاب عدو الإسلام، وإرهاب المفسدين الشيوعين. وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، ومكنوا عدوهم منهم. والجهاد بذل غاية الجهد في مقاومة المعارضين للإسلام. والجهاد نوعان.. جهاد النفس وجهاد العدو، ولكل منهما أنواعه ووسائله.

وقد اشترك الشعب الأفغاني في الجهاد بالوسائل التي توافرت لديه، متقيداً في كل ذلك بمنهج الله الذي تقرره شريعته السماوية. وفيما يلي طائفة من المجاهدين الأفغان الذين جاهدوا لإعلاء راية الإسلام في ربوع الأفغان بالدعوة الحكيمة، والكلمة الطيبة، والعبارة الحسنة، والفكرة الصائبة، والنظرة المؤمنة.. بالشعر والنثر.. وقد رفعوا بذلك الروح المعنوية في جيش المسلمين المجاهد.

الشاعر عبد الله غمخور[1]

هو عبد الله بن عبد الودود الملقب بغمخور (الحزين) ولد عام ١٣٠٠هـ ش ـ ١٩٢١م ـ ١٣٣٩هـ. في قرية «بارجام» بمديرية أسمار بولاية كونر[2]، في منطقة جميلة رائعة في أحضان الظلال الوارفة، وعبير الأشجار الخضراء الناضرة، منطقة حباها الله جمالا طبيعيا بديعاً من نهر جار متدفق، إلى واد جميل في تعانق مع جبال خضراء شامخة، منطقة تقع في أعالي ولاية كونر في شرق أفغانستان، يمر بالقرب منها نهر كونر الشهير الذي تحفه ألوان من الأشجار، ويتناثر على جنباته كثير من القرى الجميلة، والأرياف الخضراء.

الشاعر عبد الله غمخور ليس من أغنياء كونر وأثريائها، ولكنه عاش في بيت علم وزعامة، وفي بيئة متوسطة الحال. اشترك والده الحاج عبد الودود، وعمه الشيخ عبد الرحمن في حرب الاستقلال في عهد الملك أمان الله خان الذي أعلنها ضد الإنجليز في الهند، وقد لعبا دوراً حربياً بارزاً في الجبهة الشرقية في «بريكوت» في أعالي وادي كونر، كما كانا يتزعمان أحياناً حركة الجهاد ضد الإنجليز في بعض المناطق القبلية.

(١) تنكيال: وينه به قلم كي ٤٩٨. سنة ١٣٦٨هـ ش.

(٢) مقدمة «لويه هنكامه = الصيحة الكبرى» ٢٨ ـ ٢٩.

وقد عمل الشاعر عبد الله غمخور (الحزين) في الدوائر الحكومية المختلفة وبخاصة في الإذاعة الأفغانية في كابل، وكان لكل ذلك أثر في تكوينه الاجتماعي والسياسي، أمده بشعور العداوة ضد الإنجليز، كما أمده بشعور الإنسانية الرحيمة، وبشعور العطف والشفقة على الناس، وهذه المشاعر تبدو واضحة في شعره[1].

وبالإضافة إلى ذلك فإن شاعرنا عبد الله غمخور يمتاز بثقافة متنوعة تركت آثارها على إنتاجه الأدبي، ونظراته النقدية، ساعدته على إجادة الكتابة وقول الشعر. وإنتاجه الأدبي يجمع بين السلامة والقوة، وبين وضوح الفكرة وعمقها، وبلاغة القول وسهولته، قال عنه الأستاذ خليل الله خليلي شاعر أفغانستان العظيم: إنه شاعر قدير، زود الأدب الأفغاني بمجموعة من شعره النفيس[2]، وقال عنه سيد شمس الدين مجروح وزير العدل الأسبق في أفغانستان، وأحد علمائها وأدبائها المشهورين: يكمن في بحر شعر عبدالله غمخور كثير من الدرر واللآلىء المبتكرة[3]. وقال عنه الأديب هميش خليل الذي حقق وألف العديد من الكتب في الأدب الأفغاني: إن الشاعر عبدالله غمخور يدافع عن هوية بلاده بفمه وقلمه وقدمه. . . . إنه شاعر ومقاتل ومجاهد[4]

هاجر أديبنا الشاعر إلى بشاور بعد التدخل العسكري الروسي المباشر في أفغانستان في أواخر عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، حيث يقول في مقدمة مجموعته الشعرية «لويه هنكامه ـ الصيحة الكبرى»: «وهذه هي السنة التاسعة التي أسعى فيها جاهداً للوصول إلى ضالتي في ميدان الجهاد[5]» وهو يجاهد بنفسه وقلمه، وبالكلمة الشاعرة لرفع راية الحق، وإقامة الحكومة الإسلامية المنشودة.

---

(١) عبد الرءوف بينوا: أوسني ليكوال٢ : ٩٥١ ـ ٩٦١، والدكتور محمد أمان صافي: كونر أرض البطولات وأول الفتوحات٥٠.

(٢) مقدمة «لويه هنكامه= الصيحة الكبرى» ١٠، وأوسنى ليكوال ٢ : ٩٥١.

(٣) مقدمة «لويه» هنكامه= الصيحة الكبرى» ١٢.

(٤) مقدمة «لويه هنكامه = الصيحة الكبرى» ١٥.

(٥) مقدمة «لويه هنكامة = الصيحة الكبرى» ٢٨.

ورث عن آبائه حب الوطن والصلاح، والميل إلى الهدوء الهادف. وسلامة القلب، والإيمان الفطري الذي غذاه بالشعور الإسلامي والوعي الوطني، والثقافة المجاهدة، كل ذلك ألبسه رقة في التصوير، ورهافة في الشعور، ودقة في التعبير، ويمتاز أسلوبه بالواقعية الصادقة، وهو جريء في هذه الواقعية، يعبر عن صدق وتصور متميز، لقد صور حقائق المجتمع الأفغاني أيام الجهاد الإسلامي وقبله تصويراً واقعياً، دون مواراة أو مراعاة، ووجه نداءه الواقعي إلى المسؤولين عن الجهاد أن ينهضوا بالمسؤولية، وحمل الأمانة، وأن يتحدوا إن هم أرادوا النصر على الأعداء.. وفي تشتت الزعماء وإضاعة الوقت والهدف يقول:

لقد كثر الكلام وتعددت الأفواه وفقد الهدف
زادت المؤتمرات وزادت الحكايات وفقد الغرض[1]

ويقول:

لا تسألوا عن جنون الزعامة وهوسها
لقد فقد أصحاب القلوب ما يشغل القلوب[2]

وهو يتعامل مع جيل الجهاد الذي يشارك فيه تعاملاً مرضياً مما رسخ بشكل جيد المفهومات الإسلامية في حياته الوطنية والأدبية، حتى تلك المقطوعات الشعرية التي أنشأها في الموضوعات الوطنية لا تخرج عن الإطار والحماس الإسلامي..

إنني عبد الله ذاهب إلى التضحية بنفسي
لقد ثرت غيرة على الإسلام وغيرة على الأفغان
إنني قد قمت بصيحة التكبير لأجل الإسلام
وقمت بالرحيل مع الأسرة لأجل شعبي[3]

(١) «لويه هنكامه = الصيحة الكبرى» ٩١.
(٢) «لويه هنكامه = الصيحة الكبرى» ٩١.
(٣) «لويه هنكامه = الصيحة الكبرى» ٢٥٤.

ولم تقعد به همته الطموح عن الجهاد في هذه المرحلة من عمره، بل واصل الجهاد مع المجاهدين كما واصل إنشاد الشعر مع شعراء جيل الجهاد. وله في ذلك جولات موفقة بأصالته وسهولة أسلوبه. وقدرته على إبراز المفارقات، وتصوير الوقائع بطريقة محببة.

وقبل الانتقال إلى تقديم وترجمة نماذج من شعره لابد من التعريف بديوانه لنبدأ بعده هذه الجولة في عصر الجهاد ومع هذه الصورة الحية من عالم اليوم الذي نعيشه بكل تناقضاته وقساوته . .

يتألف ديوانه « لويه هنكَامة ـ الصيحة الكبرى» من أربعة أقسام تضمها ثلاثمائة وأربع وعشرون من الصفحات، وهو من القطع المتوسط، يمتاز بطباعة واضحة جيدة، وصفحات بعيدة عن كثافة السطور والكلمات، وهو مطبوع في عام ١٩٨٩م ـ ١٤٠٩هـ. القسم الأول خاص بأغاني الجهاد كما يحلو له هذه التسمية، والقسم الثاني عنونه بالأزاهير الملونة، وفي القسم الثالث رسائله الموجهة إلى عدد من الشخصيات الأدبية والشعبية، والسياسية، يعود بعد ذلك إلى العنوان الأول حيث يختار للقسم الرابع عنوان أغاني الجهاد.

ويلاحظ أن هذا الديوان عبارة عن مقطوعات شعرية نشر بعضه في كتيبات صغيرة بأسماء مختلفة، قام الشاعر بجمعه وضمه إلى هذا الديوان الذي يحتوى على أحدث ما أنشده من الشعر أيام الهجرة والجهاد المسلح ضد الشيوعية والشيوعيين وأذيالهم من العملاء في بلاد الأفغان.

نماذج من شعره :

أثار الانقلاب الشيوعي الدامي في أفغانستان بقيادة الرفيق الراحل نور محمد تره‌كى سخط الأفغان ومشاعرهم الإسلامية وعواطفهم الوطنية، وذلك بسبب قيام الشيوعيين بإراقة الدماء البريئة، وقتل الآلاف من المسلمين الأفغان العزل في جميع أنحاء أفغانستان، وبسبب إبدائهم العداوة والكراهية الشديدتين لكل ما هو إسلامي. ديوان عبد الله غمخور يصور فيه كل ما ارتكبه الشيوعيون من جرائم القتل

والتدمير ، وتشريد الأفغان وتشتيتهم وإرغامهم على ترك البلاد ومغادرتها إلى البلاد المجاورة، وقد بدأ الشاعر ديوانه أو مجموعته الشعرية بالبيتين التاليين من الشعر ليثير بهما انتباه القارىء إلى موضوعات مجموعته الشعرية على طريقة براعة الاستهلال، وقد أطلق على ديوانه اسم «لوية هنكامة ـ الصيحة الكبرى» إشارة إلى الضجة التي أثارها التدخل الروسي في أفغانستان في جميع أنحاء العالم، والبيتان هما[1]:

مرة أخرى ترتفع صيحات التكبير في منارات التوحيد
وضد الإلحاد يتردد إعلان : الثورة الثورة
في حرم محطمى الأصنام تولول شكوى الدين
وعلى أفواه الكبار والصغار تتكرر صيحات: الإسلام الإسلام

نص (١)

اليوم الدامي[2]

وفيما يلي قصيدة للشاعر عبدالله غمخور بعنوان «اليوم الدامي» يصور فيها شكواه المرة المحزنة التي أثارتها مشاهد تلك الجرائم الوحشية التي ارتكبها الشيوعيون في أفغانستان، وفيما يلي ترجمة القصيدة:

كلتا يديه مخضبتان بدمائنا الوردية بوضوح
وكل أسنان فمه الفاغر محمرة بلحومنا
لا تقل : إنها أعلام حمراء للشيوعيين «الخلقيين»
بل إنها ثياب صدورنا الحمراء التي قطعت
ليست قطع القماش وحدها تبدو ملونة بدمائنا القانية
بل الأسواق أيضاً محمرة بدمائنا النازفة الغائرة
إن مصاصي الدماء ممن يعبدون لينين اعتدوا علينا

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى)٣.

(٢) المرجع السابق ٧٦.

فاحمرت البيوت بل القرى والمساجد بدمائنا الوردية

أيها الزملاء، انتبهوا، لكي لاتنخدعوا بشعاراتهم الماكرة

انظر ، فقد نثرت الفخاخ الحمراء في كل خطوة

الأرض والجو، الباب والجدار مطلية بالحمرة القانية

والسجون أيضا ملطخة بالحمرة عائمة في دماء القوم

إن دماءنا الخمرية حلت محل الخمور الحمراء

فقد صبغوا بها الكؤوس في مجالس الشيوعيين

بماذا أخبر العالم عن جرائم هذا الانقلاب الدامي؟

إنه وقع في برج الثور[1]، وأعمال الذئاب فيه تميزت بالحمرة

لا تسأل عن حقيقة الكفر الأحمر لهؤلاء الكفرة الشيوعيين

إنها شعلة من نار التهبت بها الجبال والصحاري فاحمرت

لم يبق في فمي مكان فارغ لصيحات التكبير

لأنه مملوء بأصوات الحداء والتشجيع الملتهب

في وضح النهار تم ذبحي بسيف الروس

وبلسان حالي تشتكي جروحي الدامية النازفة

بائعو الوطن تاجروا بالوطن وعقدوا صفقة لبيعه

لأجل ذلك التهبت استغاثة الضمير الأفغاني حمرة

الآن مات المحراب والمنبر

لأن أعلام الملحدين المعلقة مصبوغة بالحمرة الدامية

إن الظالمين عاملونا معاملة غير عادية . . غير إنسانية

بحيث تلتهب لرؤيتها جراح قلوب الجميع حمرة

التعاسة أصبحت من نصيبك أيها الأفغاني ، ألا تفهم!

لحزنك اصطبغت الرسائل في هذا العصر بالحمرة الداكنة

---

(١) برج الثور : وقع الانقلاب الشيوعي في أفغانستان في السابع من برج الثور عام ١٣٥٧هـ ش الموافق ٢٧ إبريل ١٩٧٨م

نص (٢)

الهجـــــرة[1]

انـــتشر ضجـيج الأنـــين فـــي حدائـــق طيورنـــا[2] الـــخـــضـــراء
وانـــتشر في دورنـــا وقـــرانـــا صراخ مؤلم من شر الـــظلم
أتـــت صرخـــات الـــفـــزع والجـــزع من ظلـــم المـــلحـــديـــن
وزلـــزلـــت الجـــبـــال والـــســـهـــول وارتجـــفـــت بهزات الـــقـــنـــابـــل
اشـــتـــعـــلـــت نيران الـــطلقـــات المـــلتـــهـــبـــة على مســـافـــة كل خطوة
وتـــســـاقط عـــلى كـــل مـــرج مطر الـــدمـــاء الـــقـــانـــيـــة
ســـقط هنـــا فرســـان مضرجـــون بالـــدمـــاء
وســـقط هنـــاك أطـــفـــال كالـــزهـــور مقـــطعـــين إربـــا إربـــا
الـــنســـاء الـــشـــابـــات وضـــعـــن على شفـــاهـــهن الحمـــراء كؤوس الحـــزن
ووضـــعـــن على وجـــوهـــهـــن الـــوشـــوم من دمـــائـــهـــن
لا شيء بقـــي من أزاهـــير الـــدلال في نبـــاتـــات الأزهـــار
أجـــهش بالـــبـــكـــاء لأن الأزهـــار مضـــت أيضـــا ولم يبـــق منهـــا شيء
انـــتشر عـــلى كـــل الـــوطـــن رداء الـــدمـــاء الـــقـــانـــيـــة
إلا أن في كونـــر فرشـــت أريكـــة من الـــدمـــاء الـــنـــقـــيـــة الـــداكـــنـــة
الـــقـــرى والمـــدن ودور الـــضـــيافـــة مهـــدمـــة، وصـــارت الأرض بـــورا
فأصـــبـــحـــت مسئـــولـــية ترحـــيل الأسر إبـــاء وغـــيرة في عنـــق كل شخص
الـــبـــعض صـــار فـــداء لتـــحـــرير الـــوطـــن
الـــبـــعض الآخـــر تخـــلى عـــن الـــوطـــن وتـــشـــرد
وا ! لماذا تشـــتـــت طيـــور هذا الـــوطـــن الـــكـــبـــيـــر؟

---

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ١٠٠.

(٢) طيورنا: قمت بترجمة طوطيان = بيغاوات بالطيور تجاوزا ليشمل جميع أنواع الطيور.

وا ! لماذا تحطمت آمال هذه الأمة العظيمة؟
إنني لم يهدأ لي بال لحظة من حزن هذه المأساة
كان فؤادي يقطر دماء ، ولم تكن عيناي بلا دموع
أصبحت تائها بلا مأوى كالطير بلا عش
أصبحت غريقا في طوفان الظلم والجبروت
فجعلت ظهري إلى قبلتي (الكعبة) طمعاً في العبادة
غادرت البيت إلى الصحراء طمعا في الهجرة
قمت بإغماض عيني عن باب داري عصرا
وفي تلك اللحظة أسرعت في السير برجلي في السهل والجبل
كل الناس كانوا قد غادروا القرى، أنا الوحيد الذي كان باقيا
كنت غريقا في الأفكار باقيا بسبب هذا وذاك
قلت للدار ولقرية بارجام[1]: وداعا
وتساقطت عبراتي حسرة على أسمار[2] ودانجام[3]
وكانت الطائرات تضج بغضب فوق الرؤوس لحظة بلحظة
وانتشرت ألسنة النار كأنها جحيم يضج من غيظ
من ناحية كانت القنابل تتساقط كقطرات البرد في ضوضاء
ومن ناحية أخرى كانت الجبال مغطاة بالثلج فصارت سقرا
في هذه الحال كانت قوافل الهجرة تسير في طريقها
كان البكاء وكان الفراق، وكانت أنهار الدموع جارية على وجوه الجميع
كنت سائرا في الطريق فأصبت بالعمى والصمم من الهيبة
وواجهت الجبال صعودا ونزولا مثل الذين جن جنونهم

(١) بارجام : اسم البلدة التي ولد فيها الشاعر غمخور، وهي في أعالي وادي كونر.
(٢) أسمار: اسم بلدة في كونر بها قاعدة عسكرية فتحها المجاهدون في عام ١٣٥٨هـ ش = ١٩٧٩م.
(٣) دانجام : اسم قرية في أعالي وادي كونر أيضا.

وجهت وجهي شطر «باجور» وقد وصلتها بعد مشقة
وصلتها بخواطري أملا في مواصلة الجهاد الإسلامي
قلت صارخا بأنه قد تدفق سيل الشركْ الأحمر
جاء ودنا ذلك الجزار الذي يقوم بالمذابح الشرية
افتحوا عيونكم في النور . . إنه ثعبان يبتلع الأوطان
يبتلع الأقوام النائمة، والشعوب التي لا علم لها بأخبارها
يدوس الدين والعقيدة بالأقدام، ويقضي على القوميات
ويطفىء شموع الكرامة البشرية ومصابيحها
قوموا، لتستيقظ الذكريات والأمجاد القديمة مرة أخرى
قوموا، لتصحو طوالع «آريانا » النائمة مرة أخرى
انتصبوا ، لنكسب ماء الوجه بهاء السيف مرة أخرى
انتصبوا، لنكسب «العقاب» بالنظرة العقابية (الحادة)[1] مرة أخرى
تحركوا، فقد آن الأوان ليضحي الشيخ والشاب بنفسه
تحركوا ، فإن المسألة مسألة موت أو حياة للمسلم
أصاب لساني كل من هذه الصيحات والصرخات
ومضت مدة مديدة في «باجور» في المؤتمرات والمشاورات
غير أنني بكيت وانحدرت دموعي في كل خطوة من المأساة مرات ومرات
وذلك عندما عقد «منزرى»[2] الآمال والطموحات في حلقة من شبكات الحيل
كانت الذكريات القديمة تذرف الدموع أمامي في كل خطوة
وتصف لي بإسهاب بطولات خان (عبد المتين)
وا ، لم يكن تضرب في «جندول» طبول شهرة يوسف[3]

(١) العقاب: طائر قوي المخالب حاد البصر، يبنى عشه في الأماكن العالية كجبال أفغانستان (آريانا) القديمة.
(٢) منزرى: اسم أحد الأعيان في باجور لكم يذكر الشاعر اسمع الكامل.
(٣) يوسف خان: أمير من أمراء جندول السابقين من أعداء الإنجليز.

لم يكن فيها ذلك الفارس المغوار ، ولم تكن سيوف الفرسان تحارب فيها
كان الوقت (المكان) مناسبا لعمل ضيعه العاطلون في المؤتمرات
كانت البلاد بلاد المروءة والأخلاق استولى عليها التجار بالمال
شاهدت « جندول » كأنه بيت ليس له مالك
لم تكن جندول وحدها كذلك، بل شاهدت الناس في حالة الترمل ينتظرون الموت
فقلت لنفسي: أذهب لأرى مواقع شهامة «خوش حال خان»
ولأشاهد هناك في ارض الأفغان قطرات الدم من قلب التاريخ
تلك الأرض التى كانت تدعى مكان قدوم أحمد شاه[1]وشير شاه[2]
والتى كانت تعد بحق وصدق معسكرا لمحطمى الأصنام
إنها أرض السيوف والدروع، وأرض المروءة والشهامة
إنها أرض الكرامة والعزة ، وأرض أبطال القتال والحرب
فسعدت بمشاهدة ذلك الإقليم
وبدأت أسأل باحثا عن هؤلاء الأبطال
وعلى قدم وساق قمت بزيارة كل ركن من أركان بشاور
شاهدت بعينى رأسى السهول والجبال
فنشرت تراب اليأس فوق رأسى أيها الناس !
ورفعت صرخة هيهات ، وصيحة الاستغاثة عالية
لم أجد ذلك الصقر والعقاب اللذين كنت أبحث عنهما
ولم أجد محمودا وأياز اللذين كنت أبحث عنهما
لم أجد غيورا واحدا حيث إنه لا يوجد الشريك في المروءة أصلا
هناك العديد من الشركاء في المال غير أنه لا يوجد شريك واحد في الحزن
لم يبق من طائر العنقاء إلا اسمه، بل لم يبق هناك شيء يذكر

(١) أحمد شاه: مؤسس الدولة الأفغانية الحديثة، له فتوحات كفتوحات محمود الغزنوي، ومحمد الغوري.

(٢) شير شاه : أحد أشهر أباطرة الغوريين الأفغان في الهند.

كانـت جيوش الـشـهـامـة قد تشـتـت، ولم يبـق هنـاك أي شيء
أصـبـحـت في حرمـي بلا محرم ، وصرت فيه حيرانـا
أصـبـحـت في قومـي بلا قوم ، وبـقـيت بينهـم في حسرة على آمـالـي
أجـلس بينهـم مثـل الـطائـر المـصـاب، وأغـرد بينهـم مستـغيثـا
وأكـرر قصـة الحـزن هذه من شدة الحـزن مرة بعـد مرة
اعـتـمادي الآن على الـلـه ، ثم على الـسـيف فحـسـب
لابـسـا ثـوب الـشـهامـة والـغـيـرة ، وهـذا هو درعـي الـوحـيد
نـــذرت رأســي فـــداء لوطـنــي ولأمـتــي
إنـنـي عبـد للـــه ، أمـــوت فـــداء للإســـلام
سيظل جهـاد المـسـلم مسـتـمـرا ما دام الـعـالم سيظل باقـيا
ومـا دام الجهـاد سيظل مستمـرا فإن ابن الأفغـان العـالي الهمـة سيظل معه
سيصبـح الـعلم الأفغـاني عاليـا بسـواعـد الأفـغـان الـقـوية . .
بسـواعـد إيمان حامـلي الـعـلـم الإسـلامـي الـقـويـة
سيتـم الـبـلـوغ إلى طريق الـكـمال بالـوحـدة الإسـلامـيـة
وسـتـتـحـقـق بها أمنية فؤاد جمال الـدين الأفـغـاني ومحـمـد إقـبـال
وسـأرفـع صيحـة الأذان بالجـذبـة الـبـلالـيـة
وسـأعـلن بشرى الحـياة الجـديدة في هذا الـعـالم مرة أخـرى
وسـتـهـتـز قصـور الإلحـاد بإثـارة الـزلازل وانـتـشـارهـا فيهـا
وسـتـأتـي على «كـرمـلين» ليالي الأحـزان الـسـوداء
سيشرق الـنـور من جبـل الـطـور عالـيا بأيدي الأفـغـان
وعـلى أيديهـم سينـجـو الـعـالم من براثـن ذئـاب لينـين

نص (٣)
لا ترحل[1]

نشبت الحرب في الوطن فلا ترحل يا سويداء فؤادي إلى الغرب
أتت أيام السجال والتنافس فلا ترحل يا عزيزي إلى إفريقيا
تضرب الرؤوس وتقطع في ساحة الكرامة والشرف
فتقدم يا صاحب السيف إلى الأمام ، ولا تتقاعس
قدم نفسك فداء للمحافظة على كرامة الوطن
اجعل نفسك دخان عود فداء وحبا لحرمك ، ولا ترحل إلى الفيفاء
إن الغربة موت بعينه إن كان هناك من يفهم ذلك
بل الموت أفضل من مثل هذه الحياة، فاترك الرحيل إلى مكان آخر
سواء كنت أستاذا جامعيا، أو طبيبا، أو كنت من الأعيان
لا ترحل يا سيدي من ساحة القتال إلى أمريكا
إن الجهاد فريضة مقدمة على طواف الكعبة الشريفة
أيها الحاج المحترم قف ولا تبذل جهدك للسفر إلى المروة
إن في فمي لسان يمنعني، فماذا أقول لك أيها الزعيم
إن ديني ودنياي ينهبان نهبا، فلا ترحل إلى ذلك الميدان
جيوش وحروب من ناحية ، وأخطار من ناحية أخرى
فلا ترحل الآن يا عقابي للنزهة في العالم
إلى متى ستعيش حياة الذل على عتبة الآخرين
فلا ترحل من عتبتك يائسا إلى عتبة أخرى
ابحث الموضوع بدقة فإنه لم يبق لمعالجته إلا السيف
ولا تبذل الجهد للذهاب إلى قصور جنيف من أجل مفاوضات فارغة

---

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ٢٢٢.

إن الجبال والسهول قد غرقت في دمائنا
فافتح عينيك ولا تذهب مغمض العينين إلى لهو الحديث
هدف الشباب في الدنيا إما الحياة الكريمة وإما الممات
فلا تذهب إلى ضوضاء حياة الذل والمسكنة
يا ابن باز وعقاب الجبال الشاهقة
لا ترحل لمشاهدة الحدائق المصطنعة
حذار من الأحياء والشوارع التي لا شعور عند أهلها ولا شهامة
الموت أحسن منها مرات ، فلا ترحل أنت يا عديم الوفاء
خوفا من أن تصبح غدا موضع عار ولوم وتقبيح
قدم نفسك قربانا لصديق، ولا تذهب إلى غير صديق
رسالة قدرك مكتوبة على وجه سيفك
فلا تذهب يا فتى الأفغان لمداراة أحد ومداهنته

لماذا تركتم الجهاد ؟[1]

لماذا تركتم الجهاد أيها الزعماء وبدلتموه
بصيحات ونعرات الاتحاد الاتحاد الفارغة
يا جياع الثروة وعشاق المال اسمعوا القدر
إن دين الأفغان ودنياهم قد ضاعا وضاعا

نص (٤)
نواح من بيت إلى بيت[2]

النواح الذي يهز المجتمعات قد بدأ
أيها الناس، مثل تلك النار قد بدأت في بيتي

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ٢٣٤ .
(٢) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ٢٣٦ .

في منطقتنا اليوم زلزال من الوحشية ..
مذابح بشرية ، جزع وفزع ، فتنة وضجة قد بدأت
إن الذي تخفى الإنسانية وجهها منه حياء وخجلا
مثل ذلك بدأ بنا ظلم وجبروت الظالمين
وكسمر قند وبخارى بدأ بلحومنا
ذلك الجاني والقاتل ومصاص الدماء
ليس الناس فاقدى البصر ، فهم يرون جيدا ويفهمون
من الذي بدأت مطرقته ومنجله برؤوسنا ورقابنا ؟
الذى يبلغ الكبير والصغير، ويقذفه إلى بطنه من حلقومه القاتل
ذلك الثعبان هو الذي بدأ اليوم ببيتنا
العالم يراه ويبصره ، ليست خافية عن عينى أحد
تلك الغوغاء التى بدأ خبرها في كل بيت
الذي ينهب ثروات الشعوب في وضح النهار
ذلك اللص وذلك النهب هو الذي بدأ بثرواتنا
إنه يشرب دماء البشر بدلا من الخمر
وشارب الخمر هذا هو الذي بدأ بمقدسات حرمنا
إنه بعينيه الوقحتين يحملق إلى ثروات الشرق
إن له هدفا آخر ، إلا أنه بدأ باتهامنا لتحقيق هدفه
إن العالم سوف يشاهد أمواج طوفاننا الطاغية
وإن كانت قافلتنا قد بدأت في المنطقة الحدودية ولاهور

نص (٥)

الغيرة والحمية [1]

إنــي عبد للــه ذاهــب للتـضـحـيــة بنــفـسـي
لقــد ثــرت غيــرة علــى الإســلام ، وغــيرة على الأفــغــان

***

إنــنــي قد أطــلقــت صيحــة الــتـكـبـيــر لأجــل الإســـلام
وقــمــت بالــرحــيــل مــع الأســرة لأجـــل شعــبــي
إنــنــي قد أثــرت الــضــجــة والــضــجــر لأجل الــغــيــرة والــسـمــعــة
وقــمــت بتــقــديم هذا الــفــداء والتــضــحــية لتحــقيق هدف سـام
إنــنــي قد نذرت رأســي وقــدمــت ثروتــي قربــانــا لذلــك الهــدف
غيرة على الإســلام ، وغــيرة على الأفــغــان

***

إنــنــي قفــزت إلى ألــســنــة الــلهــب الحــمــراء لإحــقــاق الحــق
وبــســيــف الحــق أقــوم بمــطــاردة الــروس الحــمــر
إنــنــي جعــلت الجــبــال والــســهــول تعــوم في دمــائــي
وقــمــت بســد أفــواه المــدافــع وربــطــها بلحــمــي
إن المــلايين من الأبــنــاء قد ماتــوا في هذا الــســبــيل
غيرة على الإســلام ، وغــيــرة على الأفــغــان
والــبــعض الــذي يقــول : هذه صيحــات عديمــة المــروءة
لماذا تخسر هذه الصيحــات العــديمــة المــروءة المعــركــة ضد كارمــل؟
هل يليق بهم هذا؟ هل تليق بهم هذه الــصيحــات العــديمــة المــروءة؟

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ٢٥٤ .

غيرة على الإسلام ، وغيرة على الأفغان

* * *

بقي الوطن مني بعيدا ، وضاقت بي بشاور
والبيت الذي كنت أظنه بيتي أصبح قبرا
كنت أخفف من حزني فأصبح أكثر قوة وألما
لأن اللوم الآن يوجه إلى يد الصديق
هناك يقتلني الروس وهنا الجواسيس
غيرة على الإسلام ، وغيرة على الأفغان

* * *

بلا سبب أيها الناس يمن عليّ في كل مكان
وبلا ذنب يقبض عليّ في الشوارع والأزقة
لا ذنب لي غير أنني أشقى بسبب الهجرة
بسبب الهجرة يسجن منا بالمئات بل بالآلاف
خرجت من السجن ثم دخلته مرة أخرى
غيرة على الإسلام ، وغيرة على الأفغان

* * *

ما هذا المأوى ، وما هذه المواساة !
ما هذا التعامل ، وما هذا الشعور بالألم !
ما هذه الأخلاق .. عداوة هي أم أخوة ؟
ما هذه الشهامة .. أإسلامية هي أم قومية!
أخذتني الأفكار ، وفي حيرة من هذه الأعمال
غيرة على الإسلام ، وغيرة على الأفغان

* * *

ليس في استطاعتي التراجع عن عزيمتي بالتهديدات
ليس في إمكاني الصبر على عدم الدخول في معركة السمعة والغيرة

إنني ذلك الأفغاني الذي لا يتبدل ولا يتغير أبدا
ليس في وسعي التنازل عن حرية بلادي
هذا هو شعاري ، وهذا هو ديني وإيماني
غيرة على الإسلام ، وغيرة على الأفغان

* * *

اسمع ، إنني مهاجر ولست بلاجيء
أنا غريب في هذه الديار أيها المجاهد
وقد جربت الحوادث وعرفتها صابرا
وأنا على استعداد للإيثار في كل حين
السيف في يدي والقرآن فوق رأسي
غيرة على الإسلام ، وغيرة على الأفغان

* * *

نص (٦)
تهنئة للشعب في كونر[1]

فتحت كونر ببطولتك فلك التهنئة
أتممت البطولة الكبرى فلك التهنئة
كونر التي كانت تسمع فيها أصوات المدافع صباحا ومساء
وتشتعل فيها نيران الصواريخ على الدوام
ويغطيها غبار نيران قنابل الدهشك والزيجاويك
وكانت غارات سيوف المجاهدين البيضاء تستمر فيها
وقد تشتت فيها هؤلاء الملحدون ، فلك التهنئة
وقد طهرت كونر يا سويداء فؤادي ، فلك التهنئة

* * *

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ٣١٨.

تم فتح أسمار فعمت الفوضى صفوف الشيوعيين
وجاءت على «جغه سراي» موجات نزع الروح الشديدة
وعلت على «سركانو» و «پشد» موجات الحزن والألم
وسال على جبين «كونر السفلى» و «سوكى» العرق خوفا من الموت
وقد انتصرت في كل خطوة أخذتها ، فلك التهنئة
وانحنت لتحيتك السهول والجبال ، فلك التهنئة

***

وقد أنقذت كونر من براثن الروس بسيف الإسلام
وعم الأمن والأمان لهذا البيت بسيف الإسلام
وبدلت الحالة السيئة بحالة أفضل بسيف الإسلام
ورفعت راية الإسلام عالية بسيف الإسلام
أنت كالخندق الحربي للجهاد الإسلامي ، فلك التهنئة
أيها الشعب المجاهد في كونر ، لك التهنئة

***

يا باز الجبال الشامخة توجه الآن إلى ننجرهار
ثم توجه واحدا بعد الآخر إلى كل من «خوكيانى» و «شنوارى»
وأذهب إلى لغمان وتعرف على أحوال الحرب هناك
وتعرف على أحوال أسود «أليشنك» و «ألينكار»
يا شمس سماء الشرق في الأفغان ، لك التهنئة
أصبحت أقدامك فوق الجميع ، فلك التهنئة
وكما كنت مقدما في الجهاد ، أصبحت مقدما في الانتصار
ولذلك فقد انتصرت لحظة بلحظة في كل خطوة أخذتها
فأصبحت أنت بنفسك بلسما لجروحك اليوم
فقد أصبحت من أجل ذلك في مقدمة المتنافسين الشرفاء
حفظك الله من نظر السوء يابصري، ولك التهنئة

أيها الدرع الواقي لسيف الشهرة والغيرة، لك التهنئة
تحررت كونر فتجددت أمواج نهر كونر
تمددت الأيام والليالي ، وتجدد التهامس
وتجددت الولولة في حرم الباكين في الأحزان
وتجدد النسيم في أوراق الزهرة المتساقطة
أيها الفجر الجديد للحياة الجديدة ، لك التهنئة
لقد نفذت البطولة الكبرى ، فلك التهنئة

طرد الروس[1]

أحدث سيفك وقع رجع الصدى في العالم بورك فيك
وأخرجت الروس من ترابك الطاهر ، بورك فيك
فأصبح بذلك دور «آريانا» التاريخي مفتوحا يا ابن الأفغان
كيف أمكنك التغلب على هذا المارد ، بورك فيك

الشيخ الشاعر عبد الباري غيرت (٢) :[2]

هو عبد الباري بن الشيخ يار محمد الشهير بلقب «غيرت» كان والده الشيخ يار محمد من العلماء الذين اشتركوا في تدريس الأحاديث النبوية الشريفة في أفغانستان. وعمل مدرساً في كل من كلية الشريعة، وكلية الحقوق بجامعة كابل، وبمدرسة دار العلوم العربية، ومدرسة القضاة في كابل، وكان لكل ذلك أثره في تكون شخصية الشيخ الشاعر عبد الباري غيرت.

ولد الشيخ عبد الباري عام (١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م) بولاية وردك، ومن خريجي كلية الشريعة بجامعة كابل، وعمل بعد التخرج في كل من السلك القضائي والإعلامي بوزارة العدل الأفغانية، كما عمل مدة أيام حكم الشيوعيين في كابل،

---

(١) لويه هنكامه (الصيحة الكبرى) ٣٢٤.

(٢) تنكيال: وينه به قلم كي ٧٩٦.

وكان يتعاون مع المجاهدين أثناء ذلك. وأخيرا تمكن من الهجرة إلى بشاور والتحق هناك بركب الجهاد، وأصبح عضوا في الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان.

بالإضافة إلى ديوانه المؤلف من ثلاثة أقسام له آثار ومؤلفات أخرى نذكر منها:

١ ـ شرعي حدود أو د. تولونو تنظيم (الحدود الشرعية وتنظيم المجتمعات).

٢ ـ أفغانان أو د. إسلام خبريدل (الأفغانيون وانتشار الإسلام).

٣ ـ عربي صرف د. أومو تولكيو (قواعد الصرف العربي للمدارس الإعدادية) مترجم.

٤ ـ به أفغانستان كى ليدلى حالات (الحالات المنظورة في أفغانستان).

٥ ـ د. مسلمان أفغان فرياد (أنين الأفغاني المسلم).

٦ ـ أفغانستان آزاديجي (أفغانستان تتحرر).

٧ ـ الفاجعة (باللغة العربية).

٨ ـ غزا (الجهاد).

وله مؤلفات أخرى كثيرة باللغات الأفغانية والدرية والعربية والأردية مطبوعة وغير مطبوعة، ويلاحظ أن أكثر هذه الآثار عبارة عن كتيبات صغيرة، وبالإضافة إلى ذلك له ترجمات من العربية إلى الأفغانية، فقد كان شاعراً وناثر يجيد اللغات الأفغانية والدرية والعربية والأردية.

قول الشعر :

بدأ «غيرت» قرض الشعر وإنشاده في سن مبكرة من عمره، وعندما أدخله والده مدرسة دار العلوم العربية في كابل طلب من المدرسين أن يوجهوه في شعره توجيها دينيا مما يدل على إنشاده الشعر قبل أن يلتحق بالمدرسة الثانوية.

ديوانـه :

طبع ديوانه باسم: «شكلى أشعار = الأشعار الجميلة» سنة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) وهو عبارة عن أربعة أقسام، القسم الأول بعنوان «خوناب = الدم» والقسم الثاني

بعنوان «انقلاب ـ الثورة» والقسم الثالث بعنوان «نوى شعر ـ الشعر الجديد» وعنوان القسم الرابع «كمونيستى اصطلاحات ـ المصطلاحات الشيوعية» ويبدو لي أنه قد قام بنشر كل قسم من هذه الأقسام في شكل كتيبات ليسهل عليه عملية الطبع والنشر، ثم قام بنشر هذه الكتيبات الصغيرة في كتاب أو ديوان واحد باسم «شكلى أشعار = الأشعار الجميلة».

ورق الديوان رديء شأنه في ذلك شأن أكثر الكتب الأفغانية التي يتم طبعها في ظروف الحرب والقتال الإسلامى، وكتابته جيدة واضحة جلية وخالية من الأخطاء تقربيا، ومن أكبر عيوبه أن الشاعر قد أهمل شيئا مهما في ديوانه وهو البيان الخاص بالمحتويات «الفهرس» ولعل ذلك لصغر حجم الديوان الذي لا يتجاوز ١٩٦ صفحة من القطع الصغيرة.

موضوعات الديوان :

كل الموضوعات والأغراض الواردة في «الأشعار الجميلة» جهادية نضالية أو دينية إسلامية، حتى الموضوعات السياسية التي صورها الشاعر في قصائده القصيرة أو في مقطوعاته الشعرية لا تخرج عن أحد هذين الإطارين الجهاد المسلح، والدفاع عن الإسـلام. وقد صور الشاعر هذه الموضوعات بأسلوب شاعر متمكن من الموضوع والصـورة، أو من الشكـل والمضمـون، ويتمتـع بقدرة فائقة للتعبير عن الموضوع وتصويره بأسلوب يناسب شخصيته الثقافية والأدبية، يكثر عند اللزوم من الكلمات العربية والدرية بحكم العقيدة والثقافة.

يدعو الشيخ الشاعر عبد الباري غيرت إلى الجهاد المسلح لطرد الروس وأعوانهم من أفغـانستان وقيام حكومة إسلامية، كما يدعو ـ لتحقيق هذا الهدف ـ إلى إثارة الشعـور العـدائي ضد الـروس المحتلين وضد أعوانهم من الشيوعيين وإلى إعلان الكراهية ضد الشيوعية والشيوعيين بصفة عامة.

نص (٧)

من سالنك[1]

تذكروا طوفان الأفغانيين الجارف
فقد نهضوا يدافعون عن شهامتهم
هناك في «شيبر» و «ما هى پر » هزات تزلزل الأرض
وترتفع أصوات الرعب من سالنگ
فقد قمتم بقطع شرايين قلب الشيوعية من الجذور
ففداء أيها المجاهد ومرحبا بما تفرضه من الإتاوة
سننتقم اليوم من عدونا
إن كنا قد انتقمنا من الإنجليز بالأمس
قد تجمع الشيوعيون في كابل وحدها
فقد ضيقتم الساحة على العدو كثيرا
يا أهل الدنيا ، ليس هناك عمال ولا فلاحون
تذكروا الحرب الدائرة بين الإسلام والكفر

فاجعة مرة[2]

أذكر اليوم الثالث عشر من شهر رمضان
عام ألف وثلاثمائة وتسعة وخمسين (١٣٥٩هـ ش)
كان يوم الجمعة التاسع من برج الأسد
فقد نشبت الحرب الدامية في « وردکَ »
بين المجاهدين المسلمين من ناحية

---

(١) شكلى أشعار (الأشعار الجميلة) ١١ .

(٢) شكلى أشعار (الأشعار الجميلة) ٨٧ .

وبين الشيوعيين الخونة والروس من ناحية أخرى
وفي كل من « تنكى » و «شنيز» و «خوات»
بدأت أصوات قذائف المدافع بشدة
وكانت معها مدرعات العدو
ومن الجو بدأت الطائرات تقصفها بالقنابل
وترش على المجاهدين الغاز السام أيضا
وقد أحرقت بذلك كل من أصابه ، والويل لهذا الخائن
وكانت تقتل الأطفال والنساء والشيوخ
وكذلك الأغنام والحمير والأبقار قتلا ذريعا
ذهبوا بكل ما كان في البيوت من الأموال
نهبوا مخازن السمن الطبيعي ، والملابس والسجاجيد
وقد بدأ المجاهدون هجماتهم عليهم أيضا
فأصابوهم ، فأصبحوا بين عرجان وعميان وقتلى
وبسبب ما أرتكبته يد العدو احمرت من حرارة النار
« كوربت » و « آب دره » و « سالار » على السواء
وقد ترك المجاهدون دية هؤلاء جميعا
كذكرى في تاريخ الأفغانيين
لم يستسلموا للعدو إلى آخر رمق من حياتهم
حتى اكتسبوا سمعة طيبة في المفاخر
يمتحن الأفغان دائما بالابتلاء
ماذا أقول في الشكوى من بشاعة هذه الأعمال
لن يكون قد مضى ربيع العمر بعد
حتى يذبل كل زهرة تبتسم في الربيع

نهـر كونر[1]

يـا نهـر كـونـر ، يـا نهـر كـونـر
إنـني جالس بالـقرب منـك بمـزيد من الحـب
أرى فيـك قطـرات الـتـوحـيـد
فقـد أتـيـت بـدم الـشـهـيـد

حبيب الله رفيع[2] :

هو حبيب الله بن نصر الله نقشبنـدي الملقب برفيع، ولـد في «وردك» سنة ١٣٦٤هـ، ١٣٢٤هـ ش ، ١٩٤٥م، وقـد تقلب في الأعمال الإدارية المختلفة في الدوائر الحكومية، وبخاصة في الدوائر الآتية . . التأليف والترجمة، أكاديمية التاريخ، أكـاديمية الفلكولور والأدب، أكاديمية البشتو، مركز اللغة البشتونية، والأكاديمية الأفغـانية للعلوم، وهـذه كلها مؤسسات علمية وأدبية وتاريخية تركت أثرها الثقافي والأدبي في أدبه . . شعره ونثره.

له مؤلفـات كثيرة في الدين والتاريخ والأدب، ألف حتى الآن أكثر من خمسين كتاباً، وأكثر من خمسمائة مقالة، وله عدد من المؤلفات لم تطبع بعد، وقد اشترك في كثير من المؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية.

يعيش الآن في بشاور مهاجراً كغيره من ملايين الأفغان الذين تركوا ديارهم هربا من الاضطهاد الشيوعي في أفغانستان، ويحارب أعداء الإسلام بقلمه وكلمته.

بدأ قول الشعر وعمره أحد عشر عاما، وهو ناثر وناظم، يتذوق الأدب الأفغاني لجماله وكماله، وهو من عشاق هذا الأدب في أعذب صوره وأشكاله، ومن شجاعته الأدبية، ومغامراته الجريئة ، وثقته بالنفس والأدب، ومكانته في الثقافة الأفغانية أنه نال حظه من الاحترام والوقار في العصور الثلاثة التي مرت بالبلاد . . العصر الملكي السابق. والعصر الجمهوري الهالك، وفي زمن الجهاد في العصر الحاضر.

(١) شكلي أشعار (الأشعار الجميلة) ١٥٤.
(٢) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ٢٢٢

قوة أدبـه :

وقوته الشعرية والأدبية في تقديري تعتبر ثمرة للصحوة الجهادية في البلاد الأفغانية، وحـركـة الـوعي الإسـلامى التي استطاعت أن تحيي في نفوس الأفغانيين الحماس الإسـلامي للقيام بالجهاد بالنفس والمال والقلم، ومن هنا نرى في شعره صوراً من الرمز، والإيحاء، والإشعاع والأمل، والإيمان بالنصر. كما نرى فيه صوراً من الخبرات والثقافات، وهذه سمة رائعة من سمات أدبه وشعره الذي تغذى بهذا كله في مراحل حياته المختلفة، ومن هنا نرى أن شعره الجهادي يحرك في داخل النفوس البحيرات الراكدة، ويشعل النيران الخامدة، وسلاحه في ذلك الكلمة الهادفة الطيبة في الشعر الرصين، والنثر المتين، وهو يحرص كل الحرص على مضمون شعره النابع من القيم الأفغـانية الإسـلامية العريقة، ويجعل من ذلك المضمون ومن شكله الفني نسيجا واحدا معبراً أصدق تعبير عما يجري في بلاد الأفغان من المطاحنات والصراعات.

أدبـه الإسلامي صور جميلة نامية متطورة، فيها الاستجابة الصحيحة والدقيقة لواقع الحياة بما فيها من استغاثة وقوة وضعف، ومادة وروح.

إن أدبه ـ ككل الآداب ـ كائن حي له قلب نابض ، وضمير واع، وله هدف بل أهداف معينة، يتألم لما يتألم به الأفغان، ويفرح لما يسبب الفرح والسرور للأفغان، وأدبه ـ كغيره من الآداب ـ من أكبر وسائل الوصول إلى الأهداف النبيلة للأفغان، إنه يتمتع في أدبه ـ نثره وشعره ـ بعذوبة العبارة، وخفة الروح، وتنوع المادة، ودقة المعنى، ورقة الترسل، ورشاقة الشكل، وروعة الأسلوب، ورواء اللغة وغزارة الثقافة، وتعدد الاتجاهات.

فن الشعر :

شعره بليغ يتدفق قوة وحماسا، ويسيل رقة وسهولة، وسلامة ورصانة، وكأنه شلال يتدفق بقوة، وينحدر بشدة، وفي شعره الإسلامي صور صادقة بصلاحية الإسلام ليس للبقاء فحسب بل للقيادة العالمية ، بجانب ما يصور فيه من الحماس الزائد للأفغان.

آثاره :

يصل عدد آثاره المطبوعة والمنشورة بين الكتب والكتيبات والمقالات إلى أكثر من ستين بحثا[1]. نذكر منها ما يناسب موضوعات أدب الجهاد الأفغاني في العصر الحاضر:

١ ـ كَلي أو كَلولى (البرد والرصاص) مجموعة شعرية .

٢ ـ بريش (البرق) .

٣ ـ خوب (الاشتياق) منظومات جهادية (تحت اسم مستعار) .

٤ ـ ملى مسائل (الموضوعات الوطنية) بما فيها الموضوعات الجهادية (تحت اسم مستعار) .

٥ ـ خدمات السيد جمال الدين الأفغاني في أفغانستان .

٦ ـ أورونه أو ويرونه (النار والنواح) .

٧ ـ د. شمال د. خوا شمال دى (عاطفة من الشمال) .

٨ ـ زندان (السجن) مجموعة شعرية .

٩ ـ د. وينو بهير (قافلة الدماء) مجموعة شعرية .

١٠ ـ أنجام (النهاية) .

١١ ـ شاه شجاع أو ببرك د. تاريخ به تله (شاه شجاع وببرك في ميزان التاريخ) .

١٢ ـ وحشيانه تيرى أو شرميد لي ماته (الاعتداء الوحشي والهزيمة النكراء) .

مختارات من شعره :

نص (٨)

مطـر الدمـــاء[2]

أيتـهـــا الـسـمـــاء اسـمـعـــي ولا تمطـــري الـغـيـــث
فعـنـــدي إلـى الآن أمـطـــار مـــن الـدمـــاء

---

(١) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ٢٣٤ ـ ٢٤٢ .

(٢) كلى أو كولى (البرد والرصاص) ١٠١ .

لا أرغب فيما تنبته الأرض من شقائق النعمان
فعندي جراح زهرة الشهيد

***

أيتها السماء اسمعي ولا تمطري الغيث
لأنني أربي أزاهير الوطن بالدماء
سأجعلها مرتوية بدماء الجسد
سأحافظ على أزاهير الرياض ناضرة

***

أيتها السماء اسمعي ولاتمطري الغيث
إنني أمطر البرد على رأس العدو الغاشم
لأنه نظر إلى عزيزتي نظرة احتقار وغدر
وأمطر الطلقات النارية على عدوي الأحمر

***

أيتها السماء اسمعي ولاتمطري الغيث
فعندي إلى الآن أمطار من الدماء
أقوم ببناء الطوفان أمام فرعون الزمان
ومازال لدي أمواج طوفانية في جيحون

***

نص ٩

الطريق المرصوص[1]

عندما هبت على الوطن الريح الشديدة
صار الخراب والدمار في كل ناحية

---

(١) كلى أو كولى (البرد والرصاص) ١٢٨.

النهار نور، والليل ظلام أسود في العالم
إلا أن نهارنا، وكذلك ليلنا أصبحا محمرين
إن آمال حياتنا فنيت في عنفوان الشباب
لاتبدو حجلة العروس، بل النعش في كل ناحية
فتحات الصدر من القمصان قد شقت حتى حواشيها
وأهمل حديث الكفن. فقد صار من القصص القديمة
إن العرش العظيم ينثر عليه قطرات النور من السماء
عندما تحول دم الشهيد في الخندق إلى مشكاة
تغلبت أنهار الدماء على الدموع
فأصبحت قافلة الأحزان جدا مثقلة
إن الحرية ستسير عليها مرفوعة الرأس يا رفيع
حيث إن الطريق أصبحت مرصوصة بالرؤوس المرفوعة

عاصفة من الشمال[1]

انتشر على أرض الأفغان الطاهرة غبار جديد..
من أفواه المدافع والدبابات والبنادق والقنابل
عاصفة من الشمال تتحرك وتتعجل في غضب
نحو قرى، ودور، وبساتين شعب حر أبي
إنها مدافع الاستعباد، بل مدافع التدمير والتخريب
تريد أن تدمر قرانا، وتريد أن تخرب منازلنا
تنوي أن تخلع شجرة الحرية الجميلة من أساسها
التي سقاها آباؤنا بأنهار من أمطار الدماء
إنهم إنجليز العصر الحديث. إنه استعمار الروس الأحمر

(١) كلي أو كولي. (البرد والرصاص) ١٤٣.

في حلاوته مرارة وفي نعومته خشونة
سبق الإنجليز في ذلك، غير أن له مكرا من لون آخر
ليس على لسانه ما قرره داخل قلبه
يقوم بتربية ثعابين الأكمام في أوطان الشعوب
في إمكانه أن يجعل المسرح ساخنا حيث أنه ساحر ممتاز
يزين الشيء بقطع حمراء، ويأمره بالرقص في المسرح
فيجمع الأغبياء حوله، وهذا هو سره الاستعماري

***

شعاره توفير المنزل، والملبس والخبز ليخدع الجياع
فتفيض أفواههم بالماء عند ورودهم ماءه
وعند عومهم في هذا النهر الأحمر يذهب بكل شيء منهم
وعندما يتنبهون لأنفسهم في هذا الوقت، يقولون: التوبة التوبة

***

في هذا الزمان جاء هذا اليوم على وطنكم أيها الأفغان
فقد أطلق فيه ثعابين حمراء من البشر في ساحة السياسة
يرقصون على طبلة الروس يتلقون حينا ويستنهضون حينا
ينشرون السم في الوطن، إنهم أعداء عديمو الرحمة

***

قاموا بتبديل لونهم، وفي كل أعمالهم مكر
قادم في طريق جديد، إنه استعمار العصر
لاتغرنك ألوانهم، فافضح مكرهم وخداعهم
يابطل . . . يا أمة الأفغان، إنها فرصتك، إنها فرصتك

***

يا ابن التاريخ المقتدر، جدد بطولتك مرة أخرى
لئلا يذهب منك أعداؤك، برؤوسهم أحياء
سيسقطون بضربتك، وسينتهون بسواعدك
وجه إلى رأس الاستعمار عدد من الضربات القاتلة

* * *

إنني لواثق، إنني لواثق من أن الحر لايقبل العبودية
فقد نهض وتحرك عشاق الحرية كالفراشات
ثار الأفغان، ونظموا الصفوف للنضال مرة أخرى
وقدموا إلى ساحة الوغى فدائيي الحرية

* * *

مرة أخرى امتلأت الخنادق، واتخذت الخنادق في الجبال ثانية
ومرة أخرى قتال بالبنادق، وبالسيوف والمناجل
ومرة أخرى لقاء تنافس قتال بين المدافع والدبابات والقنابل
وبين الفؤوس والمناجل والأحجار وقبضات الأيدي

* * *

مرة أخرى تصلنا أخبار تضحيات الشعب البطل
أخبار بطولة الأفغان وشهامتهم وانتصاراتهم
يستولون على المدافع بالبندقية، وعلى الكتائب بالسرية[1]
يقفزون على الدبابات بيد خالية، ويمسكون الروس من أعناقهم

* * *

مرة أخرى جعلوا الأرض ملتهبة أمام استعمار العصر الأحمر

(١) وعلى الكتائب بالسرية: السرية أصغر من الكتيبة.

جعلـــوا الـــروس الحـمـــر يواجهـــون مصـير الجيـش الإنجلـيزي[1]
لـيس فـي إمكـانهم ـ إن شـاء الله ـ أن يرفعـوا رؤوسهـم ثانيـة
فقـد ضربـوا ثعـابـين الأكمـام الحمـراء بضربـة عمـل قاتلـة

***

يقـدمــون رؤوسهــم فــداء بالـرضــا والســرور
لايتنـازلــون عــن الوطــن، يضحــون برؤوسهــم عـن كـل شبـر
فيصــبـح ذا رونــق، مخضــرا، عامــرا، منــبـتــا غضــا
يفـرقونهــم فــي سيــول حمــراء مهلكـــة مــن الدمــاء القانيــة

***

إنني لعلـى يقـين. إنني لعـلى يقـين بأن العبـودية تسـير إلى النهـايـة
وقـد اقـتربت الآن ـ أيها الشعـب البطـل لحظـات الاستقـلال والحريـة
إن النتــائــج في طريقهـــا إلــى الـظهــور خــلال أيــام وليــال
نتــائـــج بطولـــة المجــاهـــد، وتـضحــيـة الشهـــيد

الثورة الناجحة[2]

كـــل أفــغـــانـــي كـــان مســـرورا سعـــيدا فـــي داره
بشـروتـــه . . وبـالخســـارة والمـنـفـعـــة فيهـــا
كـــان يتمتـــع بالتحكـــم فـــي حياتـــه العـاديـــة وداخـــل داره
لـــم يكـــن يتأخـــر عـــن التطـــور إن لـم يكــن تقدمـــه فيـــه
لـم يكـن مســلـوب الاخـتـيــار، وكــان وطـنــه مالــك حريتــه
حكـامـــه وإن كانـــوا غـــير محمـوديـــــن إلـــى درجـــة مـــا

---

(١) مني الجيش الإنجليزي في أفغانستان بالهزيمة ثلاث مرات. . مرة في حرب عام ١٨٣٨م، ومرة أخرى في حرب عام ١٨٧٨م، ومرة ثالثة في موقعة ميوند الشهيرة عام ١٨٧٩م.

(٢) كلي أو كولي (البرد والرصاص) ٢٠٠.

كانت ظهورهم منحنية لعبادة ربهم
ما كانوا يحملون حمل الآخرين في الوجود
كان نصيبهم الفخار بالمكارم وعلو الهمة
كان الجميع سعداء بحياتهم وبوطنهم
يصيحون في وجه العقبات ويتقدمون إلى الأمام . .
إن كانوا يسعون نحو تحسن الأحوال
غير أن عددا من الخَلف السيء ظهر من بينهم
قام بهدم حدود العقيدة المتينة
ترك طريق الإسلام والأفغان
واتبع الروس المنبوذين، ولينين المنبوذ، وهم منبوذون
جنون الحب في الوصول إلى كرسي الحكم والقدرة
جعلهم محشورين محصورين في حلقات الآخر
اصطنعوا هرجا ومرجا دمويا في ربوع الوطن
وجعلوا يوم داود ظلاما وقت الليل
وأمسكوا بأمواج الإذاعة في أيديهم
ونزلوا من الدبابات والطائرات الروسية
وفتحوا طورا بربريا وحشيا في البلاد
وزجوا بجميع الأحرار في السجون
وقاموا بقتل كثير منهم في السجون والمنازل
ووضعوا قيودا مشددة على الأحياء منهم
وبأمر سيدهم الروسي أشعلوا البارود في جميع أنحاء البلاد
وكانوا يقولون: اتركوا عبادة معبودكم بعد اليوم
إن الروس سادتنا، وهم معبودنا
غير أن الشعب المؤمن متى كان في إمكانه أن يقبْل هذا
ليؤمن بالروس ويترك الرب الودود

من ناحية كان هناك «الخلقيون» أبناء الروس
الذين لم تكن لوحشيتهم ثغور ولاحدود . .
كانت الطائرات والقنابل والدبابات (تعمل بنشاط)
كانت النار مشتعلة في كل الأنحاء ، وهي مغطاة بالدخان
تهدمت المنازل، والقرى، والمدن
وكان الجنود البرابرة منتشرين في أنحاء البلاد
أتوا بعدد غير محدود من الروس إلى البلاد
إلاأنهم أطلقوا على ذلك اسم جيش محدود
ارتكبوا هنا المظالم والأعمال الوحشية بشكل
لم يقم بها فرعون ولا نمرود
وبيضوا بذلك وجه تاريخ كل من جنكيز وهولاكو
وبرأوا أمام التاريخ كلا من هتلر واليهود
لم يمتنعوا من قتل النساء والشيوخ من كبار السن
ولم يتركوا الشباب، ولا حديثي الولادة أحياء
أقاموا المذابح العامة في كل أنحاء البلاد
وتجاوزوا الحدود في التخريب والتدمير
وبلخ التي كانت زينة كأس جمشيد
وكانت ترفرف عليها الرايات المطلية بالذهب
ومدينة «مزار» التي كانت مدفنا لأسد الله الغالب
وكان يصل فيض عوده إلى كل الأنحاء
وكندهار التي كانت عاصمة أحمد شاه[1]

(١) أحمد شاه: أحمد شاه دراني أو أحمد خان مؤسس الدولة الأفغانية الحديثة. راجع لمعرفة تاريخه وشخصيته وأدبه ص ١٨٨وما بعدها من هذا الكتاب.

والـتـي ربـــت كـــلا من ميرويـــس[1] ومحمـــود[2]
وغـزنـه الـــتـي كانــت تاجــا فــوق جبيــن المــدن
والتي كانـت عاصمـة كـل مـن السلطـان محمـود ومسعـود[3]
فقـد دمـــروا كل هـذه المـدن بالـقـنـابـل والمدافـــع
وقـضـــوا فيهـــا علـى كل علامـــات الحيـــاة وآثـــارهـــا
غـــير أنـه من ناحيـــة أخـــرى كـــان الأفـغـــان المسلمـــون
الـذين لـم يوافـقـوا على مبـدأ الإلحـاد، ولا علـى الـقـيود
والـذيـــن عاشـــوامرفوعـــي الـــرؤوس على مــدى التاريـــخ
والـذيـن طـــردوا كـــل الأعــــداء بالـــسـجــــود للــــه
لـم يتـحـمـلـــوا أي اعـتـــداء علــى البـــلاد
ولـم يطأطئـــوا رؤوسهـــم المـرفـوعـــة لأي جبــــار قـــوي
بـــدأوا ثورتهـــم الـنـاجـحـــة بأيـــد خاليـــة من الســـلاح
وحـطـمـــوا الخـمـــور والجـمـــود بثـورتهـــم
ووجـهـــوا ضربـاتهـــم إلـى الـعـــدو الـوحـشـــي
وحـافـظـــوا على دينـهـم بقـيمـــة وجـودهـــم

(١) ميرويس: هو ميرويس خان بن شاه عالم خان الهـوتكي، زعيم أفغـاني من زعـماء القبـائل الغلزية في كندهار، ولد سنة ١٦٧٣م. وتـوفي سنة ١٧١٥م. وكان عمره عند وفاته ٤١ سنة. تزعم حركة طرد الصفويين من غرب أفغـانستان، فقام بقتل الحاكم الصفوي كوركين الكرجي، وقضى على الحامية الصفوية في كندهار بمساعدة القبائل الغلزية التي ينتمي إليها. وحكم من سنة ١٧٠٩م إلى ١٧١٥م. بعد أن أسس الدولة الهوتكية المستقلة في أفغانستان.

(٢) محمود: هو شاه محمود خان بن ميرويس خان، حكم أفغانستان وجزءا من إيران بعد وفاة أبيه من سنة ١٧١٦م إلى سنة ١٧٢٥م، واستولى على جنوب ووسط إيران بما في ذلك أصفهان سنة ١٧٢١م. وكان عمره حينذاك ٢٥ سنة واضطر شاه حسين الصفوى إلى وضع التاج على رأسه، وزوجه ابنته، وتوفي في أصفهان سنة ١٧٢٥م. وكان عمره وقت وفاته ٢٨ سنة. وقد رثته شقيقه زينب بقصيدة حفظها لنا محمد بن داود خان الهوتكي في كتابه بته خزانه= الكنز المكنون.

(٣) مسعود: هو السلطان مسعود الأول بن السلطان محمود الغزنوي، تولى الحكم في أفغانستان بعد وفاة أبيه محمود سنة ١٠٣٠م، وقتل سنة ١٠٤١م

فسلام على مثل هؤلاء الشجعان الأبطال .
ولهم تعظيم وتكريم وتقدير، ودعاء وثناء

قائد جبهة بلخ الشهيد ذبيح الله[1]

من أجل الدين الإسلامي . ولوجه الحق
سرت في طريق الوطن الإسلامي فصرت فداء
تقبل الله تضحيتك وفداءك أيها البطل
كنت ذبيح الله، فأصبحت ذبيحا لله

حب الإنسانية ادعاء[2]

الذين يقومون بهدم مساكن العمال
والذين يقومون بإحراق حقول الفلاحين
والذين يقومون بنهب أموال الكادحين
والذين يقومون بقطع رؤوس الأطفال
والذين يقومون بقتل النساء والشيوخ
والذين يقومون بقتل الأفغانيين المظلومين
هذا هو عمل هؤلاء الذين يدعون حب الإنسانية
فتفا، ولعنة على الشيوعيين والروس

الشاعر ديدار خان أحمد زي :

السيد ديدار شاعر شاب من شعراء الجهاد، ومن أبطاله، له جولات أدبية وقتالية مختلفة، ولد سنة (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م) في قرية «ببرو» التابعة لمديرية «آذر» بولاية «لوجر» في أفغانستان المركزية. أتم دراسته الابتدائية في مديرية «آذر» وأتم دراسته

(١) كلي أو كولي (البرد والرصاص) ٢٥٤ .
(٢) كلي أو كولي (البرد والرصاص) ٢٧٠ .

الثانوية في مدرسة «رحمان بابا» الثانوية الداخلية في كابل العاصمة، وبعد إتمام دراسته الثانوية سنة (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) التحق في سنة (١٣٩٦هـ ـ١٩٧٦م) بكلية العلوم بجامعة كابل، ثم انتقل إلى كلية الصيدلة وأتم بها دراسته الجامعية. وهو من خريجي عام (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م). وقد هاجر إلى بشاور سنة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م)، وتولى مسئولية الإشراف على الشؤون الصحية للمجاهدين في ولايته «لوجر».

ديوانه يحمل اسم: «جلبة الثورة» والجلبة هنا بمعنى الصيحة، موضوعاته جهادية.. قتالية نضالية بالإضافة إلى موضوعات أخرى مرتبطة بالجهاد، أسلوبه ثوري هادىء، يدعو إلى قيام حكومة إسلامية حقيقية في أفغانستان. ورق الديوان رديء كتابته جيدة صحيحة خالية من الأخطاء إلى درجة كبيرة. ولغته لغة الجامعيين يجمع بين القديم والحديث. ولصغر حجم مجموعته الشعرية لم يهتم بعمل الفهرس الذي يسهل على القارىء الاطلاع على موضوعات الكتاب.

ومن مؤلفاته بالإضافة إلى هذه المجموعة الشعرية:

١ ـ د. جهاد چيغه = صيحة الجهاد.
٢ ـ د. ننگ أواز = صوت الغيرة.
٣ ـ فريادونه = الاستغاثات.
٤ ـ د. مرگ نندارە = مشهد الموت.
٥ ـ د. حق پيغام = رسالة الحق.
٦ ـ د. سنگر أنگازى = أصداء الخندق.

الوقفـــات الجمالية:

يقف «ديدار خان» الشاعر وقفات جمالية دقيقة تحس معها أنه يحصي نبض الكلمات والألفاظ ويلمس بيده حرارة العبارة، وينقلها إليك في أقوى صيغ التأثير، وفي أقوى عبارت التأثر بالمنظر والمشهد، ذلك لأن شعر ديدار خان وغيره من شعراء الجهاد الأفغاني ينبع بدافع إسلامي نبيل، استجابة لنداء الضمير الإسلامي، ودفاعا عن

الكرامة الإسلامية في أفغانستان، وليس للربح العادي أو الغرض الدنيوي. أو الشهرة الأدبية، فهذه أمور تافهة لاقيمة لها في نظر هؤلاء المجاهدين الشعراء. وهي بالتالي أمور لاتتوفر لشعراء الجهاد الإسلامي لا في أفغانستان، ولافي غيرها من البلاد في العالم الإسلامي.

ديدار خان دقيق في منهجه وأسلوبه، وفي تحري التعبير الصادق عن الجهاد ومفاهيمه وفي تخير النعوت والأوصاف المناسبة لكل مشهد من مشاهد الجهاد التي صورها في ديوانه الصغير. فديوانه مع صغر حجمه حديقة زاهرة ينتقل فيها عشاق الأدب الإسلامي من زهرة إلى زهرة، ومن مشهد جميل إلى مشهد أجمل، ومن منظر جهاد إلى منظر جهاد آخر.

ديدار خان يصور في ديوانه الصغير دقات قلوب المقاتلين المسلمين في خنادقهم، وهمسات هؤلاء المحاربين الأشداء في أشد المواقع اشتعالا، ويسجل بالكلمة والخيال القيم والمثل الإسلامية التي يؤمنون بها إيمانا لايتزعزع، وقد وفق إلى درجة كبيرة أن يقوم بتسجيل أكثر مشاهد الجهاد البطولي مع تحري الدقة والصحة في ذلك فجاءت في ديوانه الصغير صور صادقة من الجهاد الإسلامي.

نماذج من شعره:

نص (١٠)

مجاهد يذهب إلي الخندق[1]

سقط الثلج الأبيض والناس يرتجفون من البرد
والمجاهد يصر علي الذهاب إلى الخندق ولاينصرف عن عزمه
سقط الثلج الأبيض، ولا يبدو الطريق أبدا
والمجاهد يسير عليه ذهابا وإيابا من غير توقف
كلما شعر بالمشقة كلما زاد سروره وسعادته
لذلك يصر المجاهد بالتوجه إلى الخندق ولايقتنع بالتوقف

(١) د انقلاب غوغا ٣٦.

يبدو الجبل والسهل أبيض ناصعا في كل الجهات
والمجاهد يبدي غيرة شديدة على دين الله
لايتوقف ولايرجع عن تصميمه ولو تعرضت الرؤوس للحصاد
لأجل هذا يذهب المجاهد إلى الخندق بدون توقف
لاتتوقف، وتوجه إلى الموقع والمكمن يا «ديدار»
الثلج أبيض ليس عقبة أمام المجاهد ليقف عندها
ورفاقك في الجهاد في حالة الذهاب والإياب
ومن هنا يذهب المجاهد إلى موقعه في الجهاد ولا عودة

لن يصمدوا أمامنا[1]

الروس في حالة من صيحة الويل، كما يبدو جميع الشيوعيين في حالة من الاضطراب
لن يصمدوا أمامنا أبدا، يبدو الروس الحمر ـ أخيرا ـ في حالة الفرار
يتعذرون بجنيف لكن أين لهم القدرة على خوض الحرب
وعندما تشتعل النار، متى تكون لهم القدرة على تحمل مشقة الحصول على الماء
ستنطفىء هذه النار أخيرا نعم وإن كان لهيبها اليوم مستعراً في كل الأنحاء
إن أيامهم قصيرة جدا، لديهم أيام معدودات فقط من الزمن
إنهم هالكون حتما حيث إنهم يبدون في حالة من البكاء والصراخ
لن يصمدوا أمام قوتنا قط، إن الروس الحمر في حالة من الفرار

***

إنهم يفرون، ولا يبقون، وهذه هي قوة الأفغانيين
إن كل معتد غاصب أتى قام المجاهدون بإخراجه عدوا
المجاهدون هم الذين قاموا بتوجيه الضربات إلى رأس العدو
والمجاهدون هم الذين قاموا بتضييق العالم كله على الجبارين والخونة

---

(١) د انقلاب غوغا ٦٨.

يبدو العالم كله في حيرة ودهشة من قوتهم وقدرتهم
لن يقفوا أمام عزيمتنا، إن هؤلاء الروس الحمر يبدون في حالة من الهرب

***

نحن الذين قمنا بالقضاء على قوة الإنجليز في العالم
كما قمنا بطرد كل جبار متكبر ظالم من ترابنا الأفغاني
كل من نظر إلى وطننا نظرة احتقار وإهانة
في تلك اللحظة وعلى الفور فضحناه، وكشفنا أمر كل جبار أثيم
لايمكنه أن يرفع عينيه بجرأة إن هذا الوطن يبدو له كالسجن
لن يبقى الروس أمامنا صامدين، إنهم يظهرون في حالة من الفرار

***

وسنقوم - إن شاء الله - بكشف مساوىء الروس في وطنهم أيضا
إننا سنقوم حتما بطردهم عدوا، سيتم ذلك اليوم أو غدا
إن الأفغانيين قد انتصروا في المعارك وسبب ذلك
إننا نفضل الموت على حياة العبودية والذل
إن الظفر قريب يا «ديدار» لأن الجيوش الحمراء تبدو مرتجفة
ليس في إمكانهم الصمود أمامنا، يبدو الروس الحمر أخيرا في حالة الفرار

نص ١١

إننا مجاهدون[١]

ليس في مقدورنا أن نوافق على حكومة غير حكومة المجاهدين
وليس في إمكاننا أن نوافق على وجود الإلحاد في بلادنا

***

(١) د انقلاب غوغا ٩١.

نحـــن المجــاهــديـــن نقـــوم بالـقتــــال باســـم الإســـــلام
وفي سبيــــل الــدفـــاع عن الإســلام نضحـــي بأنفسنـا وأمــوالنـــا
إن الإســـلام قـــوة كبيرة، ليـــس لنـا أن نقـبــل أية حكــومـة
ولـيـــس في إمكــانـنـا أن نقبــل في وطننــا أي نـوع من الإلحـــاد

* * *

لـن نقبـل بحــال من الأحـــوال حكومـــات تفـــرض علينـــا
وسـنـقـــوم بالـقـتـــال دائـمـــا ضـــد كـــل أنـــواع الـفـســـاد
لـــن نقـبـــل أيـــة قـــدرة أخـــرى غـير حكـومـة الـقـــرآن
ليس فـي إمكـــاننـا أن نقـبـل فـي وطـنـنـا أي لـــون من الإلحـــاد

* * *

أعـــد نجيـــــب مـــــن جانبـــــه مسرحيـــــــات للســـــــلام
سيكـــــون مصـــيره مصـــير أمــين لظهـــور علامـــات ذلـك
لـــن نقـبـــــل الـــوحـــــدة بيـــن الــكـفـــر والإســــــلام
ليـــس في إمـــكـــانـنـــا أن نقبـــل في وطـنـنـــا لونـــا من الإلحــاد،

* * *

انــتـبـــة يا «ديدار»[1] حيث إن الـعـدو مكـــار للغـــاية

* * *

انـتـبـــة ولاتخـطـــىء حيـــث إن الـشـيـوعـيـــة مخـادعــــــة
ليـــس فـــي مقـــدورنـــا أن نعـيـش في مكـــان واحـد مع الشيوعيـــة
ليـــس في إمكـــانـنـــا أن نقبـــل في وطـنـنـــا أي نـــوع من الإلحـــاد

(١) ديدار: هو الشاعر ديدار خان أحمد زي الذي أنشد هذه المنظومة، ولمعرفة مزيد من المعلومات الخاصة به راجع ص ٢٦١ وما بعدها من هذا الكتاب

الشاعر جوهري :

ديوانـــــه :

يحمل ديوانه اسم : دلعلونو خزانه (خزانة اليواقيت) طبع في بشاور سنة (١٤٠٥هـ ق = ١٩٨٥م) طباعة ردئية للغاية تشتمل على أخطاء كتابية فاحشة، لعل مرد ذلك سوء الأحوال الاقتصادية وحالة الحرب الدائرة في أفغانستان .

ويلاحظ أن أشعاره سهلة للغاية، وخالية تماما من الزخارف والمحسنات البديعية، ومن الصور الجمالية الأخرى في المعاني والبيان، ولايبحث أبدا عن الكلمات النادرة والمصطلحات اللغوية الحديثة لاستخدامها في تصوير المعاني والمفاهيم التي يريد التعبير عنها، مع بساطة كلماتها وخلوها من التكلفات والصناعات الشعرية والمبالغات الأدبية والأخيلة البعيدة عن الواقع، ومن العبارات ذات الأسلوب الأرستقراطي[1] الراقي وفي الحقيقة أنه لو أنشد مثل هذا الشعر في حضرة الأدباء والعظماء والأمراء والملوك، ورجال البلاط لتعرض للومهم الشديد وتقريعهم المفزع . .

شعـــــره :

وشعر الشاعر جوهري أدب شعبي، ينبع من ضميره الحي، ووجدانه السليم، ومن تصوره الطبيعي البسيط للأمور، وعاطفته الإسلامية المستقيمة، لايميل إلى جانب انحراف نفسي، أو مرض فلسفي، أو مكسب مادي، وقد تفشت ـ كما نرى ـ جراثيم كل ذلك في كل مايتصل بالإنسان وحياته من الماء والهواء، ومن الفنون والأفكار، ومن السلوكيات والأخلاق .

وأدبه في فن شعره الشعبي يتصف بالبساطة والوضوح البالغ، لايجنح إلى إبهام مفرط أو إيهام مضل. أو إلى سوداوية مظلمة محيرة، أو إلى حمراوية دامية قاتلة، أو إلى يأس أو قنوط مدمر، فهو نزيه بعيد كل البعد عن هذا وذاك جميعا، فالوضوح الشديد هو شاطىء الأمان في نظره، يأوي إليه في شعره وإنشاده كما يأوي التائهون الحائرون في بيداء الحياة المخيفة المروعة إلى من يرشدهم وينقذهم من الهلاك .

---

(١) الأرستقراطية : حكومة أو طبقة تمثل الأقلية الممتازة. المعجم الوسيط جـ١ص١٣والأرستقراطي : كل ما ينتمي إلى الأرستقراطية.

وشعره الشديد الوضوح يصدر عن ذاته البسيطة التي نعمت باليقين بالنصر من عند الله، وسعدت بالاقتناع بهذا النصر الإلهي. وتشبعت بالمنهج القرآني، ونهلت من ينابيع العقيدة الإسلامية الصافية، ومن ثم فقد أفرزت شعرا صافيا بسيطا يتمتع بالرونق والروعة، وعبرت عن التزامها الذاتي الداخلي الفطري دونما قهر أو إرغام أو ضغط خارجي.

وبالإضافة إلى ذلك فإن شعره جزء من ذاته، جزء من بنيته وتكوينه الفطري، فكما أن تكوينه الطبيعي بعيد عن التعقيد والغموض، وعن الجنوح إلى الانحراف والاعوجاج والنفاق. كذلك الأمر في شعره البسيط، وهو أيضا بعيد كل البعد عن التكسب وبيع كلمته في سوق المادة والمتاع والمال.. لم يغب عن ذاته البسيطة الفطرية الطيبة، وعن شعره الفطري المنهج الإسلامي القويم، والالتزام به في كل المراحل الفكرية، وفي كل قصائده الشعرية في ديوانه، وهو ينشد الشعر في نطاق هذا الالتزام الإسلامي، ويحرص عليه كل الحرص، ويدعو إليه بكل قوته، ويدافع عنه باستماتة بالغة، وهو في كل ذلك صاحب موقف ثابت راسخ لايحيد عنه.

وفي شعره دعوة صادقة إلى استعذاب الجهاد، والتضحية بالنفس والمال، والفداء في سبيل الدفاع عن دين الله كوسيلة من وسائل التقرب إلى الله، والتمتع برضاه، وهو في ذلك صورة صادقة للشاعر المؤمن المخلص الذي يقاتل بكل قوته جاهلية عصره، وبربريته المجسدة في احتلال الروس لبلاد الأفغان.

أسلوبه في شعره:

إن أسلوب جوهري في شعره الشعبي البسيط يشبه أسلوب شعراء الأساطير الشعبية والملاحم القصصية القديمة الذي كان رائجا في الآداب الأفغانية القديمة، والقصة في هذ النوع من الشعر تعتمد على براعة الخيال، وحسن الملاءمة بين المناظر والتسلسل القصصي، والانتقال من حادث إلى آخر بإحكام ومهارة... وشاعرنا جوهري يعرف جيدا كيف ينتقل من قصة إلى قصة، ومن منظر إلى منظر، ويعرف جيدا كيف ينحت الكلمة، وكيف يرمي بها الهدف المنشود ببساطته الفطرية. وهو يجمع بأسلوبه، وسرد قصص الجهاد البطولية بين الملحمة الطبيعية والملحمة الصناعية، فقد يجمع بين أسلوب الإلياذة الإغريقية، وشاهنامة الفردوسي الخراسانية.

نماذج من شعره :

هجوم المجاهدين على السفارة الروسية[1]

أسرد لك قصة من قصص الجهاد للعبرة
وهي قصة حدثت في ولاية كابل
قصة المجاهدين الغيوريين في مدينة «موسهى»
الذين يسلكون حقيقة طريق القرآن الكريم
قد نفذوا كثيرا من المعارك ضد الكفار
وقاموا بإحراق كثير من الدبابات في كل مكان
كان الكفار مضطربين من عملياتهم دائما
يهربون يفرون إلى كل الجهات
قتلوا كثيرا من الروس الأنجاس
وقد اخترت للبيان واحدة من تلك القصص
فقد اجتمع مجاهدو حركة الانقلاب الإسلامي
وتشاوروا فيما بينهم لمدة يومين ..
ثم حمل المجاهدون معهم مدافع الهاون
واتجهوا نحو منطقة «چهل ستون»
حاملين معهم سلاح «الجرنوب»
كما حملوا معهم مدفع ٨٢ مللم
وصعدوا منارة «جهل ستون»
إنني أخبرك بالتفاصيل فاسمع القصة من أولها
كان بالقرب من سينما «بريكوت» فندق
يحتفل فيه الملاحدة عديمو الشهامة والمروءة
فأطلق المجاهدون النار على الفندق وأصابوه بالهاون
مات فيه عدد من عملاء الروس

(١) د. لعلونو خزانه (خزانة اليواقيت) ١٤.

ثم أطلق المجاهدون المسلمون المدفع ثانية
فتوجهت القذيفة كالصاعقة بغضب
فسقطت وانفجرت بين الحافلات (السيارات)
وأحدثت دويا بين حافلات الشركة الوطنية
ثم أطلق المجاهدون مدفع الهاون للمرة الثالثة
فانطلقت القذيفة مسرعة كالصاعقة الآتية من السماء
وانفجرت في الجانب الأيمن من السفارة الروسية
فأصيب كل من كان بالسفارة من الروس برعب وخوف
وقد مات في ذلك سبعون روسيا ميتة الجيفة
وذلك أثناء انفجارات القذائف والطلقات داخل السفارة
والله وحده يعلم عدد المصابين
والملطخين بالدماء في هذا الهجوم على السفارة
ثم قام الروس بإخفاء ما حدث في السفارة لمدة أسبوع
ولمدة أسبوع كانت سفارة الروس في حالة سيئة
ثم أقام المجاهدون القيامة على كلية التقنية الروسية
إن مدفع ٨٢ مللم الذي كان مع المجاهدين
أطلقوه - أيها الأصدقاء - في هجوم على كلية التقنية
فانفجرت قذيفة في ملعب كرة القدم
وكان المسئولون عن الصواريخ يقومون بإطلاقها أيضا
وكانت ألسنة الدخان الأسود تغطي جو الكلية
فكانت النتيجة سقوط الكلية وتحولها إلى أنقاض
وكان الناظرون في حيرة من هذا المشهد
ومائتان وخمسون شخصا من الكفار
قد ماتوا ميتة الجيفة في كلية التقنية
إن المجاهدين في «موسهى» يتمتعون بشجاعة نادرة

ومستقيمون على الطريقة الإسلامية كاملة
يتحملون العطش والجوع في سبيل الله
يقومون بالإغارة على كابل من وقت لآخر
يقومون بالهجمات على مركز الكفار دائما
ويقومون بإحراق دبابات الروس الضخمة
يقول جوهري: فلينتصر المجاهدون
وليجعل الله الكافرين ناكسي الرؤوس

هجمة روسية على مركز «آب جوش» في لوجر[1]

مرة أخرى يغرد فؤادي تغريدة البلبل
يتصارع إليه الشعر ويتساقط عليه كالغيث
إنني في حيرة من دوران الزمن
هناك تقلبات زمنية تتبدل وتتغير
كان هناك وقت من الزمن عجيب
كان الوقت شتاء يتساقط فيه الثلج الأبيض
كان هناك في «آب جوش» مركز للحركة الإسلامية
كان واضحا ومعروفا كالشمس للجميع
وكان هناك في هذا المكان مركز للجبهة الوطنية أيضا
وبجوار مركز الحركة . . . في ساحة القتال
وكان المركزان - إخوتي - في وئام ووفاق
وكانا يتحركان كالأشقاء في كل وقت
وقد صمم «كارمل» وعزم على هذا المنوال . .
أن يسير البرچمي والروسي جنبا إلى جنب

(١) د لعلونو خزانه (خزانة اليواقيت) ٤٧ .

وأن هنـــاك فــي «بـركـى» بلوجـــر مركـزا للجـهـاد
بقـيـــادة الحاج عبـد الأحـد يعمــل باسمـــه ويشـهـامـة
وبمـا أن المـوسـم موسم شتاء يتسـاقـط فيه الثلج باستمـرار
ويبـدو الانـتـصـار مضمـونـا مائـــة فـي المائـــة
فاقبضـوا علـى المسلمـين وأحضروهم إلـيّ مكتـوفـي الأيدي
إلـى أيـن وكيـف يمكنهـم الهـرب أثنـاء تسـاقـط الثلـج
وبـالاخـتـصـــار جـــاءت القـــوة الـروسيـــة
المـكـونـة من قـــوات المشـــاة والجـويـــة للكـفـــرة
وصـلـــت إلـــى هــــذا المـكـــان أربـعـمـائـة دبـابـــة
مـن دبـابـــات الـــروس وعـبـيدهـــم مـن الـعـمـــلاء
اتجـهـــت الـقـــوة إلـى هنـــاك مـن ثـلاث جهـات
وارتفعـــت فـي «آب جـوش» أصـــوات هزيـز الـدبـابـات
وفي «آب دره» كـان عـــدد آخـر كبـيـر مـن الـدبـابـات
وكـذلـك وصلـــت المئـات من الـدبـابـــات إلـى «سجـاونـد»
وكـان مجاهـــــدو الحـركـــة الـغـيـورون على الإســلام
يتـمـركـــزون في هـــذه الجـبـــال بشـجـاعـــة فائـقـة
وقـد اتخـــذوا هنـــاك مواقـعـهـــم المـحـكـمــــة
وكـانـــت معـهـــم جماعـــة من الجـبـهـــة تقـاوم أيضـا
وبـدأ الـقـتـــال الـشـديـد في جبـال «آب جوش» العـالـيـة
والـثـلـــج الأبـيـض يتـســاقـــط على مرتـفـعـات الجبـــال
بالاخـتـصـــار بـدأت أصـوات إطـلاق النـار من كـل جانـب
كنـت تعـتـقـد : كـأن زلـزالا شـديـدا بـدأ في هـذه الـدنـيـا
إن المـدافـع والـدبـابـــات والـرشـــاشـــات
بـــدأت أصـــوات هزيـــزهـا وضـجـيجـهـا في هـذه الجبـال
والـطـائـرات الحـربيـة السريعـة وكـذلـك الـطـائـرات المروحية

بـــدأت تضـرب قمـم جبـال «آب جـوش» بالـقـنـابـــل
وتـلقـــى هنـــاك قنـابـــل الـنـابـالـــم
وكـانـــت أســـراب مـن الـطـائــرات تحلـق فـوق الجيـش
كان المجـاهـــدون يحاربـون فـي هـذه الـظـروف الصعبـة
وجـعـلــوا الـكـفـار كأنهـم في ليلـة شديـدة الـسـواد
ونـتـيجـة لهـذه الحـرب فـإن سيـارة جيـب ودبـابـتـيـن
قـد تـم تدمـيرهـا، فوقـع الـنـاس في حـيرة من ذلـك
وثـلاثـمـائـــة شخـص مـن هـذه الـقـوة المهـاجمـة
ماتـوا ميتـة الجيفـة تمتـلىء بهم مجاري السيول في كل الـوديـان
ووقـعـــت ســتـــة أفـــراد وضـابـــط أســـرى
وقـــام المـجـاهـــدون بـنـقـلهـم إلى الجـبـل بسرعـة
وحـاكـمـوهـم طبـقـا لما قاموا به مـن الأعمـال ونـالـوا جزاءهـم
اسـمـــع جيـــدا لأخـبرك بمـا يأتـــي أيضـــا
إن الـكـلاشـينـكـوفـــات الـتسعـــة في حالـــة جيـــدة
تمكن المجـاهـــدون من الحصـول عليهـا غنيمـة من القـوة المهـاجمـة
مجاهـــد واحـــد كزهـــرة الـريحـــان قـد اسـتـشـهـد
وكـــان اســـم هـــذا الـشـــاب الـشـهـيد «أغـا جان»
وقـد اسـتـشـهـد فـي الـيـوم الـرابـع من أيـام الـقـتـال
جعـــل الـلـــه حـــور وغـلـمـــان الجـنـــة من نصـيـبـه
وبـعـد سبـعـة أيام مـن الحـرب عـادت الـقـوة على أعـقـابهـا
ولـــم تتـحـقـــق آمـالهـــا أبـــــدا
فالـشـكـــر مـــع الاسـتـحـســـان لمجـاهـــدي لوجـــر
ولهـم الـشـكـر والـتـقـديـر والاستحسـان مسـاء وصبـاحـا
فـي كـل مكـــان يفـضـح الـلـه الـكـفـــار أمـامـنـــا
كـل بيـــت مـن شعـــر جوهـــري يحتـوي على رمـز

السـادس من بـرج الجـدي[1]

في اليوم السـادس من برج الجـدي كان الليل حالكـا، وصـار نهاره ليلا
على الأرض الأفغانية الطاهرة كانت الحملة الروسية المباشـرة
فقد تلون الوطن كله بلون الدماء القانية حين امتدت إليه هذه اليد القذرة
وقد سالت الدماء في كل مكان حينما اقتربت منها هذه اليد البعيدة
وقد نهبوا هذا البلد الصغير عندما امتدت إليه هذه اليد العميلة
سالت دماء أمين[2]، وصارت الأرض ملتهبة تحت أقدام الخلقيين
على الأرض الأفغانية الطاهرة كانت الحملة الروسية المباشرة

***

من إذاعة «دوشنبه»[3] كانت تذاع صرخات كارمل ونعراته
بل وفي كل مكان من البلاد كانت صرخات أعضاء البرجم، وقرع طبولهم
وكانت الشمس حزينة في السماء، وكان ظلام الوحشية منتشرا هناك
وبالاختصار كان المأتم الأسود، وألسنة النار الملتهبة في كل مكان
وقد تهدم كثير من البيوت، كنت تقول: كأن زلزالا شديدا قد جعلها عصفا
على الأرض الأفغانية الطاهرة كانت الحملة الروسية المباشرة

***

منذ ذلك اليوم فصاعدا تسيل دماء الأفغان الذين لا ذنب لهم
اختفى العدل وغار في الأرض، واستمرت ألوان من الظلم والجبروت
هذا يموت ابنه، والآخر يموت أخوه، والثالثة تضرب القنابل بيته
وآخر يضطر إلى أن يهاجر، يترك ماله وعقاره ميراثا للآخرين

(١) د لعلونو خزانه (خزانة اليواقيت) ١٠٤.

(٢) أمين: هو حفيظ الله أمين الرئيس الشيوعي الثاني في أفغانستان.

(٣) دوشنبه: عاصمة تاجكستان.

تلك الـليلة كانـت ليلة نحس حيث كان الـنسيم فيها محمرا بالـدماء
على الأرض الأفغـانية الـطاهـرة كانت الحمـلة الـروسية المبـاشـرة
وعـلى المؤمنين المـظلومين صار الـظلم والعـدوان من الأمـور الجـائـزة
وأصبحت الأمهات ثكـالى، وتفـرق الأخ عن أختـه والابن عن أبيـه
يأتى من السجـون أنـين مؤلم، جعل السماء الزرقاء تذرف الـدمـوع
تسيل دمـوع الآيتـام كالأنهار حيث فقـدوا الآبـاء واختفـوا تحت الـتراب
الـزوجـات أصبحن أرامـل بلا محرم، ما هذه النغمـة المقلوبة الحـزينة !
على الأرض الأفغـانية الـطاهـرة كانت الحمـلـة الـروسيـة المبـاشرة

***

السادس من برج الجدي، والسابع من برج الثور كان انقلابا في انقلاب
حكم حزب البرجم وحزب الخـلـق كانـت مصـيبـة في مصـيبـة
يدعـونه عمـلا سيئـا، ويندون ـ في العـالم ـ بالعدوان الذي قام به الروس
فقـد أصبحت وجوههم مسودة في جميع أنحـاء العالم . . في إفريقيا وأوربا
وجـه إليهـم اللوم مرارا وتكـرارا في كل المؤتمـرات التي تنعقـد في جنيف
على الأرض الأفـغـانـة الـطاهـرة كانـت الحملة الـروسية المبـاشرة

***

أنـاس يسـودون وجهـه بسنـاج الصـاج، وآخرون يركبـونه حمـارا
أنـاس يبصقـون في وجهـه، وآخـرون يتقـدمـون للقيام بهذا العمـل
ما هذا الـظلم الـذي لا شيء يوجبه والـذي يقـوم به الـروس اليوم ضدنـا !
نقـتـل ونـشـرد تحـت وطـأة ضربـات الـقـنـابـل الـروسيـة
ما هو الـذنـب الـذي بدر منـا، ونـتـيجـة أى عمـل قمـنـا بـه ؟
على الأرض الأفـغـانية الـطاهـرة كانت الحملة الـروسية المبـاشـرة

***

هذا المسلسل في طريقه إلى النهاية، وسينتهي هذا الظلم والجور أخيرا
يتحقق النصر اليوم - إن شاء الله - حيث إن الأفئدة تموج بالغليان
نحن نتوكل على الله القدير، ومن الله القدير نطلب المدد للانتصارات
إننا أقسمنا بالله بعزيمة قوية ثابتة، وصممنا بالعهد المتين
لا تحزن ولا تخف يا جوهري، إنها لضجة فارغة في طريقها إلى النهاية
على الأرض الأفغانية الطاهرة كانت الحملة الروسية المباشرة

الشاعر عبدالمتين تسكين:

هو عبد المتين بن غلام مرسلين الملقب بتسكين، ولد في بلدة «سنكر سراي» في مديرية «كامه» الواقعة على الشاطىء الشرقي لنهر كونر. التابعة إداريا لولاية ننجرهار في شرق أفغانستان. أتم دراسته في مدرسة مراد على. وبعد الحصول على شهادة الثانوية العامة عمل مدرسا للرياضيات في مختلف الولايات الأفغانية.

عاش في أحضان الطبيعة على شواطىء نهر كونر، فامتزجت آماله بأمواجه المتدفقة، وعاش كالنحل على رحيق الأزهار في الحدائق والبساتين المتناثرة على طرفي النهر، وفتح عينيه على الدنيا في سفوح جبال ننجرهار الشاهقة. وسهولها الناضرة، وشاهد فيها مشاهد الفطرة ومناظرها الخلابة، فكان لكل ذلك تأثير قوى في شعره، كما تأثر بجمال الربيع في تلك الفطرة الساحرة التي تتعانق فيها الأزهار والأشجار مع الحياة الجديدة التي تأتي مع موسم الربيع، ومن خلال هذه المناظر والمشاهد والأزهار التي نعم بها، تغنى بعظمة الجلال والجمال الإلهي. ثم بالإسلام وأمجاده. وأنشد في ذلك أجمل قصائده وأناشيده.

وعبدالمتين تسكين شاعر موهوب، قلبه ينبوع شعره، وشعره صدى فؤاده، ويتحكم في تفجر ذلك الينبوع الذي منه ينبع شعره. إن قصائده القصيرة ليست جملًا وتراكيب لغوية تم تنظيمها وترتيبها بمقاييس الصناعة اللفظية وبقوتها اللغوية المعروفة. بل إنها أحاسيس إسلامية، وعواطف قومية، ومشاعر وطنية أثارتها تلك البحار من الدماء الأفغانية التي سالت في الموطن والمهجر بغزارة، إنه أخذ إلهام شعره

من جمال الطبيعة، وجعل علو جبال تلك الطبيعة أجنحة لطيران خياله، كما أخذ إلهامه من تلك المآسي التي حلت بالأفغان من جراء الاحتلال. وما نتج عنه من القتل والتشريد. فمفـاهيمـه الشعرية عالية علو تلك الجبال. رائعة روعة تلك المناظر، سلسـة سلاسة تلك المياه المتدفقة مع أمواج نهر كونر، حزينة مؤلمة كئيبة كآبة تلك المآسي والأحزان التي تبدو على وجوه الأفغان في الموطن والمهجر.

وقـد تفجـرت فيه الموهبة الشعرية مبكرة، وساعد على نموها وتطورها إحساسه الإسـلامي، وشعوره القومي، وعاطفته الوطنية إن حبه لدينه ووطنه وقومه، وحبه للحرية ساعده على قول الشعر. والتغني بالأمجاد الإسلامية والقومية منذ أن كان عمره عشرين عاما، ومن ذلك الحين رفع صيحته الشعرية منطلقة في سماء أفغانستان، ثم في أجواء المهجر الذي يعيش فيه الآن مؤمنا بأن: لاحياة للأفغان إلا بالإسلام.

والشاعر المهاجر عبد المتين تسكين من المهاجرين الأوائل حيث هاجر إلى بشاور سنة ١٣٥٨هـ ش = ١٩٧٩م في أعقاب استيلاء الشيوعيين على الحكم في كابل سنة ١٣٥٧هـ ش =١٩٧٨م، مما يدل على أن الشاعر كان من أنصار الحركة الإسلامية منذ بعثها وقيامها في أفغانستان من جديد. وعندما قام الشيوعيون بالتضييق عليه حزم أمره، وعزم على الخروج من أفغانستان فانطلق يشق طريقه بين السهول والجبال إلى أن انتهى إلى بشـاور، وهناك استقبلته معسكرات المهاجرين الأفغان، وكان فرحا وسعيدا بذلك مغتبطا لأنه تخلص من براثن الشيوعيين، مؤمنا بأنه قد نال جزاء المهاجر إلى الله، الهـارب بعقيدته، ووجد نفسه حرا طليقا بعيدا عن قيود الشيوعية، وفي المهجر انطلق الشاعر يمس القضايا الأفغانية، ويشارك في الدفاع عنها بقلمه وشعره.

ديـوانـه :

ديوان تسكين مجموعة شعرية باسم «الهجر والزجر» طبعت عام ١٣٦٧هـ ش = ١٩٨٩م في مدينة بشاور، في ١٢٨ صفحة من القطع الصغير. قصائده مقطوعات متـوسـطة أو صغـيرة يتغنى فيها الشاعر بالأمجاد الأفغانية الإسلامية لإثارة المشاعر الدينية، والعواطف الوطنية، والأحاسيس القومية والحمية الإسلامية ضد الشيوعيين

والروس الذين احتلوا أفغانستان وأعملوا في أهلها المسلمين القتل والتعذيب والتشريد وقد أنشدها الشاعر في أماكن مختلفة من أفغانستان وبشاور قبل الهجرة وبعدها، يدعو فيها الشعب الأفغاني إلى المشاركة في الجهاد المقدس ضد هؤلاء الطغاة البغاة الذين دنسوا الأرض الأفغانية بأقدامهم القذرة وعاثوا فيها الفساد.

أسلوب شعــــره :

الأسلوب الذي ينظم به شاعرنا تسكين سهل عذب، يصل إلى القارىء فيمتزج بعقله وقلبه بسهولة، واضح العبارات، نافذ الكلمات، عالي المعاني والأهداف لايتكلف الشاعر كلمة ولا عبارة، لايزاحم المعاني والمفاهيم، بل يتناولها بعفوية وصدق، فتشرق أبياته الشعرية مفصحة عن مشاعر السامعين وعواطفهم فيشعرون وكأنهم هم الذين دبجوا هذا الشعر ونظموه، ثم أنشدوه .

وقد امتاز صاحب الأسلوب بعقيدة إسلامية سليمة ظهرت آثارها جلية على شعره الإسلامي والوطني فنال بذلك القبول الحسن في الأوساط الأفغانية .

موضوعــــات شعــره :

موضوعات الشاعر عبد المتين تسكين موضوعات حية جادة تناول فيها قضايا دينه الإسلامي، وأمته الأفغانية المسلمة، ووطنه المسلم أفغانستان، وكل ما يتصل بالجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن، واستطاع الشاعر أن ينقل صوراً حية، وأن يؤدي أفكارا سليمة، وأن يصل ماضي الأفغان بحاضرهم الإسلامي. ويؤكد الشاعر كغيره من الشعراء الأفغان أن تضييع أفغانستان واحتلالها كان بسبب أن ضيع الأفغان دينهم، وفرطوا في عقيدتهم، وتاهوا بين مبادىء الشرق والغرب .

وقد نقل الشاعر صورا من الأمجاد والبطولات، وصورا من الإهمال والتراخي، وصوراً من الانحرافات والخيانات وصوراً من المآسى التي حلت بالبلاد . . ننقل بعضا من تلك الصور .

مختارات من شعره :

تمثل هذه المختارات جانبين: حبه لأفغانستان وبخاصة للأقاليم الأفغانية التي لعبت دورا بارزا في الجهاد الإسلامي في البلاد الأفغانية، واهتمامه بتوجيه الانتقاد، وبيان حقيقة كل من الزعيمين الشيوعيين الترهكي والكارمل اللذين وصلا إلى الحكم بالمساعدات الروسية .

نص ١٢

إلى بكتيا[١]

إنك وسام بسالة الأفغان يا بكتيا[٢]
إنك قد أصبت قلب العدو يا بكتيا
فسلام وتحية على جبالك الشاهقة
سلام و تحية على أبطالك الغيورين
إن كل شجرة من أشجارك كرامة وشرف
وكل حجر من أحجارك همة وعزيمة
وكل حرب من حروبك نصر وفتح
وكل ضربة من ضرباتك نصر مظفر
وكل فتى من فتيانك شجاع مقاتل
ذو شهرة طيبة، ومحارب مقدام
إنهم جميعا يجيدون فنون الحرب ومهامها
إنهم جميعا يفهمون جيدًا شؤون الكرامة
فتحية وسلام على أبطالك الميامين

(١) هجرونه أو زجرونه (الهجر والزجر) ٢٨ .

(٢) پكتيا: إحدى الولايات الأفغانية في جنوب ولاية غزنه، حاضرتها مدينة كرديز وسكانها ٧٢٤،٠٠٠، أو ٧٣٢،٧٩٩ نسمة، وكانت مسرحا للجهاد الأفغاني خلال ١٤ سنة .

سلام وتحية على جبالك الشاهقة
يا بكتيا يا وسام البسالة الأفغانية
يا من قد أصبت قلب العدو . . يابكتيا
يا من قمت بتحطيم العمود الفقرى للعدو
لن يرفع عينيه نحوك مرة أخرى
إنك قد أبدت جيوشا جرارة
لقد قمت بتدمير دبابات عديدة
وأوقعت الاضطراب والفوضى في صفوف الأعداء
لقد قمت بإرغامهم على التراجع مرات كثيرة
لقد أظهرت بقوتك قوة السيف ومضاءه
وأنزلت زلزالا وارتجافا على قصر كرملين
فتحية وسلام على قصص بطولاتك
سلام وتحية على جبالك العالية
يابكتيا، يا وسام الشجاعة الأفغانية
يا من قد أصبت فؤاد عدوك . . يابكتيا
بقنابل النابالم الساخنة المحرقة
وبالنار الساقطة من السماء الساخنة
تحولت إلى لهب أحمر مرات ومرات
لقد أصبحت محمرة، واشتعلت نارا وأوارا
لكن لم تحترق كرامتك وشرفك
ولم تحترق غيرتك وناموسك
لقد أصبحت مجموعة من قصص الغيرة والكرامة
مجموعة من حكايات التاريخ الأفغاني
فسلام وتحية لمفاخرك العظيمة
تحية وسلام على جبالك الراسخة

يا بكتيا، يا علامة لبسالة الأفغان
يا من قد أصبت قلب العدو، يا بكتيا
في جبالك الشاهقة العالية
وفي غابات الصنوبر وأشجار البلوط
وفي قراك المتناثرة وفي وديانك
وبين فتياتك وفتيانك الشجعان
تعزف موسيقى حبك عزفا
وصدى الحياة الحرة الأبية
ونور الضياء الوضيء الصادق
بكل المذاق والنشوة، وبكل السرور
فسلام وتحية لأبطالك الميامين
سلام وتحية لجبالك الشاهقة
يا وسام بسالة الأفغان، يا بكتيا
يا من قد أصبت قلب العدو، يا بكتيا

كونرك يا وطني[1]

كونرك[2] ما أعظم شأنها ياوطني !
كونرك، بكل أرجائها صارت أفاع تنهم الأعداء
تنهم الطغاة الظالمين، والمعتدين الجائرين
تنهم الجيوش الحمراء، تنهم الروس الحمر

---

(١) هجرونه أو زجرونه (المهجر والزجر) ٥٤.

(٢) كونر: اسم إحدى الولايات الشرقية الأفغانية الثلاث. وهى أول ولاية بدأ فيها الجهاد الأفغاني. وأول ولاية يتم تحريرها وتطهيرها من الشيوعيين سنة ١٩٨٨م، حاضرتها مدينة أسعد آباد، ومن أبرز الشخصيات في كونر الشيخ الشهيد جميل الرحمن مؤسس الحركة الإسلامية في وادي پيج، ورئيس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة. وعدد سكانها ٣٣١,٠٠٠ نسمة.

كونرك، ما أحسن فورانها، يا وطني !
تفور بكل أرجائها تغيظا كالتنور
تتلوى فيها ألسنة اللهب الأحمر
يحترق فيها الأعداء احتراقا
كونرك، ماأجمل بطولتها، يا وطني !
يتساقط فيها مطر الرصاص الأحمر مدرارا !
إنها مسكن المقاتلين الشجعان وحريتهم
من القبائل الأفغانية الباسلة
كونرك، ما أعظم شهداؤها، ياوطني!
إنها لعلامة محرقة فوق فؤاد العدو
ولكنها مصباح مضيء ينير لقلبي
وحديقة للشهداء من الشبان الشجعان
يا وطني، ما أحسن قصص كونرك !
إنها لقصص العزيمة، وحكايات الهمة والقتال
ما أحلاها من قصص، وما أعظمها من حكايات
كونرك، ماأعظم كرامتها، يا وطني !
أودية من الكرامة تتناثر فيها هنا وهناك
إنها لنجوم زاهرة على جبين التاريخ
محمرة بدماء العدو الماكر الخبيث
كونرك، ما أجمل بسالتها، يا وطني !
لها قصتها الرائعة في الشجاعة والسيف
لها نورستانها[1] الباسلة

(١) نورستان: منطقة جبلية في أعالي ولاية كونر، وجزء منها يقع في ولاية لغمان، وتنقسم جغرافيا إلى نورستان الشرقية والمركزية (الوسطى) والغربية والمنطقة كلها جزء من سلسلة جبال الهندوكش؛ وكان أهلها يعبدون الأصنام، ومن هنا كانت تسمى كافرستان (أرض الكفر) أو كوهستان (الأرض الجبلية) وقد دخلوا الإسلام على يد الأمير =

وفيها «بيج»[1] البسالة، وصافيتها البواسل
يا وطني، ما أعظم كرامة كونرك !
كونرك قلادة الكرامة في جيد ننجرهار[2]
ومفخرة عظيمة للديار الأفغانية كلها
أمن وسكون واطمئنان لفؤاد تسكين
كونرك يا وطني ما أعظم أرجاؤها

في جواب من قال لترهكي عالما[3]

ما أنت بعالم عاقل ولا بزعيم
ولا برفيق شفيق لفئات الشعب
إنك لعميل ذليل من عملاء الروس
عميل حقير لأعداء البشرية

***

إنك نصير للشعب تدعى ذلك باللسان
إنك غدار كبير، ومكار عظيم

عبدالرحمن خان سنة ١٨٩٦م. وحول اسمها من كافرستان إلى نورستان (أرض النور).

(١) بيج : اسم معناه الانعطاف والالتواء والاعوجاج، وهو واد جميل من أكبر الوديان في كونر مساحة وحركة ونشاطا، حيث اشتعلت فيه الشرارة الأولى للثورة الإسلامية على يد الشيخ الشهيد جميل الرحمن، ومنه طارت حتى شملت ولاية كونر كلها، وكانت «ننكلام» أكبر مدنها هدفًا للشيوعيين، حيث أحرقوها تماما أيام نور محمد الترهكي الحاكم الشيوعي الأول في افغانستان. ونهر بيج من أهم روافد نهر كونر، وهو ينبع من منابعه في أعالي جبال نورستان ويشق طريقه بين منحنيات وتلافيف وادي بيج ومنحدراته حتى يصل إلى مدينة أسعد آباد. حاضرة ولاية كونر.

(٢) هجرونه أو زجرونه (الهجر والزجر) ٩٠.

(٣) ننجرهار: اسم إحدى الولايات الأفغانية الشرقية، تقع في شمال ولاية كونر، ولغمان، حاضرتها مدينة جلال آباد ويقع ممر خيبر على حدودها الشرقية وتعتبر من أخصب أراضي أفغانستان، وأكثرها ازدحاما، ونشاطا وعاصمتها جلال آباد قاعدة من أهم القواعد العسكرية في افغانستان ومن أهم شخصياتها في العصر الحديث الشيخ الوقور محمد يونس خالص رئيس حزب باسم الحزب الإسلامي، لعب دوره البارز في الجهاد الأفغاني.

تربيتك من تربية المخادعين الماكرين
تربيتك من تربية الروس الظالمين المتجبرين
تأكل لحم الفلاحين الكادحين أكلا لما
تمص دماء العمال الساهرين مصا
إنك لعدو للكادحين المعدومين
عدو لدود لفقراء الوطن

نص (١٣)

احتلال أفغانستان وإعلان حكومة ببرك[1]

يا جسدي يا بدني
يا وطني يا غالي
إن جبال كرامتك الشاهقة
وجدران شرفك وكرامتك
تواجه عاصفة دامية من الشمال
ألسنة لهب حمراء تنهمر كالمَطر
أيام سيئة وليال أسوأ
تنتشر من حولنا، وتمتد إلينا
يا وطني الغالي
يا جسدي، يا بدني

* * *

إلى متى ستمتص الدم، ألا تشبع؟
ستنفجر، ولن تعيش طويلا

(١) هجرونه أو زجرونه (الهجر والزجر) ٩١.

من دمـاء الشعـب الأفغانـي
يـا عاتـي العصـر المتكـبر
هـذه السـيول مـن الدمـاء
وهـذا النـواح والعويـل في كل بيت
وهـذا البكـاء وهـذه الاستغاثـات
ستتحـول نـارا وألسنـة من لهـب
ستتـذوق طعـم الحـروب
يـا عاتـي الدهـر المتجـبر
لـن يكـون هـذا الشعـب عبدا
ولـن يقـع فـي الشبـاك يومـا
لن يكون سـيء السمعـة باسمـك
اعلـم هـذا جيـدا وافهمـه
ولا تغـرنـك الدبابـات
يـا عاتـي العصـر المتجبـر
هـذه الليالـي المرهقة المتعبة
وهـذه الانزجـارات والمضايقـات
سنقـوم بتحطيمهـا بقـوة الإيمان
واعلـم قوانـا وافهمهـا جيـدا
يـا عاتـي العصـر المتجبـر

الشاعر الصادق كل زرك زدران[1]

الشـاعـر من مواليد منطقة «زدران» بولاية بكتيا بجنوب أفغانستان وبكتيا مهد البطولات الإسلامية في عصر الجهاد في الوقت الحاضر. ومهد الشجاعة القتالية،

(١) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ٢٧٤-٢٨٩.

والشهامة الأفغانية، والنخوة الإسلامية، والبسالة والإقدام، قدمت للجهاد الإسلامي من أمثال جلال الدين وعبد الحق. وقدمت للأدب والشعر من أمثل «كل زرك خان زدران» والذي تقلد كثيرا من المناصب العسكرية في الجيش الأفغاني، والجامعة الحربية في كابل .

إنه عسكري صارم وعالم فاضل، وشاعر مرهف، وأديب حصيف، وكاتب نبيل، وناثر نزيه، وشاب مجاهد مقدام، صارم القلب، جريء الفؤاد، ناطق بالحق، صادق البأس، صنديد من الصناديد له جولات وصولات في النضال مجاهدا وفي الحرب مقاتلا، وفي الأدب شاعرا وناثراً مجاهد بالقلم والقدم والنغم .

إنه من المغاوير، نرى في كل بيت من أشعاره المثيرة صيحة الحق، وصرخة الجهاد، وشموخ الخيال. والدعوة الصادقة إلى الوثبات على الأعداء، والقفزات على الأعوان العملاء. إن كل بيت من شعره يشتعل ناراً، وكل عبارة من عباراته تصرخ صرخة الجهاد الصادق، وهي أمور مثيرة ومهيجة، تثير مشاعر المجاهدين الأشداء، كما تثير مشاعر كل مسلم صادق حساس . . إنه دعوة صادقة إلى التضحية والفداء، وإلى البذل والعطاء، وهو يجسد هذه الصفات في نفسه .

ديوانـــه :

ديوانه بعنوان «صرخة الحق=د . حق جيغه» و«صرخة الحق» مظهر من مظاهر أفكاره، وفي ديوانه تصوير رائع لموضوعات تلك الأفكار التي يتردد صداها الجميل بين الجبال العالية والوديان الهادئة في مساكن الأفغان ومنازلهم وبكتيا مسقط رأس الشاعر جزء منها .

تصوير موضوعـات الديـوان :

يصور الشاعر بخياله الشامخ موضوعات جهادية كثيرة، ويعبر عن مفاهيم إسلامية عديدة، ومن الموضوعات والأغراض التي صورها الشاعر بصفة خاصة . . موضوع الإعجاز القرآني في قصيدته «العناية الإلهية» وكذلك موضوعات الجهاد العملي وأسراره ورموزه الإسلامية، والغيرة الأفغانية على الإسلام وأهله، والشجاعة

الأفغانية للدفاع عن الإسلام والوطن، وما قدمه الأفغانيون من التضحيات الجسيمة دفاعا عن العقيدة والمثل، فقد صور الشاعر هذه الموضوعات فأحسن تصويرها، والتعبير عنها، وقد شخص بصفة خاصة مشاهد شهامة الأفغان، وجسد بطولاتهم تجسيدا رائعا يأخذ بالألباب .

يصور بالإضافة إلى ذلك آلام الأيتام والأرامل والثكالى على أنها لون جديد من ألوان البطولة ورباطة الجأش . . . يصور ما يشعر به كل هؤلاء وهؤلاء من الغليان في النفوس الثائرة. والحرقة في القلوب المكلومة، وذوبان الأفئدة والنفوس بلهب النار، ومن البكاء والنواح، والصراخ والصياح، ومن الأنين والاستغاثة والآهات .

ويصور بكل دقة ورقة ابتسامة المسلم في جهاده البطولي . . وبكاء الشيوعيين وحسرتهم على قتلاهم، وأنهار الدموع الدامية الجارية فوق وجوههم، وهم في طريقهم إلى الغرق في بحر الآلام والأحزان خوفا من طوفان الجهاد . .

يصور الشاعر زدران هناك في أفغانستان المرتفعات وما فيها من الثورة الإسلامية، والجبال وما فيها من الشموخ الإسلامي، والمنخفضات وما فيها من الهدوء الثائر. ويصور ما في تلك المرتفعات والجبال والمنخفضات من خنادق للمقاتلين المسلمين. وما فيها من المواقع والمخافر والمراصد ومن عرائن لأسود الجهاد لمهاجمة الروس الثعالب، وقد برع الشاعر في التعبير عن هذا الجانب وتصويره تصويرا رائعا . .

يصور بالكلمة والخيال مشاهد مضحكة مبكية مزيجها ابتسامة المسلم بالانتصار وبكاء الشيوعي بالهزيمة . . تلك هي مشاهد هؤلاء الخنازير الروس وهم يهربون من مواجهة جندالإسلام، وحاملي راياته في الجبال والسهول والفلوات مخلفين وراءهم القتلى، وأذيال الخيبة، وعار الهزائم المتلاحقة في ميادين الوغى، والزحف المقدس يصور مشهد هؤلاء الهاربين. وهم يدوسون آمالهم وطموحاتهم في السيطرة على البلاد بأقدامهم القدرة وكيف تبدلت آمالهم بالآلام والطموحات بالأحزان، وكيف غدت اعتداءاتهم مفاخر للأفغانيين، وكيف أرسل المقاتلون المسلمون الأفغان كثيرا من هؤلاء الخنازير الأنجاس إلى نار جهنم !

أسلوب الشاعـــر :

أسلوب الشاعر زدران في مجموعته الشعرية «صرخة الحق» أسلوب وصفي رصين، فيه حوار الحروب، ووصف المشاهد، وتصوير المعارك والانتصارات، وفيه الرصانة الأدبية والـرشـاقـة المعنوية، والروعة الجمالية واللغوية، ذلك لأن الجميل هو ذلك الإبداع الذي يتضمن قدرا كافيا من التناسب والتناسق في التصوير والتناظر والتماثل في التعبير، والإحكام والقوة في المعنى، والإعجاب والانسجام، وهذه كلها عناصر تتوفر في أسلوب الشاعر زدران، ولهذا فمكانته عالية في الشعر الأفغاني الخاص بحقل الجهاد الإسلامي وما ذلك إلا لدقة تصوره وخياله، وحسن تصويره وتعبيره، ففي شعـره الجهـادي كثـير من المعاني والصور التي تشهد له بجودة الخيال والتشخيص والتجسيد، وبعد مرامى النظر في مشاهد الجهاد، والذي يراجع مجموعته الشعرية يجد فيها ما لطف من وصف، أو تصوير، أو مجاز، أو حكمة، وقد قرن كل ذلك بقوة العبارة، وجودة الأسلوب والألفاظ وكثرة التفنن في الخيال وإنشاد الشعر الجهادي، وإذا استثنينـا شغفه بالإغراب والتكلف اللغوي، والأسلوب التكراري فإن معظم شعره من النمط العالي في معاني الجهاد .

شغفه بالإغراب :

يؤخذ عليه أنه يتوغل في صميم اللغة الأفغانية القديمة فيقوم باستخراج ما ليس بمستعمـل فيستعمله، ويتـوغل كذلك في بحر اللغة الأفغانية الحديثة فيختار منها المصـطلحـات الحـديثـة فيقـوم باستخـدامهـا، كذل يتوغل في عقله وفكره ليضع مصطلحات جديدة لمفاهيم جديدة لتحل محل الكلمات الأجنبية في أسلوبه، ويأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة. ويأخذها بقوة ويصورها أيضا بقوة، وذلك لهيامه بالغريب من المعاني والصور والألفاظ التي يحتاج في فهمها إلى تأمل ومشقة، وهذا النوع من الشعر لايصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر وكد الخاطر، ويعاني من يطالع ديوانه نوعا من الاضطراب إذ يقف حائرا بين طلاسمه اللغوية .

ونستطيع بسهولة بالغة أن نضع أيدينا على حشد كبير من تلك الكلمات والألفاظ، وهذه المصطلحات التي قام بوضعها مع التصنيع المحكم في ذلك طوعا أو كرها .

آثـــاره :

وفيما يلي عدد من آثاره الدينية والعلمية والجهادية والأدبية والتاريخية واللغوية :

١ ـ د قرآن شريف حسابي نظام (النظام الحسابي للقرآن الكريم) .
٢ ـ د حق جيغه (صرخة الحق) ديوان منظوماته الجهادية .
٣ ـ د تاريخ له خاطرونه درسونه عبرتونه (الدروس والعبر من خواطر التاريخ) .
٤ ـ پكتيا د باخون د جهادپه خپو كي (پكتيا في أمواج ثورة الجهاد) .
٥ ـ پكتيا د جهاد به غلبلو كي (پكتيا في جلبة الجهاد) جزآن .
٦ ـ د سنكر درس (درس الخندق) .
٧ ـ د جهاد قرباني (تضحية الجهاد) .

وله آثار أدبية ولغوية واجتماعية مطبوعة وغير مطبوعة، وفيها ما هو مترجم بالأفغانية والدرية (الفارسية)[1] .

مختارات من شعره :

أيتها الدولة الشيوعية [2]

يبـدو واضـحـا من كثـرة فرارك في الـبـلاد
إنـك ساقـطة الـيوم أو غدا يا دولـة الـشـيوعـيين
لا يفكـر أحـد في البـداية بالعقـل الـذي يفكـر به في النهـاية
كان عليك أن تعـرفي ما يدعـو إلـيه الإسـلام من حكـمـة
كان عليك أن تسـألي الإنـجـليز قبـل أن تأتي إلى هنـا
كان عليك أن تكـوني على علم بخـصـال الأفـغـان

(١) وينه به قلم كى (الدم في القلم) ٢٧٩-٢٨١ .
(٢) دحق جيغه (صرخة الحق) ١٩٢ .

كنت تفكرين بأنك ستجدين المجاهدين كالتشيك
فتبالك، ولعنة عليك يا حقيرة يا ذليلة التفكير
لم يكن في إمكان الشيوعيين أن يأتوا إلى هذه الناحية أبدا
لو كانوا على علم بقوة الإيمان ونصرته
ستموت جماعات الشيوعية ميتة الجيفة المتنتنة مرات ومرات
حيث إن الله تعالى يرعانا بالرحمة الإلهية

سماء كابل وجبالها مضطربة[1]

الدم الممزوج بالماء الأحمر الذي يبدو في أفق السماء
وأفق السماء الأحمر الذي يبدو فوق قمم بغمان
وبسبب أعمال عملاء الروس السيئة «جرخى»
تبدو سماء كابل وجبالها مضطربة حيرى
والقطرات الجميلة التي تتساقط من السماء
تبدو من شدة غضبها كالدموع التي تهطل مطرا
والمعركة التي تراها فوق «جرخى»
تبدو من شدة الحسرة كأنها غليان دماء مهجة الفؤاد
ولتحقيق نتائج جرائم الروس الوحشية في «جرخى»
يبدو أنهم قطعوا شرايين قلب «سيد أكبر» لتحقيق هذا الهدف
ليتني لو وقع السلاح في يدي اليوم
فلا بأس لو أكلت الرصاصات بدني
بعد القيام بالانتقام من عملاء الروس
وبعد أن يتطهر وطني من هذا القذر
إن هذا شعور ثوري إسلامي

---

(١) د. حق جيغه (صرخة الحق) ٢٢٢.

تبدو منه عزيمة الإيمان وحزمه
وهو في حقيقة الأمر جماعة وقوة كبيرة
ويبدو في ظاهر الأمر أنه سجين بلا أهل
الرعد الذي يخرج من السحب بقوة شديدة
إنما هي صيحة حسرته تبدو في دوران عصرنا واضحة
إنه يرى من الأعالي المجاهد والبطل
الذي يبدو أمام الله مشقوق صدر القميص متضرعا
هذا إعلان أحد السجناء في سجن «جرخي»
الذي يبدو أن حيوانا أبهم سقط أمامه
أيها المجاهدون أيها السجناء، يا إخوتي
يا أهل القرى والمدن، ويا أهل الجبال
الذين يدفنون أحياء في تراب «جرخي»
إنه يسعده أن تقضوا حياتكم في البيوت
إن المجاهد قد شق بطنه وأمعاءه
يبدو أن العملاء يستحيون من مشاهدته
هذا العميل الذي كان يدعي أنه فرعون
يبدو الآن الميدان الأحمر ملطخا بدمائه
إنه من صيحة الجهاد ومن ضجته تلك
يبدو الظالمون في حالة استنفار من الهيبة
في وسط أسلحة العملاء الكثيرة
يبدو الأخ المجاهد وحيدا بهذا الإعلان
إلهنا العظيم، أنت تعلم بأن يدي خالية
ليس عندي شيء آخر لأقتل به الكفرة
إن رأسي الوحيد الذي أملكه في يدي
انظر إليه الآن لأقدمه فداء في سبيلك

هـذا سـر صـادق مـن أسـرار الـتـضـحـيـات
الـتي يظهـر منهـا شـأن المسـلـم وقـوتـه الـكـبـيرة
إنـه صـوت الإيمـان بالـلـه المـلـتـهـب
يبـدو أحـد أمـثـلـتـه شـاب آخـر في موقـع آخـر
الـذي تتسـاقط عليه طلقات الأعـداء الملتهبـة سقـوط المـطر
والـذي مـن أجلـه يبـدو كـل رفـاق سجـنـه مضـطـربـين
الـذيـن لايتـألمـون بسـبـب هـذه الآهـات والآلام المـحـزنـة
فهـؤلاء بهائـم بلا رحمـة، وقـلوبهم تبدو متـحـجـرة
وقـد بقـيـت منـه يـا «زدران» هـذه الـوصـيـة
تبـدو منـه أمـنـيـتـه وعـظـمـتـه الـزمـنـيـة
لاتـقـفـوا، أيهـا المـجـاهـدون وهـاجمـوهـم
حـيث إن الـروس الحـمـر قـد احـتـلـوا وطـنـكـم
إذا كـان الـعـنـصـر الـروسي المـلـحـد سيـبـقى حيـا
فـإن «مـلالـى»[1] ستلبـس درعـهـا اسـتـعـدادا للحـرب

نـص (١٤)

أيهـا المسلمـون[2]

أيهـا المسـلمـون في كـل أنـحـاء الـعـالـم
جهـادنـا ضـد الـروس أسـاسـه الإسـلام
نحـن نقـاتـل، والمـفـاخـر عظيمـة مجيـدة جـداً
لتـجـدد ذكـريـات الهـجـرة والجـهـاد الـقـديمـة
ولـو أن أحـدا حـاول كالـروس الـذيـن هاجمـوا دارنـا

---

(١) ملالي: اسم فتاة أفغانية حاربت الإنجليز أثناء معركة ميوند الشهيرة سنة ١٨٧٩م. وقد استشهدت في ساحة الجهاد، ويضرب بها المثل لبطولةالفتيات وشجاعتهن في أفغانستان.

(٢) د حق جيغه (صرخه الحق) ٢٣٠.

فإن الأفغانيين سيلقونه في القبر بالجهاد
كان عليهم أن يسألوا الإنجليز أولا، ثم ينبحون
وكان عليهم أن يعرفوا المجاهدين أولا، ثم يأتون
لا يجلس الأفغاني ساكناً حتى يقتل العدو
ولا يترك العدو حتى يشق بطنه وصلة وصلة
إذا صدقتم بسالة الأفغان في القتال
فلا ينبغي للروس الملاعين أن يغيروا
إن قدرا كبيرا من المصابين في الحرب وكذلك القتلى
قد فرح بهم الأفغانيون، وأهل هذه الدنيا
اسودت وجوه الروس، وكذلك وجوه أعضاء حزب البرجم
بحيث ينفر منهم البشر وكذلك البهائم
إنهم على قدر من التفاهة والخفة حتى صار الصوف أثقل منهم
يضحك لمنظرهم المشين الأفغانيون والعالم كله
الخنادق والمواقع التي تبدو في جبال الأفغان
مدارس حربية عظيمة تبدو في التاريخ جلية واضحة
فاذا كان عند أحد إمكانية الكراهية والنفور من أحد
فعليك أن تتعلم فيها حكمة اليوم التي تظهر في هذا الزمن واضحة
النصرة الإلهية تلازمني في الجهاد
والقوة الكبيرة تكمن في ترك النفاق
بإرشاد القرآن يتم تكامل الإنسان
ومن غير الدين يعيش الإنسان ناقصا
وبدستور القرآن السامي يتم تكامل الشعب
وبه تتقوى حرية الأمة الإسلامية

أنت صيحة الحق[1]

إن كنت تحترق حبا في الحق فاحترق دائما
فأنت إذا صيحة حق تبدو شعلة نار ملتهبة
وبما أنك قد برزت في الأشعار من الحرقة
فلأنك نداء حق تبرز كالربابة في الأنشودة
أنت من يجعل العدو يضع على قلبه وصمات النار من الاحتراق
وماذاك إلا لأنك صرخة حق تبرز كالرمح المسنون
أنت الذي ينتقم بحرقة من أجل القلوب الجريحة
فأنت إذا صيحة حق تبدو كالسيف والسلاح الحاد
أنت من جعل العدو يئن من الأعماق أنينا محرقا
إذا أنت صيحة حق تجلو كالمدية الحادة الشفرة
أنت الذي تقدم بحرارة المواساة والسلوان للقلوب المشتعلة
فأنت بحق صيحة حق تبدو تسلية وطمأنينة للأرامل
أنت عمامة على رأس المجاهد رغم احتراق الروس
إذا أنت صيحة أدب الحق تبدو كعمامة للانتقام
أنت الذي تقوم بإحراق الإلحاد بإضرام النار
فأنت إذا صيحة حق تبدو كشعاع النار المتوهجة فيها
إذا أنت صيحة حق تبدو كنسيم للأمال
أنت الذي تتحرك مشاعرنا من اشتعال قلبه
فأنت إذا صيحة الحق تبدو كقائد في المخافر
أنت الذي تدوي صرختـه من حرقتنا أيها المجاهد
فأنت إذا تبدو صيحة حق وإعلان صادق لهذه الصيحة

(١) د. حق جيغه (صرخة الحق) ٢٣٤.

والـــذي يرمـــي نفـــســـه لحرقـــتــك ولايفــكـــر في الـــعــودة
فلتـــأثـيرك هـــذا تـــبرز صيحـــة حــق وغـــارة حق لأجـــل الحـــق
إنـــك من يكشــف للعــدو صـــورة كـــل واحـد من وهــج الاشتعـــال
فأنـــت إذا صيحـة حق، تبـــدو كشـــخـــص في يـــده مـــرآة
وبـــما أن فيـــك قصـــائـــد متـــحـــركـــة مـــن نـــار الحـــرقـــة
إذا أنت صيحـــة حـق تبـــدو كإحـدى الـــقـــوافـــل المـــتـــحـــركـــة
المـــخـــافـــر تراكـــمـــت عليهـــا المـــفـــاخـــر مـــن احـــتراقـــك
فأنـــت إذا صيحـة حـــق تظهـــر كالـــعـــلـــم المـــرفـرف فوقـــهـــا
الـــشـــيوعـــي المـــنـــفـــور الـــذي يحتـــفـــظ بشـــعـــاره من حرارتـــك
فأنـــت إذا صيحـــة الحـق تبـــدو تجـســيـداً للـنــصــر الـــعـــظـيــم
الـــذي يتـــألم مـــن إضـــرام نـــارك لأجـــل الـــوطـــن
فأنـــت صيحـــة حـــق، تبـــدو حزينـــا علـــى الـــوطـــن
وقـــتـــمـــا تحـــترق فســـتـــحـــترق مـــن اشـــتـــعـــال احـــتراقـــه
فأنـــت لذلـــك صيحـــة حـــق، تبـــدو كمـــصـــبـــاح شـمـعـــة
أنـــت باق، ولم تتـــحـــول بعـــد إلـــى لهـــب مـــن الحـــرارة
فإنـــك دون شـــك صيحـــة حـــق، تبـــدو ناضـــجـــا غـــير فـــج
الـــذي يصـــيب علامـــة الـــعـــدو مـــن حرقـــتـــك
فأنـــت إذا صيحـة حـــق تبـــدو قوســا موجهـــا إلى الـــعـــلامـــة
إن زدران قـــد وخـــز فيـــك مـــن حرقـــتـــه
فأنـــت صيحـــة حـــق تبـــدو كنـــانـــة للـــنـــبـــال

الشاعـــر غمجيـــن :

إن مرحلة الجهاد والقتال في أفغانستان قد أوجدت عددا ضخما من الشعراء من أمثـال غمخور، وجوهري وديدار، وغيرت وزدران، وغيرهم من شعراء الأفغانية، وشاعرنا «غمجين» واحد من هؤلاء الشعراء المتخصصين في إنشاد الشعر وإنشائه في

موضوعات الجهاد الأفغاني. وموضوعات ديوان «غمجين» الشعرية كموضوعات غيره من شعـراء الجهـاد نماذج أدبية إسـلامية سامية الهـدف. عالية الأسلوب، هذه الموضـوعات ألصق بالجهاد الذي أصبح من الحياة اليومية للأفغان، بيد أن تلك النماذج تبدو كأنها لم تنل الاهتمام الكافي نظرا لظروف الحرب، علما بأن اللجنة الثقافية التابعة للجمعية الإسلامية الأفغانية هي التي نشرت ديوان غمجين، فهو أكثر حظا من غيره من شعراء الأفغانية في حقل الجهاد، مع أن أصحاب هذه النماذج والدواوين الشعرية وأبطالها المنشئين هم الممثلون الحقيقيون للشعب الأفغاني، إذ هم مقاتلون وقرويون وعمال مسلمون ينحدرون من أصول أفغانية مسلمة نقية .

ديوان «غمجين» الذي أسماه «د جهاد جذبه = جاذبية الجهاد» مرآة لحياته الجهادية الصادقة، فيه تكمن أبعاد شخصيته الأدبية، وصراعات الجهاد وانتصاراته. إن تعلق الشاعر «غمجين» بالجهاد يظهر في لغته الشعرية أيضا، فالشعر الجهادي لايمكن تأسيسه بلغة مصطنعة كتلك التي يستعملها هؤلاء الشعراء الذين ينشدون الشعر في ميادين أخرى غير ميدان الجهاد المقدس .

الشـاعـر «غمجين» لايملك لغـات متبـاينـة مثـل لغة للشعر الجهادي، ولغة للتخاطب والحديث وإنما له لغة واحدة حية، دافقة، زاهية ولكنها بسيطة بساطة طبعه وحياته، عميقة وصافية صفاء جوهره، وتكمن في هذه اللغة الواحدة جميع عناصر الحياة من الجهاد بمشاهده ومناظره وانتصاراته، إنه ليس شبحا يحلق بين السحب الكثيفة في سماء أفغانستان الدامية، بل هو كائن مسلم حـي متواجد داخل تشكيلة الحياة الجهادية المتحركة بكل أبعادها وأشكالها وقوالبها المتأرجحة بين تقدم للهجوم وتأخر للإعداد .

إن جرأة التناول، وطراوة الخيال، واتساع الأفق بعض ما تميز به الشاعر «غمجين» فقصائده ذات علاقة وثيقة وطيدة بالأجواء والأحوال السائدة في البلاد الأفغانية، إن شعره الجهادي ممتلىء بتفاؤل عميق، وهو يؤمن كغيره من الشعراء الأفغان بأن النصر في النهاية من نصيب الجهاد، وآنذاك تبدأ في أفغانستان حياة أخرى جديدة في ظل حكومة إسلامية ملؤها السعادة والإشراق الإسلامي. وهو لايكتفي بالإيمان بالانتصار

الإسلامي في بلاد الأفغان، بل يسعى بكل جهده إلى زرع هذا الإيمان في قلوب الآخرين أيضا .

طبع الجزء الثاني من ديوانه «جاذبية الجهاد» سنة ١٣٦٦هـ ش (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) ورقه رديء موضوعاته لاتخرج عن الجهاد في مجموعها .

نماذج من شعره :

نص (١٥)

المجاهد [1]

إن الذي يقوم بتدمير الخندق بالقوة
مثل هذا الشخص هو المجاهد وحده
ويقوم بتدمير الدبابات في الطريق العام
مثل هذا البطل هو المجاهد وحده
ويقوم بتسوية وجوه الروس بالفحم
مثل هذا الشخص الجريء هو المجاهد وحده
إن الذي يقوم بأخذ الثأر للشهيد
مثل هذا الشخص المقاتل هو المجاهد وحده
يا «غم جين» والذي يوجد في كل الأطراف
مثل هذا الشخص النشيط هو المجاهد وحده

نص (١٦)

الفدائي الطاهر [2]

لو لم تكن في فؤادي ثورة ضد الروس
لما انتشر في العالم صوتي الوقور

(١) د جهاد جذبه (جاذبية الجهاد) ١٤ .

(٢) د جهاد جذبه (جاذبية الجهاد) ١٩ .

إنـنـي أهـاجـم الـعـدو في كل الأطـراف وفي كـل الأحـوال
سواء كان ذلـك على الـدبـابـة في الأرض أو الـطائـرة في السماء
قمت بإحـراق الكثـير منهـا، وكثـير منهـا ملقى على الأرض محطما
لا دم فيـه ولا قـدم، ولا تكـويـن لوجـوده
كـل يـوم أقـف لمراقـبـة الـعـدو في الـطريق الـعـام
لاخـوف عنـدي من قصـف الـقـنـابـل ولا مـن الـغـاز الـسـام
مائـة حسـرة وأسـف علـى الموت الـذي يتـم الـيـوم
عنـدمـا يلفـظ الإنـسـان أنـفـاسـه في حضـن أمـه بـدلال
يـا «غـم جيـن» إن الـصـفـقـة لإحـدى الحـسـنـيـيـن
الـفـدائـي الـنـقي الخـالص إمـا أن يكـون شهيدا، وإمـا غازيا

نـص (١٧)

وطني أجهش بالبكاء[1]

قد تلطخ الـيوم وطـنـي الـصـافي بالـدمـاء الـوردية الـداكـنـة
قام الـروس بإحـراق وطـنـي الـغـالي بألـسـنـة الـنـار الملتهبـة
إنـه طاغ باغ أسـود الـقـلـب، ظالـم جبار، خائـن غـدار
غصـب وطـنـي المـؤمـن بالحـيـل والـتـظاهـر بالـصـداقـة
أصبحت الفلوات والـرواسي والقـرى والمسـاكن ترابـا أسـود ورمـادا
في أول الليل الأسـود، وفي الـطوفـان الأسـود أصبح وطني بلا صدى
في انـتـظار الهـلاك والخـراب تذرف عينـاه المبصرتـان الـدمـوع
يا حسرةالـعيون، حيث حيف وجـور ، وأسـف على وطـني الجميل
في كل ركن من أركـانـه دفن الشهـداء في جمال أخـاذ جنبـا إلى جنب
يتـسـغـيـث وطـنـي في جـزع وفـزع منـذ الـصـبـاح وحتى المسـاء

---

(١) د جهاد جذبه (جاذبية الجهاد) ١٠٣.

دمرته آلام الهجرة وأحزانها، وما تحمله من المشقة
يدعو وطني المجهش بالبكاء الصغير والكبير إلى النواح
يا «غم جين» كن مستعدا للجهاد الحق، والحرية، وبإخلاص
ضع قدم همتك عالية حيث أن الوطن تحول إلى صحراء

نص (١٨)

صوت المجاهد(١)

لا تقل بهذا الأسلوب إنك نائم في غفلة
فذلك الذي يقاتل اليوم في كل الجهات هو أنا
والذي يقف خالي اليد صابرا في الطرق والشوارع
ويصمد أمام الدبابات صامداً فذلك هو أنا
والذي يقضي أياما وليالي تحت قصف القنابل والمدافع والطائرات
ويقف لها مقاوما شجاعا في ميدان مفتوح، فذلك هو أنا
والذي يقدم خدمة ممتازة للإسلام المقدس
ويشاهد مخلصا في كل المواقع والأطراف، فذلك هو أنا
والذي يبدي البسالة، والشجاعة، والبطولة
ويكمن في الخنادق والمكامن، فذلك هو أنا
والذي يتقدم للجهاد الحق خطوة خطوة وفي كل منطقة
ويتلألأ مشرقا كالنجم الساطع. فذلك هو أنا
والذي يحطم الجيوش الروسية بقوته الخالصة
ويعيش مفتوح الصدر متأهبا، فذلك هو أنا
والذي يقوم بفتح آذان العالم الصماء
وينتشر صوته الوقور باستمرار، فذلك هو أنا

---

(١) د. جهاد جذبه (جاذبية الجهاد) ١٤٠.

إن هذا سيكون تسكينا هادئا لك يا «غم جين»
فذلك الذي يتعذب متألما حزينا هو أنا
والذي يقدم رأسه فداء للدين المقدس، فذلك هو أنا

لون البقرة أسود ولبنها أبيض[1]

مهما يتحدث نجيب عن قصص الود والحب
الشيقة العذبة ذات الدلال واللطف الكثير
من أجل خداع عامة الناس بمكر وحيلة
وهي قصص مملوءة بالفساد، وملونة للإضلال
يجد نفسه بأنه في عداد المسلمين من غير وضوء
ومن حوله يقف الروس الحمر يحملون السياط
كيف يمكنه إخفاء الشمس المشرقة بإصبعين
الكل يعلم أن لبن البقرة السوداء أبيض
مادام هو يحمل في أذنه حلقة العبودية للروس
أقوم أنا «غم جين»[2] فأشرب من الحزن دم مهجتي

قافلة الربيع[3]

لا تنس أيها المجاهد حركة الربيع الجميلة
يأتي في أعقاب ربيع اليوم موسم تساقط أوراق الربيع
البس سيف الشهامة حيث ساعة الشهامة والغيرة
وتأهب للجهاد الحق بأمر الربيع حيث فرصته سانحة
اضرب العدو على وجهه، ودمر الدبابة في طريقها

(١) د. جهاد جذبه (جاذبية الجهاد) ٢٠٤.

(٢) غم جين: اسم الشاعر الذي نتحدث عنه في هذه الصفحات. ومعناه المغموم المتألم.

(٣) د جهاد جذبه (جاذبية الجهاد) ٢٢٢.

واتخذ خطوات واسعة في كل لحظات الربيع
كن إما مجاهدا خالصا نجيبا، أو شهيدا طيبا طاهرا صافيا
كن في الدنيا شهما شجاعا مغوارا من أبطال الربيع
اطلب بإلحاح الدين والوطن الحر في حالتي الموت والحياة
بعقيدة صافية نقية، وعلى ميثاق وثيق في الربيع
اجعل البسالة والبطولة الصادقة ميراثا للتاريخ
حتى يمجدك ويصفك بوشم الربيع ورسمه الجميل
انظر، إن الطريق المستقيم مفتوح، والمجاهدون يسلكونه ذهابا وجيئة
وفي كل الأطراف تتحرك قافلة الربيع العظيمة بسرعة فائقة
لايدوم عمر الشباب، إنه يمضي بكثير من الحيف والحسرة
تيقظ، إن لم تكن ممن يجهلون الربيع، وما فيه من الفرص
سيكون مسود الوجه دائما، وفاتر العينين خائفا
الذي لايفكر في العاقبة وما يترتب على خسارة والربيع
إن «غم جين» يعض على الأنامل حسرة وأسف
ويتعذب على أمل الربيع من أجل الحقيقة

النصوص

نص (١)

سره ورځ

زمونږ په وینو ئي ښکاره دواړه لاسونه سرهٔ دی
زمونږ په غوښو ئي د خولي واړه غاښونه سرهٔ دی
سرهٔ بیرغونه د خلقیانو ورته ؤنه وایئی
دا خو زمونږ د تن شلیدلی ګریوانونه سرهٔ دی
یوازي توتي نهٔ دی چه سري ښکاری زمونږ په وینو
په فوارو زمونږ دٔ وینو بازارونه سرهٔ دی
لینن نوازو خون خورو په مونږ یرغل کړی دی
کورونه سرهٔ کلی دی سرهٔ او جماتونه سرهٔ دی
ملګرو پام چه ئی دوکه په شعارونو نه شئ
په هرقدم باندي خواره کوره دامونه سرهٔ دی
زمکه ده سره فضا ده سره در و دیوار سوردی
دقام په وینو لمبیدلی زندانونه سرهٔ دی
زمونږه سرو وینو د سرو شرابو ځائ ونیوو
چه په محفل کښی د خلقیانو پری جامونه سره دی

زه به دنیا ته ددي سري کود تا څه اووایم
د غوائی میاشت ده د لیوانو کردارونه سره دی
دسرو کافرو د دی سور کفر پوښتنه مکړه
د اور لمبه ده چي پري غرونه هم داګونه سره دی
ځائ مي په خوله کښي دتکبیر نعروته پاتی نه شو
چی د هوراو مي په خوله کښي آوازونه سرهٔ دی
پهٔ رنړا ورځي حلال شوي یم د روس پهٔ توره
د حال په ژبه مي ګویانه پرهرونه سرهٔ دی
وطن فروشو د وطن د سر سودا کړي ده
دافغانی ضمیر نن څکه فریادونه سره دی
اوس د محراب او د منبر جنازه اُو وَتله
چه د دهریانو څریدلی نشانونه سره دی
پهٔ مونږه هسي رنګ نادو دي ظالمانو و کړي
چه په کتو ئي دهر چا د زړهٔ داغونه سرهٔ دی
افغانه خاوري دي پهٔ سر شوي پري پوهیږی کنه
ستاله ماتمه نن د دهر پیغامونه سرهٔ دی

نص (٢)

ہجرت

په شنو بټونو دَ طوطيانو مې غوغا خَوره شوه
په کور وکلي مي د ظلم انګولا خوَره شوه
د ملحدانو د ظلمونو غلبلئي راغلي
په غر او سمه د بمونو زلزلي راغلي
په هر قدم باندی دسرو دړزو نيران جوړشو
په هر چمن باندی دسرو وينو باران جوړ شو
يو ځائی په وينو لمبيدلي شاه زلميان پراته
بل ځائی ګلونه ترمی ترمی ماشومان پراته
پيغلو ميرمنو په سرو شونډو وو جامونه ايښی
دخپلو وينو ئی په مخ باندی خالونه ايښی
دناز ګلونه په ګل بوتي کښې هيڅ پاتی نه شو
ژارم په دی چه هم ګل بوتي لاړو پاتي نه شو
په ټول وطن باندی دسرو وينو څادر وغوړيد
خوپه کنړ کښې خاص دسرو وينو بستر و غوړيد

کلی ښارونه ډیري وراني زمکي شاړي شولي
دننګ غیرت کړی هرچاته ورپه غاړه شولي
څوک د وطن د آزادی له سره جاړ شولو
څوک له وطنه لاس په سری تار په تار شولو
آه د دی لوی وطن مرغی خوری وری شوی ولی؟
آه د دی لوی ملت اسری زړی زړی شوي ولي؟
زه هم له دی غمه نه یو ساعت بي غمه نه وم
د زړه مي ویني څڅیدي سترګي بي نمه نه وم
لکه مرغی دخپلی جالی نه بی و شومه زه
د زور و ظلم په سیلاببانډی لاوء شومه زه
خپلی قبلی ته می کړه شا دعبادت په طمعه
له کوره لاړمه صحراته د هجرت په طمعه
په مازیګر مي سترګي پټي دخپل درنه کړلي
پښی می سپکی هغه دم دسم او غرنه کړلي
خلق و تول له کلو تلی بس یو زهٔ پاتی وم
په اندیښنو کښې ومه ډوب په څهٔ او څهٔ پاتی وم
وداع می وکړه کور وکلی د بار ګامه سره
اوښکي مي توی کړی د اسمار او د دانګامه سره

د سر دپاسه جهازونه دم په دم غریدهٔ
ډاور لمبي وي خوري شوي جهنم غريده
یوخوا ړلئ وه د بمونو شور و شر جوړؤ
بل خوا په واورو غرونه ډک و تری سقر جوړؤ
په داسی حال کښی د هجرت ؤ کاروانونه روان
ژرا فراق و دهر چا په مخ سیندونه روان
په لاره تلمه له هیبته کور وکر شومه
د لیونو غوندی په غرونو باندی سر شومه
مخه مي وکړه باجوړ ته په خوارو راغلم
د اسلامی جهاد په طمعه په اسرو راغلم
چغي مي وکړي چه دسور کفر سیلاب راغے
چه بشری قصابی کړي هغه قصاب راغے
سترګي رنړاکری اژدها ده هیوادونه تیرئی
ویدهٔ قومونه ناخبره ملّتونه تیرئی
دین و مذهب پئی مالوی قومیتونه وژنی
دبشری کرامت شمعي چراغونه وژنی
پاڅئ چه بیا زاړه یادونه عظمتونه شی ویښ
پاڅئ چه بیا د آریانا ویدهٔ بختونه شی ویښ

پاڅئ چه بیا په آب د توري دمخ آب وګټو
پاڅئ چه بیا په عقابی نظر عقاب وګټو
پاڅئ چه وخت د قربانئ د زور و ځوان دے دا
پاڅئ چه وخت د مرګ او ژوند د مسلمان دے دا
ژبه مي ستړي په دي چغو په نارو شوله
موده مي تيره باجوړ کښ په جرګو شوله
خو په هر قدم مي له دی غمه نه بار بار وژړل
طمعي اسري چه منزری په اومه تار وتړل
زړو يادونو په هر ګام باندی ژړل راتهٔ
د خان د توري صفتونه به ئی کول راتهٔ
آه په جندول کښي ديوسف نغاری نه دنګيدي
شهسوار نه وو د تورزنو توري نه جنګيدي
د عمل ځائی ؤ بي عملو په جرګو نيولي
د پښتو ملک ؤ سوداګرو په پيسو نيولی
د بی خاونده کور پشانی مي جندول وليدهٔ
جندول می خه ؤچه مرکی ته می کونتون وليدهٔ
ماويل ځم چه د خوشحال ډُنګ ديری ووينم
په پښتونخواه کښي د تاريخ د زرهٔ قطري ووينم

چه قدم ځای داحمدشاه او د شیرشاه باله شۀ
چه لشکرگاه د بت شکنو په رښتیاباله شۀ
هغه دتورو او د زغرو د ننکونو خاوره
هغه د پت او د عزت او د جنګونو خاوره
دهغی سیمي پۀ لیدلو مفتخر شومه
دهغو خلقو پۀ پوښتنه باندي سر شومه
پۀ یوه پښه می هر یو ګت د پیښور ولیدۀ
دسر په سترګو مي آواره او هم غر ولیدۀ
د مایوسی خاوري مي خلقه په سرباد کړلي
چغي ناري مي دهیهات او د فریاد کړلي
ماچه غوښته هغه شاهین هغه شهباز نۀ ؤ
ما چه غوښته هغه محمود هغه ایاز نۀ ؤ
په ننګ ولاړمي پیدا نکړه ننګ شریک نشته
دولت شریک دی پکښي ډیر خو غم شریک نشته
د عنقا نوم و پاتي شوي نور څه پاتي نه ؤ
د ننګ لښکري خوري شوي وي هیڅ پاتي نه ؤ
پخپل حرم کښي نامحرمه حیرانی پاتي شوم
په شته اولس کښي بي اولسه ارمانی پاتي شوم

لکه ویشتلي مرغۀ ناست یمه چغار کوم
او دا دغم قیصه د غمه نه بار بار کوم
اوس مي تکیه په یوه خدائی ده اوپه توره ده بس
دننګ لباس مي دي په تن کنبي دا مي زغره ده بس
سر مي داو کړي دی دخپل وطن او قام په نوم
د خدائی کریم نه قربانیږم د اسلام په نوم
څو چه‌جهان وی نوجهاد د مسلمان به وی
څو چه‌جهاد وی ننګیالی زوي د افغان به وی
شی افغانی بیرغ به پورته د افغان پۀ متو
د اسلامی علمبردارو د ایمان پۀ متو
په اسلامی وحدت به لاره د کمال شی پوره
دزړه آرزو به د جمال او د اقبال شی پوره
په بلالی جذبه به چغه د اذان وکړم
دنوی ژوند زیري به بیا پدی جهان وکړم
د دهریت په منارو به زلزلي شي خپري
په (کریملین) به د غمونو توری شپی شي خپري
رنړا به پورته له کوه طور د افغانانو نه شی
دنیا به خلاصه د (لینن) د شرمخانو نه شی

نص (۳)

محځه

په وطن جنګ دی دزړه سره اروپا ته محځه
د سیالی ورځي دی لالیه افریقا ته محځه
داؤ د سرونو وهل کیږی دناموس په ډګر
دتوری پلاره قدم مخکښی واخله شاته محځه
ټوټي ټوټي کړه ځان په پت کښی د وطن د مینی
لوګی لوګی د خپل حرمه شه صحرا ته محځه
بی وطنی پخپله مرګ دی که پوهیږی پری څوک
له هسي ژونده مرګی ښه دی بلي خواته محځه
پروفیسریی که ډاکتیری یا که پیي مخور
د جنګ د صفه نه ښا غلیه امریکا ته محځه
د جهاد فرض مقدم دے د کعبي ټه طواف
حاجی صاحبه پښه نیولي شه مروا ته محځه
خوله کښی مي ژبه ده رهبره درته څه وُوایم
دین و دنیا مي تالا کیږی هغه ودا ته محځه

یوخوا لښکري دی جنګونه بل خوا دا اندیښنه
زما عقابه اوس سیلونو د دنیا ته مځه
د تیټو سترګو ژوند به څو دبل په درکښي کوي
د خپله‌دره بي نوا بلي درګاه ته مځه
غور پري وکړه بي له توري چاره پاتي نه ده
تشو خبرو له قصرونو د جنوا ته‌مځه
غرونه باغونه لمبیدلی دی زمونږ په وینو
سترګي رنړا کړه پتي سترګی مشغولا ته مځه
د عزت ژوند دي یا مرګی دی د زلمو په جهان
د بیعزته ژوندانه شور و غوغا ته‌مځه
د دنګو غرونو د بازونو د شاهین بچیه
د مصنوعی باغ او بتونو تماشاته مځه
توبه توبه شه د بیدردو د بي ننګو کوڅو
مرګی تري ښه دی په څو ځله بي وفا ته مځه
هسي نه ته چیري صبا د پیغورونو نشي
زار و قربان شه‌دَ اشنا نه نااشنا ته‌مځه
ستا د قسمت فیصله لیک ده ستا د توری په مخ
د افغان ځویه خوشامندوله هیچاته مځه

نص (٤)

کور پهٔ کور ګله دی

چه محشرونه لړزوی هغه انګور ګله دی
زما په خونه باندي خلقه داسي اور ګله دی
د وحشتونو زلزله ده نن زمونږ پهٔ سیمه
قتل عامونه غلبلی دی شر وشور ګله دی
انسانیت چه تري له شرمه ځنی مخ پټوی
د ظالمانو په مونږ هسي ظلم زور ګله دی
دسمرقند او بخارا په خیر زمونږ په غوښومو
هغه جانی هغه قاتل هغه خون خور ګله دی
خلق ړانده ندی ښه وینی او پوهیږی پدي
په سر او خټ مي دا د چا ستک او لورګله دی
چه لوی واړه خیتی ته آچوی د مرګ په کومی
زمونږ په خونه نن صبا هغه منګور ګله دی
عالم یی وینی دهیچاله سترګو پټه نده
داسي غوغا ده چه خبریی کور په کور ګله دی

په رنړا ورځ چه دارایی دملتونو لوټي
زمونږ په ښتو هغه رهزن او هغه چور کړه دی
د انسانانو ویني څکی د سرو شرابو په ځائی
په میکدو مي د حرم هغه میخور کړه دی
سترګی یی سپینی د مشرق په خزانو پسي دی
مطلب یی نور دی خو په مونږه هسي تور کړه دی
دنیا به وُوینی طوفان د غورځنګونو زما
څه که کاروان مي په سرحد او په لاهور کړه دی

نص (٥)

ننګ

زهٔ دخدائی نوکر یم قربانئ ته یم روان
ننګ مي په اسلام کړيدی ننګ مي په افغان
ما د تکبير چغه داسلام دپاره کړيده
ما د غيرت کله دخپل قام دپاره کړيده
ما شور و غوغا د ننګ و نام دپاره کړيده
ما دا قربانی دلوی مرام دپاره کړيده
سر مي صدقه کړو مال مي هم کړۀ تري قربان
ننګ مي په اسلام کړيدی ننګ مي په افغان
زه پناه ګزين نه يمه واوره مهاجر يم
زه په دي ديار کښي مجاهده مسافر يم
زه د حوادثو سره اشنا يمه صابر يم
زه جان نثارئ ته په هرآن باندی حاضر يم
توره مي په لاس کښي ده په سر باندی قرآن
ننګ مي په اسلام کړيدی ننګ مي په افغان

نص (٦)

د کُنړ اولس ته مبارکی

کنړ دي فتحه کړهٔ پهٔ نره مبارک دي شه
لویه پښتو دي کړه ترسره مبارک دي شه

صبا بیګا چه پري دتوپو دندوکار جوړو
د میزایلو د راکټو پری انګار جوړو
د دهشکو زیکاویکو پری غبار جوړو
دسپینو تورو دغازیانو پری ناتار جوړو
هغه دهریان شو در په دره مبارک دی شه
کنړ دی پاک کړهٔ د زړهٔ سره مبارک دی شه

اسمار شو فتحه پهٔ خلقیانو غلبلی راغلي
په چغه سرای د ځنکدن سختي شیبي راغلي

په سرکاټو او په پشد دغم چپې راغلي
په کوز کنړ او په خوکی دمرګ خوه لي راغلي

په هر قدم شوي مظفره مبارک دی شه
شو سلامی دی سمه او غره مبارک دي شه

تاله روسانو کنړ خلاص کړۀ د اسلام په توره
تا د دي کور امن امان کړۀ د اسلام په توره
ولیدلی شان دی په بل شان کړۀ د اسلام په توره
بیرغ دی پورته داسلام کړۀ د اسلام په توره
د اسلامی جهاد سنګره مبارک دي شه
غازی اولسه د کنړه مبارک دي شه

د غرونو بازه اوس خبر د ننګرهار واخله
د خوګیاڼیو، د شنوارو وار په وار واخله
ورشه لغمان ته څه احوال د کار و زار واخله
دالیشنګ، د ازمرو او الینګار واخله

د مشرقی د اسمان نمره مبارک دي شه
شو دی قدم په هرچا بره مبارک دي شه

چه پیش قدم وی په جهاد کښي پیش قدم شولي
ځکه فاتح په هر قدم کښي دم په دم شولي
خپلو زخمونو له پخپله نن ملهم شولي
ځکه تولی کښي د سیالانو مقدم شولي
په نظر ته نشي نظره مبارک دي شه
د نام و ننګ د توري سپره مبارک دي شه

کنړ آزاد شو د کنړ دسیند چپي نوي دی
ورحئي او شپي کړي غزونی ګونګوسی نوي دی
د ویر ژړلو په حرم کښي ولولي نوي دی
د رژیدلی ګل په پاڼروکښي ورمي نوي دی
د نویژوند نوي سحره مبارک دي شه
لویه پښتو دي کړه ترسره مبارک دي شه

نص (۷)

له سالنګه

شی خبر د افغانانو له غورزنګه
پاخیدلي کړي دفاع له خپله ننګه
په شیبر او ماهیپر کښی زلزلي دی
د هیبت غرونه خیژی له سالنګه
د کمون د زړه ریښي دي کړلي غوڅي
مجاهده زه دی ځار شم له قلنګه
نن به اخلو خپل کسات له سره غلیم نه
که پرون مو ؤ اخستي له پرنګه
بس کابل دي او خلقیان پکښی راګیر دی
په دښمن مو ساحه کړله ډیره تنګه
دنیا والو، نه کارګر او نه بنګر شته
ځان خبر کړئ د اسلام کفر لەجنګه

نص (٨)

د وینو باران

آسمانه واوره باران مهٔ اوروه!
زه لا د وینو بارانونه لرم
ستا ټرکوونکی غاټول نه غواړمه
چی د شهیدګل پرهرونه لرم
آسمانه واوره باران مهٔ اوروه!
په وینو پالم د وطن ګلونه
کرم اوبهٔ خوړ به یی دتن په وینه
تازه به ساتم د چمن ګلونه
آسمانه واوره باران مهٔ اوروه!
زه د غلیم پر سرېلی اوروم
چی زما لور ته یی کاږه کتلی
په سره دښمن مي سري ګولئ اوروم

نص (۹)

پخه لار

په وطن چید وحشت سیلئ خوره شوه
هري خواته ویرانه شوه ویرانه شوه
ورځ وی سپینه، شپه وی توره په دنیا کښي
خو زمونږورځ هم سره او شپه هم سره شوه
آرزوگانی مي دژوند شوي ځوانی مرگی
ډولئ نه ښکاری هر لور ته جنازه شوه
گریوانونه تر لمن پوری بیژه شول
د کفن خبره پاتی شوه، زَړه شوه
عرش پری نولی له آسمانه دنور څاڅکی
چی سنگر کښي دشهید وینه ډیوه شوه
اوښکي لاندي کړي د وینو بهیرونو
د غمونو قافله ډیره درنه شوه
آزادی به پری سر لوړي ځی "رفیعه"!
په سرلوړو ککروچی لار پخه شوه

نص (١٠)

مجاهد سنگرته ځي

سپيني واوري دی پرتی خلق رپيری
مجاهد سنگرته ځي نه حصاريږی

سپينی واوري دی پرتي نه ښکاری لار
مجاهد پری ځي راځي نه وی حصار
چه پری څومره تکليف راشی خوشحاليږی
مجاهد سنگرته ځي نه حصاريږی

هرے خواته سمه غر ښکارييږی سپين
مجاهد کوی غيرت د خدائی په دين
حصارنه وی که يي سرونه قربانيږي
مجاهد سنگرته ځي نه حصاريږی

حصار نه‌شي ځه سنگر ته‌ای "ديداره"
مجاهد نه دی حصار په سپينه واوره
ستا ملگری نن صبا تول روانيږی
مجاهد سنگرته ځي نه حصاريږی

نص (۱۱)

مونږه مجاهد يو

غيرله مجاهد قوت بل حکومت منلے نه شو
مونږ په خپل وطن کښې هيڅ دهريت منلے نه شو
مونږه مجاهد د اسلام په نوم جنګيږو
په لاره د اسلام کښې دخپل سراو مال تيريږو
اسلام چه لوی طاقت دے بل طاقت منلے نه شو
مونږ په خپل وطن کښې هيڅ دهريت منلے نه شو
نه منو هيڅ کله تحميل شوی حکومتونه
په ضد د هر فساد به هميشه کوو جنګونه
قرآن چه حاکم نه وی بل قدرت منلے نه شو
مونږ په خپل وطن کښې هيڅ دهريت منلے نه شو
جوړي د نجيب لخواد صلحی ډرامي دی
حال به ئي د امين شی ښکاره شوی علامي دی
دکفر او اسلام منځ کښې وحدت منلے نه شو
مونږ په خپل وطن کښې هيڅ دهريت منلے نه شو

سوچ کوه "دیداره" چه دښمن دي ډير مکار دی
پام چه غلط نه شی کمونیزم فریب گار دی
کمون سره په یوځاي سکونت منلے نه شو
مونږ په خپل وطن کښي هیڅ دهریت منلے نه شو

نص (۱۲)

پکتیا ته

د افغان د توري نخښي پکتیا
د دښمن په زړه کښي ښخي پکتیا
جکو غرو ته دی سلام دی
ننګیالو ته دی سلام دی

هره ونه دي غیرت دی
هره تیره دي همت دی
هر یو جنګ دي بریالی دی
هر غورځنګ دي ننګیالی دی
هر بچي دي توریالی دی
نومیالی دي جنګیالی دی
ټول د جنګ په کار پوهیږی
ټول دننګ په کار پوهیږی

شازلموته دي سلام دی
جګو غرو ته دي سلام دی
د افغان د توری نخښي پکتیا
د دښمن په زړه کښي خښي پکتیا

د دښمن ملا دي کړه ماته
بیا به نهٔ ګوری ستا خواته
ډیر فوځونه دي تباه کړل
ډیر ټینکونه دي تباه کړل
دښمنان دي وار خطا کړل
څوځو واري دي په شا کړل
زور د توري دي ښکاره کړ
کریملین دی په لړزه کړ
افسانو ته دی سلام دی
جګو غرو ته دی سلام دی
د افغان د توري نخښي پکتیا
د دښمن په زړه کښي ښخي پکتیا
د دُښمن ملا دي کړه ماته
بیابه نه ګوری ستا خواته

د نیپالم په بمونو
له اسمانه په اورونو
څوڅو واری سره لمبه شوي
تکه سره شوی لولپه شوي
خو ننګونه دي ونه سول
غیرتونه دی ونه سول
یوه قصه شوي د ننګونو
د افغان د تاریخونو
کارنامو ته دي سلام دی
جګو غروته دي سلام دی
د افغان د توري نخښې پکتیا
د دُښمن په زړه کښې نېخې پکتیا

ستا په جګو جګو غرو کښې
د" نښتر" " خیړی" ځنګلو کښې
ستا باندو کښې ستا درو کښې
ستا په پیغلو په زلمو کښې

د وطن د ميني ساز دی
د ازاد ژوندون اواز دی
د رښتني رڼرا نور دی
يوه مزه ده يو سرور دی
ميړنو ته دي سلام دی
جکو غرو ته دي سلام دی
د افغان د توري نخښي پکتيا
د دښمن په زړۀ کښي ښخی پکتيا

نص (۱۳)

د افغانستان اشغال

او د ببرک د حکومت اعلانیدل

اي زماتن او بدنه
اي زما خوږه وطنه
ستا د ننګ په جګو غرونو
ستا د پت په دیوالونو

له شماله سور شمال دی
سري لمبي دی سري شیبي دی
بدي ورځي بدي شپي دی
راخوریږی راغزیږی
ای زما خوږه وطنه
ای زما تن او بدنه

ښه وبه مې ښکې مړېږې نه
وبه اچوی پائیږی نه
د افغان اولس په وینو
ای جابره د وختونو

دا د وینو سیلابونه
دا په هر کور کښې ویرونه
ژړاکانی فریادونه

دابه اور دابه لمبې شی
خوند به واخلی د جنګونو
ای جابره دوختونو

دا اولس به غلام نشی
هرګز ګیر په دام نشی
ستا په نوم بدنام نشی

ته په دی ښه وپوهیږه
مه نازیږه په ټانکونو
ای جابره د وختونو

دا د ظلم سري شیبي به
دا ستومانه ستړی شپي به
دا زجرونه او تنګسی به

دابه ماتي په ایمان کړو
شه خبرموله زورونو
ای جابره د وختونو

نص (١٤)

ای مسلمانانو

پۀ نړی کي هره خوا ای مسلمانو
زمونږ جهاد دی پہ اسلام لہ دي ژوسانو
مونږ د زمیږو ښہ غښتلی دی ویاړونہ
چې تازه شول دٔ هجرت جهاد یادونہ
کۀ بل څوک لکہ چي راغلل داړوسان پۀ کور
پہ جهاد بہ ئی پري باسی افغانان پۀ کور
انکریزان ئی وای پوښتلي بیا غاپلي
چي غازیان ورتہ معلوم وای بیا راتللي
څو غلیم نکړی مردار افغان کینی نہ
څوئي شکم نہ کړی ریتاړ هغہ پریږدی نہ
کۀ پۀ ژوبلہ دافغان مو باور وشی
روس ملعون باید هیح کلہ غاور نشتے
دومره ژوبلي روسی شوبلي او کوپړۍ هُم
چي پري خوښ دی افغانان او دانړی هُم

چي تورمخی شول روسان او پرچمیان هُم
تري نفرت کړی انسانان او چارپایان هُم
دومره سپک شول چي درني دی پري وړي هُم
ورته خاندی افغانان اوپری ټری هُم
سنکرونه چي په غرو کښي د افغان سنکاری
مدرسي دی تاریخونو کښي عیان ښکاری
که د چا سره له بل کرکي امکان ښکاری
پکښي زده کړه لوی حکمت د نن امان ښکاری
په جهاد کښي راسره دخدائی نصرت شته
د نفاق په پریښو دو کښي لوئ قوت شته
د قرآن په رهنما انسان جوړیږی
بي له دینه دئ نیمګړی چي اوسیږی
د قرآن په لوړ قانون ملّت جوړیږی
پري حریت د اسلامی امّت ټینګیږی

نص (١٥)

مجاهد

چي مورچل وران کړی په زور
داسي کس دی مجاهد
ټانک په سم سړک نسکور
داسي کس دی مجاهد
د روس مخ په سکرو تور
داسي کس دی مجاهد
د شهيد چي واخلی پور
داسي کس دی مجاهد
ای "غمگينه" په هرلور
داسي کس دی مجاهد

نص (١٦)

سوچه سرباز

که می نه وای د روس زړهٔ کښې انقلاب
خور به نه ؤ په جهان کښې درُوند آواز
پهٔ هر خوا کوم حمله لکه زمرے
که وی زمکه باندی ټانک په هوا جهاز
ډیر مي سوي ډیر پراته ویجاړ ویجاب
نه یی دم شته نه قدم او نه یی ساز
هره ورځ مي ده نیولي لویه لار
نه ډاریږم له بمبار د او نه له ګاز
نن زمان به داسی مرګ وی پهٔ سل حیف
چي دمور غیږ کښې یی ساخیژی په ناز
اي "غمګینه" ده ذ دوه ـ ؤ ګتو سودا
یا شهید دی یا غازی سوچه سر باز

نص (۱۷)

په ژړا وطن زما

نن پهٔ سرو وینو لړلی پاک صفا وطن زما
روس پهٔ سرو لمبو سیځلی ګران بها وطن زما

دي یاغی باغی پهٔ زړهٔ تکتور ظالم او غتہ غدّار
پهٔ دوستئ او چل ئي غصب کړ باخدا وطن زما

توري خاوري او ایري شول دشتی غرونه کلی کور
تور ماښام او تور طوفان کښي بی صدا وطن زما

تباهی او خرابی ته بینا سترګي تویوی
د حسرت سترګی چي حیف شو ښهٔ زیبا وطن زما

هره سیمه کښي ښخ ښکلی شهیدان دی څنګ په څنګ
فریادی دی له ګهیځه تربیګا وطن زما

لر و بر کړيو عالم ډير کړاوُونو د هجرت
غواړي کم او لوی پهٔ وير او پهٔ ژړا وطن زما

اي "غمگينه" حق جهاد او آزادئ ته پهٔ اِخلاص
گام اوچت ږده د همت چي شو بيديا وطن زما

نص (۱۸)

د مجاهد آواز

داسي مهٔ وايه ويدهٔ ئي پهٔ غفلت کي
نن چي هرخواته جنګيږی هغه زهٔ يم
خالی لاس پهٔ لويو لارو سرکونو
د ټينک مخ ته چي ودريږی هغه زهٔ يم
بم او توپ هوائی جهاز ته پهٔ شپو ورځو
چي پهٔ رد ميدان تم کيږی هغه زهٔ يم
ښه خدمت ته داِسلام او پاکي خاوري
پهٔ هرخوا چي ليدل کيږی هغه زهٔ يم
زمريتوب، زړورتوب او ښه ميړانه
پهٔ مرچلو چي پاس خيژی هغه زهٔ يم
حق جهاد ته پل پهٔ پل پهٔ هره سيمه
لکه ستوری چي ځليږی هغه زهٔ يم
پهٔ وچ زور چي ماتوی د روس فوځونه
خلاص ټټر چي هوسيږی هغه زهٔ يم

د جهان چې خلاصوی کانړا غوړونه
دروند آواز چې تل خبرېږی هغه زهٔ یم

دا به وی د تا آرام قرار "غمگینه"
په زخمی زړه چې کمېږی هغه زهٔ یم

الفصـــل الثانـــي

دور النثر في الجهاد الأفغاني.

تمهيـــد :

إن الجهـاد الأفغاني. قد شغل كل المسلمين في العالم لما فيه من عدوان الروس السافر على بلاد المسلمين في أفغانستان. يريدون الاستيلاء عليها واحتلالها قسرا .

فقـد حرك الجهـاد ضمائر كتاب الأفغان وشعرائهم، فنددوا بالاحتلال الروسي لأفغانستان. كما نددوا بتلك الحرب غير المتكافئة الدائرة بين جماعات الجهاد الأفغاني والجيوش الروسية لما لها من التدريب على السلاح الحديث، ومع ذلك فقد استبسل المجاهدون، وكافحوا، وسقط منهم الأبطال شهداء .

فقد شارك الشيخ قيام الدين كشاف بقلمه في هذا الجهاد، وجعل عنوان مقاله «الجهاد باللسان والقلم» كما شارك فيه الأستاذ «توريالى زازي» بمقال تحت عنوان «استقبال الربيع» يتحدث فيه عن مجاهد أفغاني خرج للجهاد، وترك أسرته الصغيرة بمفردها ليس لها إلا الله. وشارك في هذا الجهاد الأستاذ عيسى محمد قانع بكتابة مقـالـة نثرية بعنوان «ذكريات مواسم الربيع المنصرمة» يربط فيها ذكريات طفولته بالجهـاد الإسـلامي في أفغانستان و «خائن الشعب» مقال للشيخ الوقور خالص، وطريق الخلاص مقال قصير أيضا للأستاذ غروال و «ثلاثون نعشا» عنوان لبحث كتبه الأستاذ سيد محـي الدين هاشمي الأستاذ بجامعة كابل، لمشاركة قلمية منه في الجهاد الأفغاني . . . وغير هؤلاء من الكتاب الإسلاميين الذين شاركوا في الجهاد الإسلامي في أفغـانسـتـان بأقـلامهم وأفكارهم في القوالب النثرية والمقالات الفكرية، وذلك لإعطاء صورة صحيحة وواقعية عن الجهاد والمجاهدين الأفغان وفقا لما جاء في القرآن الكريم، ووفقا لمتطلبات السنة النبوية الشريفة، وفيما يأتي من صفحات كتاب الأدب الإسلامي في أفغانستان بعض من المقالات والأحاديث النثرية لهؤلاء الكتاب. . .

الزعيم محمد يونس خالص ومقاله خائن الأمة (ملى خائن)[1].

إن مشاركة الشيخ «خالص» وهذه شهرته، وكانت شهرته القديمة «ميرني = «الشجاع» واسمه محمد يونس، ووالده الشيخ عبد الأكبر، وجده الشيخ عبد الكريم، وهو ينتمي إلى قبيلة «خوجياني» في شرق أفغانستان، إن مشاركة الشيخ محمد يونس خالص بن عبد الأكبر بن عبد الكريم في الجهاد الأفغاني متعددة الجوانب حيث اتخذ لنفسه موقفا فكريا ازدادت معه معطياته الإسلامية في الجهاد والأدب، فيكاد أن يكون مدرسة تتعانق فيها أساليب القتال بأساليب الأدب.

مولـــده :

ولد شيخنا الوقور، ومجاهدنا الكبير محمد يونس خالص في عام ١٢٩٨هـ الموافق ١٩١٩م في «د. قاضيانو كلي» أي في قرية القضاة في «كندمك» بمنطقة «شيرزادو» بولاية ننكرهار بأفغانستان الشرقية، درس العلوم الإسلامية على يدي والده الشيخ عبد الأكبر، ثم على يدي خاله عبد الرازق بن القاضي عبد الرحيم، وأتم دراسته العالية في العلوم الإسلامية والعربية في المدارس الدينية الخاصة في أفغانستان والإقليم الشمالي الحدودي .

قضى حياته في تدريس العلوم الإسلامية والعربية، وإلقاء الخطب الدينية والإمامة في المساجد، بالإضافة إلى إذاعة الأحاديث الخاصة بتفسير القرآن الكريم من الإذاعة الأفغانية والكتابة في الجرائد والمجلات نثرا وشعرا .

هاجر إلى بشاور، وانضم إلى الحزب الإسلامي بقيادة الأخ حكمتيار، ثم انشق عليه سنة ١٩٧٩م، وأسس حزبا خاصا به يحمل اسم «الحزب الاسلامي» نفسه. ورغم تقدمه في العمر فإنه يشارك في كثير من عمليات الجهاد ويقودها بنفسه، يؤمن إيمانا لايتزعزع بانتصار الثورة الإسلامية الجهادية في أفغانستان، وقيام حكومة إسلامية صحيحة فيها، وهو يقول في ذلك: إنه لابقاء للبلاد الأفغانية إلا بالحكومة الإسلامية، لأن الشعب الأفغاني المسلم لايسمح بغير ذلك[2] .

(١) الحاج ننكيال: وينه به قلم كي (الدم في القلم) ١٤٦-١٥٧.

(٢) الحاج ننكيال: وينه به قلم كي (الدم في القلم) ١٥٢.

لن يكون بمقدوري الادعاء بقدرتي على رسم صورة نهائية كاملة شاملة لشيخ الجهـاد والأدب الإسلامي في هذا الكتاب، ما دامت ساحته قد خصصت لجانب واحد من جوانب الشيخ الوقور المتعددة. . وأعني به الجانب الأدبي الإسلامي وعطاءه في ذلك. وفي هذا الجانب يلتزم الشيخ خالص خط العقيدة والإيمان والحركة والفعل، يملك في ذلك ثقلا نوعيا، وشخصية مستقلة، وأصالة ذاتية، تجعله يقف صامداً شامخا مع المسلمين في أفغانستان، حاضرا في عقولهم وشعورهم. أدبه ينبع من الرؤية الـدينية، ولايهـرب من القضـايا الأخرى التي تهم الإنسان المسلم في أفغانستان. يتحول من مكان إلى مكان، ومن موقف إلى موقف، فهو غير ملتزم أبدا إلا أن يأوى إلى ساحة الإيمان، وإلا أن يكون مجاهدا، أو مقاتلا، أو أديبا. . ناثرا وشاعرا. أدبه يحمل وظيفة كبيرة. ويدعو إلى فكرة سامية، ويدافع عن عقيدة خالصة، لاالتفكك. ولاالتبذل، ولا الانحلال.

ويمكن التـأكد من ذلك في المقالات العلمية التي كتبها الشيخ خالص في سنة ١٣٣٦هـ ش المـوافق ١٩٥٧م وحدها، تحت العناوين الآتية : القديم والجديد، خائن الشعب، الهدف من تحصيل العلم، لأجل الوصول إلى الهدف،الاجتهاد، هل نسعى حقيقـة لإصلاح الوطن؟،الذنب المشترك، المحافظة على الاستقلال في ظل الحرية، الوحدة أو الغاية الأولى من بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، صراع الإسلام ضد الفقر والجهل والمرض، نحو الهلاك. ما هدف الكتاب المحترمين؟،من أجل بقاء المسلمين، روعة الإسلام، في هذا العصر . . . . .

آثـــــاره :

١ ـ ديني ملغلرى (الدرر الدينية) .

٢ ـ رمضانية أو د حج لارشو وونكى (الرمضانية ومرشد الحج) مترجم .

٣ ـ روح الاجتماع .

٤ ـ دين أو إسلامي تمدن (الدين والتمدن الإسلامي) .

٥ ـ إسلام د ضعيفو پوهانو أو نابوهه زوانانو به منح كي (الإسلام بين العلماء الضعاف والشباب الجاهل) .

٦ ـ خوكوته خوكه (الحلو للحلويين) منظوم .
٧ ـ إسلامي روح (الروح الاسلامية) .
٨ ـ حكمتيار صاحب خـه وايى؟ (ماذا يقول السيد حكمتيار) ؟
٩ ـ د مسئوليت إحساس د مصئونيت ضامن دي (إحساس المسؤولية ضمان المصونية) .
١٠ ـ پشتون قوم أو دهغه وظيفة (قوم البشتون ووظيفتهم) .

وفيما يلي ترجمة مقال له في مجلة «بيام حق = رسالة الحق» وكان الشيخ مديرها المسؤول :

نـــص (١)

خائن الشعب[1]

خائن الشعب هو الـذي يقـوم بالقضـاء على لغـة الشعب وعاداته المفيدة، وتقاليده الشعبية، ويقوده إلى تقليد الأجانب .

هو الـذي يخلق التفـرقـة والحقـد بين أفراد الشعب، ويفرق بينهم بتمييزات مخالفة للعدالة .

هو الـذي يقتـل في الشعب مشـاعـره الدينية الحقة، ويقضي على الشعائر، والتعاليم، والمحاسن الدينية .

إنه ذلك الذي يضحي بأموال الشعب، وأعراضه، ودمائه في سبيل تلبية رغباته الشخصية ومطالبه النفسية .

هو ذلك الذي لايتحرك غيرة على ناموس الشعب .

إنـه ذلـك الذي يقضـي على شخصيات الكثيرين لأجل رفع شأن شخصيته الخاصة .

هو الذي يتهم كثيرين من الأبرياء لينالوا الجزاء باسم المجرمين لإثبات مصالحه الخاصة .

---

(١) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ١٥٦.

هو ذلك الذي يقوم في بلده بالدعاية للأجانب، ويعمل لمصلحتهم .
إنه ذلك الذي لايقدر الشخصيات البارزة في بلده، وينظر إلى شخصيات الأجانب بتقدير واحترام، وهم لاشخصية لهم .
هو ذلك الذي . . . . . .

الشيخ قيام الدين كشاف ومقاله الجهاد باللسان والقلم[1].

تحت هذا العنوان كتب الشيخ قيام الدين كشاف مقالا عن الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وذلك في العدد الخاص لمجلة «مجاهد» بمناسبة عيدها الثالث عشر تحت شعار «ربيع عام ١٣٦٩هـ ش = ١٩٩٠م، والشيخ قيام الدين بن سرفراز خان الملقب بكشاف من مواليد ولاية لغمان، حيث ولد سنة ١٣٢٣هـ ش الموافق سنة ١٩٤٤م في قرية «نازيان» بمديرية ألنكار درس العلوم الإسلامية والعربية والأدبية في مدارس خاصة غير رسمية، وعمل في كل من وزارتي المعارف والإعلام مدة طويلة، وهاجر إلى بشاور في عام ١٣٥٧هـ ش = ١٩٧٨م، وكان عضوا في جمعية أفغانستان الإسلامية، ثم انضم إلى الاتحاد الإسلامي بقيادة الأستاذ عبد رب الرسول سياف[2]

الآثـــار الأدبية والدينية :

تفهيم القرآن الذي ترجمه إلى الافغانية، والنظام الإسلامي، والإسلام والنمو الاقتصادي، والقصة الحلوة، والرسالة المحمدية وأبوالأعلى المودودي والأصول الأساسية الأربعة وغيرها[3] وأكثرها مترجمة، وفيما يلي ترجمة المقال الذي كتبه الشيخ قيام الدين كشاف في مجلة «مجاهد» تحت عنوان «الجهاد باللسان والقلم» . .

في الجهاد تمتد اليد إلى السيف والبندقية، عندما يتم أولا تفهيم المجاهد وتعريفه بأن الجهاد فرض على المسلم، وأنه مكلف بأدائه كالصلاة والصوم والزكاة والحج، بل

(١) مجلة مجاهد. العدد الخاص بربيع عام ١٣٦٩ الهجري الشمسي ص ٥٦.
(٢) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ٥٨٦.
(٣) المرجع السابق.

إذا كانت مبادىء الإسلام الخمسة بمثابة الأركان والجدران والأعمدة لبناء صرح الإسلام وإعماره . فإن الجهاد بمثابة سقف متمم لبناية هذا الصرح ، والبيت ـ كما هو معروف ـ يتم بناؤه كاملا ببناء سقفه وتلبيسه . .

وإذا كان مجرد الاتصاف بالإيمان ضروريا لتأدية الفرائض الإسلامية الأخرى . فإن القيام بثورة الجهاد يتطلب بالضرورة التمتع الكامل بإيمان ناضج نقي حيث إن طريق الجهاد مليء بالأشواك والعقبات تتزاحم فيها المشقات والمتاعب والأحزان ، يتمكن من السير في ذلك المؤمن الذي جرى في عروقه حب عميق ، ومحبة صادقة خالصة لله ولرسوله وللدين الإسلامي الطاهر المقدس النقي . كجريان الدم في شرايينه ، والذي باع نفسه ، وأبناءه ، وماله لأجل تربية هذا الإيمان بالله وتنميته ، والذي يهدف من تحمل كل ذلك رضا الله ، والفوز والنجاة في الآخرة ، ومن المعروف أن هذه كلها ليست بأهداف مادية ودنيوية ، بل إنها ثروة معنوية عظيمة . .

كل إنسان يقاتل للأغراض المادية بناء على مافيه من الغرائز الفطرية ، وهو في هذا لايحتاج بالضرورة إلى من يحاول إثارة إحساسه وشعوره ، ولكن هذا النوع من القتال حرب وليس بجهاد ، والهدف في الحروب يتحقق نقدا معجلا ، ويكون ظاهرا للعين والبصر ، أما في الجهاد فالخطر هو الواضح الظاهر . . . وهو خوف التضحية بالحياة والمال والولد ، بالإضافة إلى أن الهدف منه غائب عن النظر والبصر وليس بظاهر له ، الأمر الذي يتطلب وجود تلك المعرفة الخاصة والبصيرة النافذة التى لاتوجد عند الماديين ، ومسئولية نشر هذا النوع من البصيرة والنور والشعاع تقع على عاتق أصحاب البيان والفكر والقلم ، هم الذين يقدرون أن يوضحوا الحكمة في الجهاد ، وفلسفته العميقة للطبقات العامة من المسلمين ، وأن يقوموا بشرحها لهم بالحديث والبيان والكتابة . وأن يشيروا في ذلك إلى ما في الجهاد الإسلامي من قيم خاصة ترتبط بالحياة الاجتماعية في المجتمع الإنساني بالتالي يسعون جادين لإثارة الثورة الإسلامية وخلقها في أفكارهم ، ويحركون أحاسيسهم ، ويوقظون مشاعرهم ، ويهيئونهم للقيام بالثورة ضد أعداء الإسلام والمسلمين بقوة الإيمان ، والمثابرة والاستقامة ، سواء أكانوا يملكون شيئا من المال والسلاح ، أم لا يملكون ، وألا يعيش في أدمغتهم مفهوم الهزيمة ، وألا

تتمكن منهم فكرة عدم التوفيق في الجهاد، بل يتعين عليهم اعتبار إحدى الحالتين، أو إحدى الحسنيين هدفا أساسيا لهم . . . إن قتل أحداً فهو مجاهد، وإن قتل فقد نال مقام الشهادة ومنزلتها الرفيعة عند الله» . . .

وقد لعب أصحاب البيان والفكر والقلم دورا عظيما في الجهاد في أفغانستان، وذلك عندما أثار انقلاب السابع من برج الثور عام ١٣٥٧هـ ش = ١٩٧٨م الدموي الذي تم على أيدي الشيوعيين المعروفين، طوفانا من الوحشية، وطغيانا من البربرية والظلم في أفغانستان، وكان من الصعب على شعبنا وهو خالي اليدين أن يواجه المدافع والدبابات والقنابل، والسلاح الروسي المدمر، وبخاصة عندما دخل مائة وخمسون ألف جندي روسي تقريبا من القوات الروسية يوم السادس من برج الجدي عام ١٣٥٨هـ ش (١٩٧٩م) إلى أرض أفغانستان مع كثير من أسلحة الدمار المختلفة وبدأت تنفذ ـ بلا رحمة ـ عمليات القتل الجماعي للشعب الأفغاني المسلم المظلوم. فإن لم يكن هنا قد تم تعريف الناس بما للجهاد من قيمة معنوية وأجر وثواب، كان من المستحيل أن يقبل العقل البشري، بناء على المقارنة المادية، وقوف الأفغان العزل أمام الاجتياح الروسي الشيطاني لأفغانستان، واستمرار مقاومتهم الباسلة بدون الوسائل الدفاعية المادية .

وإذا كان العلماء قد قاموا بأداء دروهم ومسئوليتهم في المراحل الأولى من الجهاد بالدعاية المؤثرة وبإصدار الفتاوى الدينية بشأن الجهاد، فإن أصحاب القلم من الكتاب والمفكرين كانوا يسهمون إسهاماً فعالاً يقدرون عليه ويشكرون، في تنوير أفكار الناس وفي إيقاظ أذهانهم وضمائرهم . . .

ومن خلال حلقات هذه السلسلة، وفي إطار جمعية أفغانستان الإسلامية بدأت صحيفة باسم «مجاهد» بالظهور والصدور، وكان رئيس الجمعية الأستاذ برهان الدين رباني يقوم بكتابة شيء ما بنفسه لكل عدد من أعدادها، كان الكتاب والموظفون في الجمعية قلة، والأموال قليلة في ذلك الوقت، ولم يكن نظام الحاسب الألي (الكمبيوتر) رائجا، ولا آلات الكتابة (I. B. M) كما لم يكن هناك نظام تجميع الحروف المنظم متوفرا ليتم بها طبع صحيفة «مجاهد» في صحافة مناسبة وتصميم جميل إلا أن

الموضوعات والبحوث والمقالات «الجهادية» المنشورة فيها كانت ملتهبة ومرغوبة وشيقة إلى أكبر حد، وكانت تهز أحاسيس «الجهاد» ومشاعره. ويتأثر بها ـ بالضرورة ـ كل قارىء قليلا أو كثيراً، بحيث تنشأ في قلبه رغبة التوجه الأكيدة إلى خندق الجهاد . .

هذه الصحيفة «الجهادية» لم تكن تطبع وتنتشر لتنافس الصحف الأخرى فكريا، ولم تكن توجد في بشاور معسكرات المهاجرين الأفغان، ولا المكاتب والدوائر التي لاتعد ولا تحصى الآن، ليتم طبعها وتوزيعها هنا في المعسكرات والمكاتب بل كانت تنقل إلى داخل أفغانستان بواسطة جماعة من المؤمنين الشجعان والفدائيين. وتوزع على مراكز مهمة في الداخل، كان خطر الموت فيها أكثر من تسعين بالمائة . .

أذكر جيدا قصة شخص جاءني، وهو مرسل من طرف الأستاذ رباني رئيس الجمعية، ليقوم بنقل صحيفة «مجاهد» وتوصيلها إلى داخل أفغانستان فلما نظرت إلى الرجل، وعرفت حالته ووضعه الظاهري راودني الشك، ولم أثق به ليقوم بهذا العمل الخطير، فسألته : يا أخي كيف يمكنك أن تقوم بنقل هذه الجريدة (الصحيفة)، وتوصيلها إلى أفغانستان، وأن توزعها هناك على المراكز التي نريد توزيعها فيها ؟ ؟ .

فأجابني الرجل مستغربا وشفتاه مبتسمتان :

أنا قائد شاحنة، أقوم بنقل المواد التموينية إلى أفغانستان، أذهب وأعود دائما، استلم الصحيفة، وأقوم بوضعها وإخفائها تحت مقاعد الشاحنة، ولايستطيع أحد أن يعلم بها، ثم هناك أشخاص يقومون بتوصيلها وتسليمها إلى أناس مخصوصين في وقت متأخر من الليل. ويقومون أيضا بتوزيعها في أماكن مزدحمة بالناس، فعليك أن تطمئن جيدا . . .

كانت صيحفة «مجاهد» ترسل إلى أفغانستان من ناحية، ومن الناحية الأخرى كانت ترسل إلى مندوبي الجمعية في البلاد الأخرى في الخارج، وكانت تقوم بتعريف الناس بحقيقة الجهاد في أفغانستان، وتوضح لهم أهدافه ومراميه . . .

ولما طرأ تحسن في وضع الجهاد وتقدمه ماديا وسياسيا، كان من الطبيعي أن يطرأ تحول وتطور طيب في صحافة المجلة وتصميمها.

توريالي زازى ومقاله استقبال الربيع

الأديب «تـوريالي زازى بن عبـد الـرحمن خان»[1] من أدباء وشعراء ولاية پكتيا المجاهدين في جنوب أفغانستان، ولد عام ١٩٥٠م في قرية «روكيان» بمديرية زازى بپكتيا، أتم دراسته الابتدائية والثانوية بمدرسة رحمان بابا الداخلية في كابل، وحصل على الشهادة العالية من قسم الصحافة بكلية الآداب بجامعة كابل سنة ١٩٧٥م، وقـد عمل في وزارة الرى والكهرباء، وفي مؤسسة أنيس الصحفية. وهو عضو في الجبهـة الأفغانية الإسلامية بقيادة بير أحمد جيلاني، ويعمل الآن في وزارة التعليم والتربية في الحكومة الأفغانية المؤقتة، وقد تم طبع المجموعة الأولى من شعره باسم «شموع الدماء» وله آثار أدبية أخرى لم تطبع بعد، وهو ناثر وناظم .

تحت هذا العنوان استقبال الربيع كتب الشاعر الأديب «توريالي» في العدد الخاص من مجلة «مجاهد» التي تصدرها جمعية أفغانستان الإسلامية، مقالا قصيرا عن الجهاد في أفغانستان، وفيما يلي ترجمة مقاله القصير :

«كانت شمس الصبح قد بدأت تطل برأسها من وراء الجبال الشامخة لتوها، يخيل إليك من مظهرها كأنها تصاحب بأشعتها الذهبية الدافئة، لتشايع على الطريق تفتح آمال المجتمع البشري الجديدة، والأماني الكبيرة للسنة الجديدة .

كانت الطيور المغردة تداعب أغصان الأزهار في الحدائق الناضرة الغناء الوارفة، وتعزف بمزيد من الشوق أنغام الفرح للعام الجديد.

كانت الفـراشـات ذات الحسن والجمال ترشف أوراق الأزاهير الملونة بالقبلات لإشباع عطش الوصال وإروائه بعد فراق استمر مدة طويلة، ولا تزال تكرر لثماتها وقبلاتها لحظة بلحظة .

وكانت نسمات الربيع تنشر بسرعة كبيرة فائقة بشرى حياة صالحة سعيدة، وتوقظ الكائنات من نومها وسباتها الثقيل في الشتاء البارد.

(١) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ١٣٢ . ومجلة مجاهد عدد ١٣٦٩هـ ش ص ٦٨.

نعم، كانت علامات الحب والود. وأمارات الشوق والنشوة تبدو واضحة في كل شيء، إلا أن في قرية من قرى المهاجرين الأفغان المبنية من الطين. في منطقة هنكو، بمديرية كوهات بإقليم الحدود، قام مهاجر أفغاني شاب، وقبل يدي أمه العجوز أمام بيت من البيوت، وتحرك إلى الأمام بخطوات سريعة، ولم يكد يخطو خطوات حتى أسرع بالعودة فجأة، ونادى أمه :

«أماه، أترك زوجتي الشابة وابني الوحيد جمال وديعة عند الله، ثم عندك» . .

وقبل أن تجيب أمه كان قد أسرع بقدميه إلى الأمام مرة أخرى.

أخذت الأم بكلتا يديها المرتجفتين قدحا مليئا بالماء، ورشته من ورائه، وزمزمت مع نفسها في صوت خافت ممزوج بالبكاء، وقالت :

«سر يابني، نور الله الطريق أمامك» !

وعلى الجانب اخر من باب البيت تقف زوجة «زمرك» حديثة السن، وهي تحمل في حضنها ابنها الصغير جمال الذي يبلغ من العمر عامين، انهمرت عدة قطرات كبيرة متتابعة من العبرات الرقراقة البيضاء على خديها الترابي اللون اللذين جفت فيهما رطابة الدم الناضر من مصاعب الهجرة وتعاستها، ومن شدة حرارة موسم الصيف القاسية، وكان الطفل التعس ينظر إلى أمه أحيانا وأحيانا يرسل بنظراته وراء أبيه .

وقف الثلاثة بمفردهم وقتا طويلا، ليس لهم غير الرجاء والأمل في رحمة الله العظيم الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء. مستغرقين في تأملاتهم وأفكارهم إلى وقت انضمام «زمرك» إلى رفاقه من جماعة المجاهدين على قارعة الطريق العام .

فقد ذهب «زمرك» متجها إلى وطنه. . . اتجه إلى وطنه الذي حافظ عليه آباؤه وأجداده بدمائهم لأجله. وتركوه له حتى ناله بالميراث .

ترك أمه العجوز، وابنه الصغير، وزوجته الشابة بمفردهم في بلد غريب، ليس لهم إلا الله .

سار «زمرك» ليقاتل القوات الروسية الدموية المعتدية في حربها المدمرة في أفغانستان، سار ليظهر للخنادق الملتهبة هناك حماسه للحرية بشجاعته في ميدان المعركة .

وفي الوقت الذي كان «زمرك» ينضم إلى جماعة المجاهدين الصغيرة، رفع الجميع صيحة «الله أكبر» المدوية التي أثارت في فضاء قرية المهاجرين صدى منح قبول المهاجرين الجريحة اليائسة قوة معنوية، وبشرى لحياة حرة شامخة في المستقبل.

وفي الحقيقة، إن حريتنا، ومصيرنا، وكرامة شعبنا المجاهد الشجاع البطل. وشرفه وعزته مرتبطة ارتباطا قويا بصيحة «الله أكبر» ساحقة الاستعمار، ومن هنا استقبل الآلاف من مواطنينا ربيع السنة الجديدة بصيحات «الله أكبر» العالية المدوية، وبالتوجه إلى خنادق الجهاد المقدسة لتطهير الوطن. وفي الحقيقة أيضا أن حب الدين والوطن عذب المذاق للغاية، وذو جذور عميقة بلا نهاية» .

عيسى محمد ومقاله ذكريات مواسم الربيع المنصرمة[1]

هذا عنوان المقال الذي نشره الأستاذ عيسى محمد قانع، واسمه الحركي عصمت الله، في العدد الخاص لمجلة، «مجاهد» بمناسبة ربيع عام ١٩٩٠م، حول ذكريات طفولته التي يربطها بالجهاد الأفغاني الدائر في سهول أفغانستان وجبالها ووديانها الملونة بالدماء فاللون لون دم، والريح ريح مسك، الأستاذ عيسى محمد قانع من مواليد عام ١٣٤٠هـ ش = ١٩٦٢م. وقد أتم دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدرسة بابا هوتك في مسقط رأسه، ثم التحق بأكاديمية البوليس في كابل، وهو من المهاجرين الأفغان النشطين في بشاور، من آثاره المنظومة : هدية من الدماء، وهدية الشعاع، والجرس، وهذه ترجمة المقال الذي كتبه في مجلة «مجاهد» لجمعية أفغانستان الإسلامية :

في الوقت الذي كان يقبل فيه موكب نسمات الربيع العطرة على صحاري الوطن الواسعة، وسهوله المنبسطة، وعلى سفوح جباله الخضراء الضاربة إلى الاصفرار، كانت خيام الغلجية الرحل تضرب أيضا في أطراف ميادين «كيلان» الخضراء الناضرة. وكانت دنيا الجمال والحسن، وطبيعتها الساحرة تبدو لي في ذلك الوقت شيئا من نوع آخر . .

(١) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ٥٤٥، ومجلة مجاهد، عدد عام ١٣٦٩هـ ش، ص ٨٤.

إنه مشهد بسيط لأصوات الماعز والأغنام عند البدو الرحل، وقطر قطعان الإبل الطويلة، وموجات غنائية عذبة لنايات الرعاة، وضجيج أصوات رعاة الجمال في العصر، وحياة الإنسان الأفغاني البدوي المفعمة بالبهجة والجمال تحت أطراف السماء الصافية النقية، والتغني بهذا البيت من الفولكور الأفغاني مع لهب النار أمام خيمة سوداء :

غدا، سيتم حمل المتاع العائلي للرحيل مرة أخرى

أزاهير الصحراء ستشم رائحة أطراف ثيابك

نعم، في تلك الليالي التي كانت السماء فيها صافية نقية . . كانت الحياة بآمالها الميمونة، وأمانيها الحلال مطوية مع ركض المساعي للإنسان، في كثير من الزينة وبهجة اللون. وكان شذا النباتات الحديثة النبت والنمو في الجو المحيط بخيام الرحل أذكى رائحة من كل أنواع العطور .

لم يكن النفور والكره والنفاق قد انتشر بعد، وما كان فؤادي الصغير البريء يرى غير بهجة الجمال، لم أكن أعرف الكراهية والحقد. الله وحده يعلم. . متى ستعود تلك الأيام إلى أعشاش الأفغانيين المغبرة، وخيامهم السوداء ؟! وفي الصباح إذا ما رفعت الشمس رأسها من وراء الجبال إلى الأعلى، وضمت قريتنا الخضراء الجميلة بين أحضان أشعتها الذهبية، عندئذ كان يبدأ قطار مساعي الحياة الفاضلة بالتحرك أيضا . .

وعندئذ كان الآباء يبدأون أعمالهم في حقولهم الناضرة، ومزارعهم الخضراء المائلة إلى الاصفرار، وتشمر الأمهات عن سواعدهن لشؤون البيت المختلفة، والقيام بإعداد أولادهن للذهاب إلى المدرسة . .
يأخذ الكبار الفؤوس، والرعاة العصى .

ويبدأ الرعاة مع حملانهم وأغنامهم ينفخون في ناي الحياة فيحركون قطار الأغنام البشرية مع رونق بسمة الربيع جنبا إلى جنب .
ونحن الأطفال الصغار كانت لنا مسؤولية أيضا . . تقوم الأمهات بإلقاء الكتب

في أحضاننا، لتوجيهنا نحو المدرسة. تلك الأيام كانت ذات بهجة في نظري، وتلك اللحظات من الحياة كانت عذبة جدا في نظري، لن أخرج اللذة المفعمة بالبهجة والسرور لتلك الأيام من صندوق مخيلتي الصغيرة .

كانت ساحة كبيرة تمتد بين قريتنا وبين المدرسة، كان الغلجيون الرعاة يتخذونها في الشهور الأولى من الربيع مسكنا لهم، وينزلون فيه بصفة مؤقتة، كان هؤلاء الغلجيون يأتون إلى هنا من المناطق الحارة. ويرسلون عائلاتهم إلى «ناور» العليا عن طريق «شاجوى» و«كيلان» .

وكانت الكلاب الضخمة الكثيفة الشعر تبدو بين عائلاتهم، كانت الأمهات يقمن بتخويفنا من خطر تلك الكلاب في أكثر الأوقات، كما يقم بإرشادنا بألا نمر بالقرب من خيام هؤلاء الرحل، خوفا من عض هذه الكلاب المفترسة الضخمة، ومن أذاها لاسمح الله. وكنا نحن التلاميذ نمر بعيدا عن الخيام في أكثر الأوقات عملا بنصائح الأمهات. وخوفا من الكلاب، إلا أن خوفنا ذلك قد تلاشى بسرعة. . . وطردنا من قلوبنا تصور تلك الكلاب الكثيفة الشعر المحيطة بالخيام، والحارسة لها، وفي الحقيقة فقد ارتحل هذا الخوف بقوة العاطفة إلى حدما عن قلوبنا . . .

نعم، في ذلك اليوم الذي هاجمني كلب أسود أمام خيمة شمال خان أحمد زى، فرميت الكتب على الأرض بسرعة، وخرجت من فمي الفاغر صرخة كبيرة، وسقطت على وجهي فوق الأرض. . . ووضعت اليدين فوق العينين، إلا أنه بسرعة رهيبة رفعتني يدان قويتان ذات حيوية من الأرض، وقامتا بضمى إلي الصدر بقوة .

نعم ، الذي رفعني من الأرض كانت سيدة بدوية. . هذه السيدة البدوية قد وضعت يدها فوق رأسي بعد دقائق، وخاطبتني في لهجة حانية : أيها الطفل البريء. . لقد خفت من الكلاب؟! أنا على قيد الحياة، ليس في إمكان الكلاب أن تعضك تعال إلى الخيمة، وفي الخيمة طمأنتني مرة أخرى على أن هذه الكلاب لن تنبح وراءك ثانية، لقد ظننت في ذلك اليوم بأنني قد عثرت على كل شيء .

وصلني حديث السيدة البدوية العذب. وطمأنينتها، والحليب واللبن الخض إلى درجة أنني كنت في السابق أمر على بعد مائة قدم من الخيمة، بدأت أتوجه إلى خيام

الرحل مرتين في اليوم حتما، وكنت أتمتع بالاستفادة من العطف المليء بالرضا للأخت البدوية . .

في ذلك اليوم الذي كنت أعود فيه من المدرسة إلى البيت كانت السيدة البدوية قد أعدت لي باقة كبيرة من الأزهار الطبيعية في الصحراء، وفي أثناء الوداع قالت لي: زهرتي! هذه الأزهار هديتي الأخيرة لك في ربيع هذا العام، هذه الزهور جميلة مثلكم أيها الأطفال، عمر هذه الأزهار قصير، أما أنتم فأرجو لكم أن تكونوا دائما في نضرة وبهجة وسرور، غدا ستقوم عائلاتنا بحمل الأمتعة للرحيل في وقت مبكر، وسأقوم بإحضار هدية لك من «ناور» . .

عدت إلى البيت في ذلك اليوم بخطوات مهتزة غير ثابتة وكنت أظن أن هذا الطريق سيقوم برش الأشواك أمام عيني، كنت أحس بأن حرماني من حنان أخت كبيرة مشفقة شديد وقاس لايطاق، وفي صباح اليوم الثاني خرجت من البيت مبكرا في وقت الأذان. . . وجدت أن خيام الرحل قد حملت، وأن العائلات البدوية قد ارتحلت، وكانت الأزاهير الطبيعية في الصحراء تشم أطراف ثيابهم إلى مدى مسافات بعيدة، وكان هذا البيت من الشعر يخرج من أعماق الصغير بمصاحبة الدموع . .

غدا، سيتم حمل الخيام للرحيل مرة أخرى

زهور الفلاة ستتمتع بشم روائح حواشي ثيابك

كانت الليالي والأيام تتقلب في أحضان الزمان من جنب إلى جنب، ويمضي الزمان وقطار الحياة يتقدم ويتحرك إلى الأمام، بذلت وحاولت كثيرا الوصول إلى السيدة البدوية ولكنها كانت الآن بعيدة عني كثيرا، وكانت مساكنهم قد تغيرت وتبدلت أيضا .

بحلول السنة الثانية لفاجعة برج الثور (انقلاب إبريل ١٩٧٨م) بسطت يدي إلى البندقية، وتوجهت مع جماعات المجاهدين إلى خندق الجهاد، كان الرحل المتجولون يقدمون الشاي والخبز إلى المجاهدين أيام جهادهم وقتالهم، هذه السنة كانت سنة الجهاد، وكان الجهاد يسير بكامل قوته، هذا العام لم يأت ذلك الربيع الذي كان ينشر

في فلواتنا وصحرائنا هدايا من المخمل الطبيعي الأخضر، في هذة السنة تشهد الفلوات إحدى الجرائم البشرية البشعة (في أفغانستان) كل شيء كان يبدو متغيرا، كانت جمرات النار الحمراء تنبع من الفلوات بدلا من الأزهار، وتعود فتستقر في صدر الصحراء مرة أخرى، وفي العصر عندما تلاشت الشمس في قمة الجبل، أقدمت جماعتنا أيضا على الهجوم، وفي الصباح الباكر مع ظهور أشعة الشمس الأولى تمكنت الجماعة من إنهاء تسلط حكم الأوباش عملاء الأجانب الغرباء على مديريتنا، والقضاء عليه .

نعم، تحررت مديريتنا، إلا أن الاعتداء الانتقامي للعدو قد بدأ في وقت الضحى ، وأصبح ميدان البدو الرحل في «كيلان» ميدانا لحربنا مع العدو، وعندما فشل العدو الجبان العديم الغيرة والكرمة في التمكن منا، وجه طائراته الحربية إلى خيام البدو الرحل العزل من وسائل الدفاع ، وضربتها بالقنابل ، واضطر هؤلاء البدو الرحل إلى الرحيل، وفجأة شاهدت مرة أخرى السيدة البدوية المتجولة في قافلة الرحيل الحاملة الأثقال، والتي كانت قد تغير اتجاه عائلتها المتجولة لسبب ما لايعلمه إلا الله. وعندما وقع نظرها على اقتربت مني بسرعة، وقالت : يا زهرتي، لقد كبرت ، وأصبحت مجاهدا، لعلك لاتخاف الآن من الكلاب. وكان العائلات المتجولة في حالة حركة دائبة. وفي أطراف الصحراء لم تكن النباتات الخضراء، والزهور الحمراء تشم أطراف ثيابهم هذه المرة، وذلك بخلاف ما يقوله هذا البيت من الشعر :

غداً سيتم حمل الأثقال (الأمتعة) للرحيل مرة أخرى
رياحين الفلاة ستشم نسيم رائحة أطراف ثيابك

بل في هذه المرة كانت النار الحمراء تلاحق أطراف ثيابهم بلسانها، وكانت القافلة تسير مضطرة نحو مصير مجهول .

محمد عارف ومقاله طريق الخلاص[1].

شارك الاستاذ محمد عارف غروال في الجهاد بقلمه، حيث كتب مقالا قصيرا تحت عنوان «طريق الخلاص».والسيد غروال كاتب متمكن في النثر والشعر معا، وله مشاركة عملية فعالة في كل من فنون الأدب والتاريخ والاجتماع، فقد زاول الكتابة، وعالج التأليف، وعرف الأساليب الأدبية، والمدارس الفكرية والاتجاهات العلمية، وله إسهامات قيمة في هذه الميادين، كما أن له اقتدارا عظيما في البحث والفحص والدراسة، يمتاز في ذلك بالدقة والتحمل .

ولد غروال وهذه شهرته واسمه محمد عارف بن رحمة الله بن نور محمد، في سنة ١٣٢٤هـ ش الموافق سنة ١٩٤٥م بولاية پكتبا، في أسرة متدينة، وفي صغره درس القرآن الكريم وبعضا من المبادىء الإسلامية في مسجد قريته، وقد أتم دراسته الابتدائية والثانوية بمدرسة عبد الرحمن بابا الثانوية في كابل، كما أتم دراسته الجامعية بكلية الآداب بجامعة كابل، وحصل على الشهادة الجامعية في الأدب الأفغاني عمل مدرسا ومحققا وكاتبا، من آثاره :

١ ـ تحقيق ديوان دولة الله اللوانى .

٢ ـ تحقيق ديوان عبد الرحمن بابا .

٣ ـ تحقيق الجزء الأول من ديوان خوش حال خان .

٤ ـ نوافير الدماء مجموعة أشعار الجهاد .

٥ ـ الأفغاني المبارز الشجاع .

٦ ـ القنابل والهموم، منظومات من شعر الجهاد .

وله آثار أخرى مطبوعة وغير مطبوعة، في الأدب، والدين، وفي العلوم الاجتماعية واللغوية والطبية باللغات الأفغانية والدرية، والإنجليزية .

غروال ناظم وناثر، وقد شارك في الجهاد الأفغاني بلسانه وقلمه ويده، وفيما يلي ترجمة مقالته بعنوان «طريق الخلاص» . .

---

(١) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ٤٧٧-٤٨٦ .

نــص (٢)

إن الإنسان يواجه في حياته أحيانا صعوبات ومشكلات بحيث تجعله ـ كما قيل في المثل ـ يفقد طريق العبور إلى بر الأمان، ولا يفهم ماذا يفعل، وأى طريق يسلك، حتى يتمكن من العثور على طريق الخلاص والنجاة. وفي مثل هذه الحالات الصعبة يفقد كثير من الناس والأشخاص ذاتهم وشخصيتهم ووجودهم الشخصي والذاتي، ويختفون عن الساحة بحيث لايعرف أحد من أخبارهم وأحوالهم بعد ذلك شيئا. ولكن الاستسلام في كل الأحوال والأحداث والنوائب عار قبيح، والحق أن النور يأتي بعد كل ظلمة، والصبح بعد كل ليلة وبناء على ذلك يجب على الإنسان أن يبذل جهده سعيا وراء تسيير نفسه، وأهل مجتمعه على الطريق الذي تكمن فيه بهجتهم وسعادة مستقبلهم .

وبما أن ظلمات الكفر والإلحاد والشيوعية والظلم، والوحشية والبربرية قد بسطت على وطننا العزيز أفغانستان رداءها، وغطته به اليوم، وبما أن قنابل النابلم تتساقط اليوم سقوط المطر على مرتفعات وطننا العزيز، ومنخفضاته، وعلى جباله وسهوله، وبساتينه وحقوله، وعلى منازله ودوره في العزب والمدن والقرى. وبما أن أحجار وطننا الجميل كالجنة في جماله، ونباتاته وأشجاره وأشواكه، قد تلونت اليوم بدماء الشهداء الطاهرة وبما أن الرجال المسلمين المؤمنين من شعبنا المسلم الشهم يعيشون اليوم بترقب وفي ظروف ضيقة صعبة حاملين البنادق على سواعدهم في الخنادق الحربية، وبما أن أراملنا وثكالانا يسكبن اليوم دموع اليأس والحرمان، وبما أن الآلاف من أيتامنا يتعبون اليوم فيرفعون الصرحات طالبين ومستغيثين بآبائهم الشهداء. . . وبما أن أكثر من خمسة ملايين نسمة من سكان بلادنا العزيزة يعيشون اليوم في البلاد المجاورة، وفي البلاد الأخرى بسبب ما ارتكبه الاستعمار الشيوعي من الظلم والأعمال الجائرة ضدهم، إن كل هذه الأعمال الإجرامية مشكلات وصعوبات ونوائب يتطلب حلها،

والقضاء عليها بالضرورة تدبيرا صحيحا، وفكرا سليما وإقداما ثابتا، ومساعي حميدة مخلصة حتى تعود الأوضاع إلى طبيعتها .

وعلى الرغم من أن المجاهدين المسلمين يقاتلون على الدوام بشجاعة وجرأة نادرة في كل ركن من أركان البلاد، وجعلوا بذلك نهار العدو مظلما، إلا أنه لو اتحد هؤلاء المجاهدون الشجعان فيما بينهم، واجتمعوا جميعا تحت قيادة واحدة، وفي ظل راية واحدة، لتأكدوا أن النصر سيكون من نصيبهم لامحالة .

أيها المجاهدون الأفغان، يا من تعملون في مجال السياسة! إن إخوانكم المسلمين يسبحون اليوم في أنهار من دمائهم، وتحولت القرى والعزب، والبساتين والحقول إلى أنقاض من جراء قصف قنابل العدو، وإن إخوانكم الأفغان يمضون أيامهم اليوم في بلاد أجنبية مشردين تائهين، فكروا قليلا، واسعوا في إيجاد طريق الخلاص من هذه المشكلات والأحزان والآلام والهموم، ليتمكن شعبكم المسلم المجاهد من أن يعيش حياة الأمن والسعادة دائما، ومما لاشك فيه أن هذا الطريق الوحيد هو الاتحاد والترابط الوثيق بينكم، وأنتم تعلمون ذلك أحسن من غيركم، وبما أنكم لم تقدموا على هذا العمل حتى الآن، فإنه من الجائز وجود بعض العلل والأسباب المانعة لذلك، إلا أنه يمكن أن تزول هذه الأسباب بمساعيكم الحقيقة، وإخلاصكم الصادق .

فتعالوا وهلموا، لنتصافح فيما بيننا متآخين متحابين إيمانا بقول الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(1) حتى نتمكن من العثور على الطريق الذي تكمن فيه سعادتنا الحقيقية وليكن الله القادر العظيم عونا لشعبنا المسلم المجاهد. ومن الله التوفيق» .

---

(1) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

سيد محي الدين هاشمي ومقاله ثلاثون نعشا[1]

هذا عنوان مثير لمقال كتبه الأستاذ سيد محي الدين هاشمي بن سيد هاشم في مجلة «مجاهد» التي تصدرها جمعية أفغانستان الإسلامية، وقد قامت الجمعية الإسلامية بإصدار عدد خاص بربيع عام ١٣٦٩هـ الموافق سنة ١٩٩٢م، شارك في تحرير موضوعاتها عدد كبير من الكتاب والشعراء والمفكرين بمقالاتهم النثرية ومنظوماتهم الشعرية. من هؤلاء الكتاب الأستاذ الهاشمى الذي أقوم بتقديمه إلى القراء أولا، ثم أقدم ترجمة مقالته التي كتبها بهذه المناسبة . .

الأستاذ سيد هاشمي من أشراف كونر وساداتها المشهورين، ومن مواليد بلدة «بديالي» في الجزء الأسفل من إقليم كونر، حيث ولد فيها سنة ١٣٣٦هـ ش الموافق سنة ١٩٥٧م. وبلدة «بايالي» هذه تقع على شاطىء نهر كونر، وتتبع إداريا ولاية ننكرهار. وقد أتم دراسته الابتدائية والثانوية في «دره نور= وادي » النورة وأتم دراسته الجامعية بكلية الآداب في جامعة كابل، وحصل على الشهادة العالية في الأدب الأفغاني، وتم تعيينه أولا في كلية الأداب بجامعة كابل، ثم تم نقله منها إلى كلية الأداب بجامعة بايزيد روشان بولاية ننكرهار . .

وقد هاجر إلى بشاور سنة ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٨٥م للاشتراك في الجهاد ضد الروس وعملائهم الأوباش في كابل، وهو من أعضاء جمعية أفغانستان الإسلامية التى يرجع الفضل في تأسيسها، وفي إحياء النهضة الإسلامية في أفغانستان إلى الشهيد غلام محمد خان نيازى . .

من آثاره وأكثرها غير مطبوعة: إمارة الجهاد ودوامة في كونر السفلى، وأوضاع المساجين في سجون النظام العميل، وتوجيهات إسلامية خاصة لتربية الصغار والشباب، وبلابل أودية كونر، وغيرها، وله إسهامات كتابية في الصحافة الجهادية الأفغانية. . ناثر، ناظم، خطاط[2] .

(١) مجلة مجاهد عدد ربيع عام ١٣٦٩هـ ش. ص ١٠٢.

(٢) وينه به قلم كي (الدم في القلم) ص ٧٣٥-٧٤٦.

كتب سيد محـي الدين هاشمي تحت عنوان «ثلاثون نعشا» وقال :

كانت الأيام الأولى من برج الجوزاء سنة ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٨١م تُقْضى في قراءة الكتب ومـذاكرة الدروس والمحاضرات حيث كانت الامتحانات للفصل الدراسي الأول على وشك أن تبدأ، وكان الكتاب المقرر في يدى أحاول قراءته بإمعان استعدادا لأداء الامتحان في صباح اليوم التالي، وفجأة سمعت في نشرة أخبار الساعة الثامنة هذا الخبر :

قام الأهالى في قرى «باپالي» بمنطقة «دره نور = وادى النور» بمديرية «كون كونر= كونـر السفـلى» في محافـظة ننكرهار بمظاهرة صاخبة تعبيرا عن تأييدهم لحكومتهم الثورية . وإلحاقا بركبها (؟!) .

وعند سماعي لهذا الخبر عرفت من خلاله نوع المسيرة أو المظاهرة التي قام بها الناس في المنـطقـة، كما أدركت من خلالهـا كيفية التعبـير عن تأييدهم للحكومة الثورية وإلحـاقهم بركبهـا الثوري (؟!) وذلك نظرا لما تأكد لدينا جميعا وثبت في عديد من المرات والكرات أن إعلان الشيوعيين نبأ من أنباء المسيرات، وأخبار المظاهرات لتأييد الحكومة الشيوعية، والإلحاق بها لمساندتها في إقليم من الأقاليم، كان يعني أول ما يعني أن مسيرة كبيرة من دبابات الحكومة وطائراتها الحربية، وفرق مشاتها العسكرية والقتالية هي التي قد قامت بالمسيرة في ذلك اليوم للقيام بدك الإقليم وتدميره، وكان يعني ذلك ثانيا أن كثيرا من أهل الإقليم قد لاقوا حتفهم وسبحوا في بحر من دمائهم الـطاهـرة، وكـان يعني ثالثـا أن البقية البـاقية منهم قد أجبرت على مغادرة بيوتهم ومنازلهم، وكان يعني رابعا أن كثيرا من البيوت والدور والمنازل قد تحولت إلى الأنقاض نظرا لما كان يلحق بها من الخراب والدمار على أيد الشيوعيين الوحشيين، وأن ثروات الناس وأموالهم قد سرقت ونهبت وسلبت . و . . . و . . .

في مثل هذا الوقت والظرف الصعب وقفت حائرا . . . امتحاننا الفصلي على وشك أن يبدأ، أو قد بدأ، هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى كان هناك نوع من التنافس الشديد بيني وبين زملائي الطلاب للحصول على أكبر قدر من الدرجات، الأمر الذي كان يتـطلب مني أن أقـوم ببذل شيء كثير من العناية والجهد استعدادا للامتحان

والحصول على قدر كاف من الدرجات، ومن ناحية ثالثة كان لهذا النبأ السيء الأثر المدمر على مشاعري حيث أصابني منه كثير من الغم والهم والقلق الشديد. وفي النهاية بعد كثير من التردد. والحيرة والتعثر قررت السفر إلى بلدي «بديالي» المنكوبة بكل الطرق والوسائل الممكنة، وفي أية ظروف مهما كانت صعبة. أو خطيرة، وذلك لأعلم حالة الناس فيها وأعرف أخبارهم، وما جرى لهم من النوائب والأحداث من جراء المسيرة التي قاموا بها، بل قامت بها الدبابات والطائرات الحربية.

مضت تلك الليلة التي قضيتها ساهرا مرهقا حيرانا، ومع انتشار ضوء الصبح الصادق كنت قد وصلت إلى محطة الحافلات . . . وقبيل العصر كنت في مديرية «كونر السفلى» حيث أهلي وعشيرتي، وشاهدت قوات العدو. ودباباته ووسائل نقله العسكرية المختلفة، تنتشر هنا وهناك في كل مكان، وفي كل ناحية وشاهدت المحلات والمعارض التجارية في الأسواق مغلقة الأبواب بإحكام، فعلمت علم اليقين، وشاهدت بوضوح أن المسيرة مازالت مستمرة في الإقليم المنكوب، فازددت إرهاقا على إرهاق، وتعبا على تعب، وأحسست بأنني في حاجة إلى قسط من الراحة في هذا المكان الذي تحول إلى ساحة قتال، لعلي أبعد بذلك ما كنت أشعر به من الإرهاق الذي لا أطيقه، ومن الإعياء ما لايمكن تحمله أكثر من ذلك، ولكن أين لي ذلك! ففضلت أن أقوم بإلقاء نظرة هنا وهناك، لعلي أعثر على أحد من أهل منطقتنا ممن أعرفهم «ليخبرني بأحوال وأخبار الناس من أهل هذه المنطقة، وماجرى لهم من الأهوال والفظائع التي ارتكبت في المسيرة، وفي كل مرة كان يقع نظري على وجوه وأشكال غير معروفة، وغير مألوفة، مما جعلني أتجه إلى منطقتنا التي يسكن فيها أهلي وعشيرتي الأقربون، وهي تقع على بعد ثلاثة أميال في سفح جبل بعيد، فاتجهت نحوها مترددا، لايطاوعني القلب في ذلك حتى تمكنت من الوصول إلى المكان الذي قصدت الوصول إليه. . ووقع نظري على دارنا ومنزلنا في ذلك المكان، فإذا بي أرى البهائم من البقر والماعز والأغنام وغيرها، ترعى في الحقول الزراعية، وتسرح في كل أطرافها، وتمرح جارية في الاتجاهات. أما المنازل في القرية فمدمرة مهدمة خاوية على عروشها، وقد تحولت إلى أنقاض بفعل التخريب والتدمير، والقصف الشديد، ولم أجد أحدا من سكان القرية لأستفسر عما أشاهده من الأحوال والمشاهد الملوثة بدماء توحي بالغم والهم والحزن والألم . .

وهذه المشاهد والمناظر المروعة في هذا المكان، وفي هذا الموقع الرهيب قد حكت لي بلسان حالها حقيقة كل شيء. . وذلك من أول نظرة من نظراتي وقعت على كل مشهد من تلك المشاهد إلا أن إحساسي الداخلي لم يقتنع بذلك، وبدأت تجول بخاطري أنواع كثيرة من الأفكار السوداء. . جال في خاطري أولا احتمال إرغامهم على الهجرة، ومغادرة المكان إلى مكان آخر، كما جالت بخاطري فكرة القيام بقتلهم جميعا. . كبيرا وصغيرا، والاحتمال الثاني كان أقرب إلى القبول، وموافقة خاطري وللتأكد منه قررت مع نفسي التوجه إلى المقبرة للكشف عن القبور المبنية حديثا، بغرض معرفة حقيقة هذا الاحتمال من عدمه، وعند وصولي إليها وجدت قبرين أو ثلاثة قبور قد تم حفرها وبناؤها حديثا، أما بقية القبور فكانت قديمة، وكنت قد شاهدتها قبل ذلك، وبذلك لم يبق إلا الاحتمال الأول .

وكان ظلام الليل قد بدأ ينتشر على وجه الأرض رويدا رويدا، فطرأت في ذهني فكرة الصعود إلى القرى العلوية، عسى أن يكون أحد من أهلها قد تمكن من النجاة من هذه العاصفة، وبقي حيا على قيد الحياة، ولكن بعد وصولي إليها تبين أنه لم يبق فيها أحد من أهلها لأعرف الأخبار، فوقفت هناك لحظات كثيرة شارد الذهن حيرانا، لا أدري ماذا أفعل، وكيف أتصرف لأعلم الأحوال والأنباء الخاصة بأخبار الناس ؟!

انتشر ظلام الليل على وجه الأرض بشكل كامل، وفجأة وصل إلى سمعي رجع الصدى لحوار، يجري بين أناس متوجسين فزعين، ويقترب في اتجاهي رويدا رويدا، فإذا بي أرى رجلا من أهل القرية التي أنا من سكانها، يحمل على ظهره حملا خفيفا يسير في الطريق خائفا مرتجفا وتسير وراءه زوجته واثنان من أبنائه الصغار تبدو عليهم آثار الإرهاق والرعب والخوف الشديد، حتى وصلوا بالقرب مني، وبالنظر إليهم لم أتمكن من معرفة هذا الرجل القروي من الوهلة الأولى، ولكن سروري برؤيته كان هائلا إلى درجة الاندهاش والاستغراب. . أزال من تفكيري في ذلك الوقت هذه الحالة من الحزن والقلق والاضطراب، ولو للحظات وبطريقة فجائية ! ناديتهم قائلا: من أنتم؟ فوقفوا في أماكنهم مرتجفين متجمدين، نظرا لما كانوا يعانونه من أخطار القصف بقنابل العدو، ومن معاناة الرعب والخوف الناشيء من ذلك. وكذلك

لما لاقوه من قسوة الأعمال الوحشية، والجرائم البربرية التي اقترفتها قوات العدو ضدهم. لذلك لم تكن لديهم القدرة الكافية على الكلام والتحدث إليّ. ومن شدة الرعب والخوف الذي كان يسيطر على مشاعرهم وأحاسيسهم تعذر عليهم الكلام واحتبس في حلوقهم، ولم يتفوهوا بشيء، وبالاقتراب الشديد منهم اتضحت لي ملامح الرجل أكثر فأكثر، حتى عرفته، فأخذته في حضني وتعانقنا بينما كان طوفان من العرق يسيل على جبينه وكل جسمه نظرا للرعب والإرهاق الذي كان يسيطر عليه، وبصعوبة شديدة رحب بي، وقال: أهلا بك، . ولم يتفوه بأكثر من ذلك .

ولما سألته عن أخبار أهل المنطقة قال في كلام متقطع فهمت منه الغرض بصعوبة: إن سبعة من المسلمين قد استشهدوا في هذه العمليات التي جرت حتى الآن (كان ثلاثة منهم من أئمة مساجد القرى) فسألته بعد ذلك عن أخبار أسرتي. فقال لي بإيجاز شديد، وبصعوبة بالغة:إنهم قد انتقلوا، وحلوا في عزب بالقرب من ذلك الجبل، ومثل غيرهم من أهل القرى يصعدون إلى الجبل نهارا ليكونوا في مأمن من خطر عمليات القصف بالقنابل، وفي وقت المغرب ينزلون إلى العزبة للمبيت فيها، وأحيانا يقضون الليلة في الجبل .

جال في خاطري كثير من الأسئلة للاستفسار عن هذه الأوضاع الحزينة الممزوجة بالألم والهم والغم، كان عليّ أن أوجهها إليه، إلا أن وضعه الصعب وحالته المضطربة، وقلق أبنائه واضطرابهم، كل ذلك لم يكن يسمح لي بذلك، فتركتهم وانصرفت بالتوجه مسرعا إلى تلك العزب والقرى الصغيرة التي ينزل فيها أهلي وعشيرتي، وفي طريقي إلى تلك القرى والعزب رأيت عددا قليلا من مثل هذه الأسر المشردة، ولم أكن أحدثها خوفا من إثارة الخوف في قلوبهم. وفي وقت صلاة العشاء بالضبط وصلت إلى المكان الذي كنت متجها إليه، وكان أفراد أسرتي قد نزلوا من الجبل لتوهم، وهم في حالة سيئة من الإرهاق والإعياء والتعب. وفي اعتقادي أنهم فرحوا وسروا كثيرا لرؤيتي في هذه الزيارة التي لم تكن متوقعة، إلا أنني لم ألاحظ أي نوع من علامات الرضا والسرور على وجوههم المغبرة، وكان سبب ذلك واضحا معروفا، وهو ما تحملوه من الأخطار لقيام العدو بالقصف المتواصل، وبتوجيه

عمليات الهجوم الوحشية طيلة الأيام السابقة، الأمر الذي جعلهم ينسون كلية ضحكة الحياة، وابتسامة الرضا، والتعبير عن الترحيب بالفرح والسرور، وإن كانوا في قرارة أنفسهم يشعرون بذلك .

وقد عرفت بعد المشاهدة على الطبيعة وبعد عملية الاستفسار عن الأخبار والأحوال بأنهم جميعا أحياء يرزقون، وعلى قيد الحياة يعيشون . ومنذ ذلك اليوم الذي عادت فيه قوات العدو الغاشم إلى قاعدتها بعد القيام بعملياتها القتالية الوحشية، وهي تجر أذيال الهزيمة والفشل والعار، تذاع إشاعات بين الناس في كل مكان، وبشكل مستمر يوميا، مفادها أن قوة للعدو الغاشم ستقوم بإعادة الكرة غدا أو بعد غد للصعود إلي الجبل للاستيلاء على قاعدة المجاهدين الموجودة فوقه، ومن هنا كان الناس قد أمضوا تلك الأيام الأربعة أو الخمسة السابقة في خوف ورعب شديدين مخافة أن تتحقق هذه الإشاعات عملياً، وأكثر الناس كانوا يقضون تلك الليالي المظلمة داخل المغارات والكهوف .

وكان المجاهدون قد أعدوا العدة، واتخذوا الإجراءات اللازمة للدفاع عن قاعدتهم، حفروا الخنادق، وبنوا مواقع دفاعية حصينة حولها، فكانوا بذلك على استعداد كامل للقتال .

أما في هذه الليلة فقد بدأ الناس لايصدقون هذه الإشاعات ولا يبالون بها كثيرا، ومن هنا نزلت العائلات بأعداد كبيرة نسبيا للمبيت في منازلها داخل القرى والعزب، ومضت الليلة بهمومها وغمومها وأحزانها، وفي الصباح الباكر وقبل انتشار ضوء النهار على وجه الأرض بدأ الناس ذكورا وإناثا يستعدون مرة أخرى للرحيل والصعود إلى الجبل الذي أصبح مأوى لهم أثناء النهار . .

غادر أناس من القرويين منازلهم الريفية واتجهوا راكضين نحو مأواهم في الجبل، والبعض الأخر منهم مازال يتأهب للركض والتوجه إليه حتى بدأ إطلاق النار من حول المنطقة، كان جنود العدو قد حاصروا المنطقة والمناطق المحيطة بها ليلا بحثا عن المجاهدين، حيث كانت القرية من غير حراسة نظرا لبعد القاعدة عن المكان المحاصر من ناحية، واستعداد المجاهدين المسؤولين عن القاعدة استعدادا كاملا بحيث كانوا

في حالة قصوى من الاستنفار للدفاع عن قاعدتهم من ناحية أخرى. لم يتمكنوا هذه الليلة من الحضور والمجيء إلى هذه القرية المنكوبة لحراستها ليلا. ومن ناحية ثالثة لم يتنبه من كان بها من الأهالي للحراسة، ولم يشعروا حتى بمجيء فرقة مشاة العدو ووصولها إلى القرية في وقت متأخر من الليل، وذلك لشدة مانزل بهم من الرعب والخوف والإعياء الشديد، ومن قسوة ما تحملوه من الإرهاب والتعب في الأيام التي سبقت هذه الليلة .

وعندما سمع المسلمون دوي أصوات الطلقات النارية من حولهم في كل الأنحاء والأطراف أسرعوا بالاختباء في كل مكان.. هنا وهناك، دخل من دخل القنوات المائية، واحتمى بداخلها مختبئا، وذهب من ذهب مسرعا إلى الكهوف والمغارات التي قام بإعدادها له مقدما، فاختبأ فيها لحماية حياته ونفسه من الغارات، وخلال ذلك بدأ الضوء ينشر شعاعه في الأفق، وعلى وجه الأرض رويدا رويدا، وبعد قليل ظهرت في سماء المنطقة المحاصرة من كل أطرافها عدة طائرات مروحية قتالية، وبدأت تقصف المنطقة والأماكن المحيطة بها قصفا، وتمطرها بالنار مطرا، وبدأت معها قوات المشاة زحفها على المنطقة كلها، وأصبحت المنطقة كأنها بركان ثائر .

وبدأ المجاهدون الذين يمتازون بالجرأة والفداء يتعاملون مع قوات العدو المعتدية بشجاعة نادرة، ويدافعون عن قاعدتهم بكل ما معهم من السلاح والعتاد، واستمرت المعركة بين الإيمان والكفر على مدى النهار كله من الصباح حتى المغرب فقد العدو فيها عددا كبيرا من جنوده، بالإضافة إلى من أصيب بالجراح، وقد تم فيها تدمير عدد كبير من المركبات والدبابات بالصواريخ والألغام التي زرعها المجاهدون حول القاعدة كعمل دفاعي. ولم تتمكن قوات العدو مع ضخامة عددها وعدتها العسكرية والقتالية من الاستيلاء على قاعدة المجاهدين .

كان العصر في اللحظات الأخيرة، والمغرب في بدايته في هذا الوقت بين العصر والمغرب أدرك العدو وعرف أنه لافائدة من بقائه في المنطقة أكثر من ذلك، وليس في إمكان طائراته القيام بنشاط قتالي ضد المسلمين بعد انتشار عتمة الليل وظلامه، ومن هنا قرر مضطرا التراجع إلى الوراء، وانتقاما للعار الذي لحق به بسبب هزيمته وتغطية

لهذا العار أطلق النار على اثنين وعشرين مسلما أسيرا من الشيوخ والشباب والصغار العزل، الذين وقعوا أسرى أثناء المعارك النهارية في المنطقة، وقتلهم جميعا بإطلاق الرصاص قتلاً جماعيا، وبعيدا عن الرحمة والكرامة الإنسانية. واصطحب معه عشرة من أسرى المسلمين أحياء، انتقاما لمن انضم من جنوده وضباطه إلى المجاهدين أثناء المعارك .

وعندما بدأ القرويون العودة إلى منازلهم بعد غروب الشمس فردا فردا كان كل فرد منهم يعتقد أنه هو وحده الذي بقي على قيد الحياة.

وقد انقضت هذه الليلة، ومضت بأحزانها وآلامها أيضا، والقرويون المسلمون لايعرفون أخبار بعضهم البعض ولم يكن لديهم العلم بعملية الإعدام الجماعية السابقة. . وفي الصباح الباكر جاء أحد القرويين وأخبرهم بإعدام اثنين وعشرين مسلما أسيرا رميا بالرصاص قبل انسحاب العدو من المنطقة، وكان هذا القروي الذي جاءهم حيا من ضمن مجموعة هؤلاء الشهداء في عملية الإعدام. إلا أنه نجا من الموت بقدرة الله القادر، ولم يصبه الرصاص أثناء عملية الإعدام والقتل الجماعي لمجموعته الأسيرة، ومع ذلك فقد رمى بنفسه بين القتلى الشهداء لإيهام المجرمين بأنه قد قتل مع مجموعته. وهكذا تمكن من إنقاذ حياته بهذه الحيلة، وفي الصباح خرج من المجموعة المقتولة، وتوجه إلى القرية، وبلغ الناس أخبار المصير السيء لمجموعته الأسيرة التي تم إعدامها أثناء القتل الجماعي. . عرفوا الخبر ولكن لم يكن في وسعهم أن يقوموا برفع قتلاهم والقيام بدفنهم في قبورهم .

لم يكن يوجد في القرى كلها أكثر من ١٥-١٦ شخصا فقط، وفي منتصف النهار قبل الظهر بقليل توجه هؤلاء القرويون بعد تردد شديد إلى المكان الذي يرقد فيه اثنان وعشرون شهيدا. وكانوا قد سمعوا، بل وشاهدوا بأن الروس عندما يتمكنون من قتل الناس في العمليات الحربية، يقومون بوضع القنابل في بطون القتلى لتنفجر في من يقوم بدفنهم في القبور، فيفقد هو ومن معهم من الحاضرين حياتهم أيضا، ولذلك كان القرويون القليلون يترددون في الإقبال على عملية نقل القتلى ودفنهم في القبور خوفا على حياتهم .

وبعـد تحمل مشقة التردد والخوف ومشقة الصعوبة، قام القرويون بنقل نعوش ٢٢ شهيداً إلى مقابرهم، وهناك بدأوا عملية حفر القبور لدفن الشهداء، ولم يكن قد أتموا حفر خمسة أو ستة من القبور حتى وصلهم الخبر من المديرية بأن العدو الغاشم قد أعدم وقتل ثمانية من الأسرى العشرة الذين قد أخذتهم قواته الغاشمة أثناء عملية الانسحاب والتراجع من المنطقة، بينما تمكن اثنان منهم من الفرار والهرب أثناء نقل المجموعة الأخيرة إلى مكان الإعدام والقتل، وبالإضافة إلى ذلك فإن القرويين علموا وعرفوا بأن قوات العدو قد عادت إلى المديرية في الصباح الباكر، وأصبحت المنطقة خالية من هؤلاء السفاكين .

وبينما كان القرويون يفكرون فيمن يا ترى قد تم إعدامه وقتله على أيدى قوات العدو، ومن الذي تمكن من الهرب والفرار من عملية الإعدام الجماعية، حتى وصلت من المديرية حافلتان محملتان بالقتلى والشهداء. . . وبعد ساعات حزينة وشاقة كان قد تم دفن ثمانية نعوش أخرى من الشهداء في هذه المقبرة من مقابر القرويين . .

عبد رب الرسول سياف ومقاله أخي المسلم .

مقال للأستاذ عبد رب الرسول سياف، كتبه في مجلة «البنيان المرصوص» في عددها السادس ١ مايو سنة ١٩٨٦م، والأستاذ سياف غني عن التعريف، ويكفيه فخرا بأنه أحـد قادة الجهـاد الأفغـاني. ومؤسس «الاتحاد الإسلامي» أحد التنظيمات الرئيسة الفـاعلة في ساحـة الجهـاد، فهو مجاهد من الرعيل الأول، وكاتب ناثر من الطراز الأول، وخطيب موهوب جهوري الصوت والإلقاء . .

ولد الأستاذ عبد رب الرسول سياف في ١٩٤٥/٤/١٩م ببلدة پغمان بالقرب من كابـل، وينتمي آبـاؤه وأجداده إلى مقاطعة «كونر» وأتم دراسته الابتدائية في پغمان والثانوية في كابل، وحصل على بكالوريوس الشريعة من جامعة كابل، وحصل على شهادة الماجستير في علوم الحديث من جامعة الأزهر . .

له مؤلفات وآثار علمية . . إسلامية وجهادية وأدبية ومجلة «البنيان المرصوص» التي تصدر باللغة العربية، تقدم لنا كثيرا من مقالاته التي تعبر عن شخصيته وأفكاره، وهو

في هذا من أشد الشخصيات الإسلامية التي أفرزها الجهاد الأفغاني عداوة للروس وأعوانهم . وفيما يلي مقال له كتبه بالعربية بعنوان «أخي المسلم» أقوم بنقلها نصا ليكون مسك الختام لهذا الكتاب . .

أخي المسلم . . . راجع تاريخ أمتك التليد، واطلع على أمجادها وبطولاتها، وتعرف على ماحققه أبناؤها للمسلمين وللبشرية جمعاء. وانظر إلى العزة التي كانوا يحظون بها، وفكر في السيادة والأستاذية التي كانوا يتمتعون بها على مستوى العالم، ثم ارجع البصر إلى حاضرها، ثم أمعن النظر. . . ماذا تجد ؟

هل تجد تلك السيادة والأستاذية التي تعتز بها الإنسانية!؟

أعتقد أنك تجيبني بلا، فليست هناك رائحة من العزة تشم، وليست هناك معالم من السيادة ترى. . . بل بالعكس، فإن غبار الذل يملأ أجواءنا، وإن تقليد الأجانب والارتماء عند أقدام أعداء الإسلام من أكبر معالم حياتنا، وإن اتباع الشرق أو الغرب أوضح ظاهرة في مواقفنا واتجاهاتنا .

وبدأنا نضع في صفحات هذا المقطع من تاريخ أمتنا بصمات سوداء من العار والذل والانهزام . ووقعنا فريسة بين أيدي أذل أقوام عرفتهم البشرية في تاريخها. فما هو السبب؟ وهل أنت راض ومقتنع بهذا الوضع

أخي المسلم . . أنت مسؤول بين يدي الله سبحانه وتعالى عن البحث في أسباب هذا التفاوت وهذا البعد الشاسع بين ماضي أمتك وحاضرها، وعن التفكير في وضعها الراهن الذي ينبىء عن السقوط والانهيار الكامل، وأنت مسؤول عن العمل في سبيل إنقاذها قبل أن يقضى عليها وأنت تعرف أن الحياة في مثل هذه الأوضاع لاتعتبر حياة بل الموت أفضل منها .

أخي المسلم . . فما هو السبب؟ ألقلة عدد أم لعدم وجود الوسائل والإمكانات التي كانت تتوفر لدى السابقين من هذه الأمة أم لوجود أعداء للأمة في زماننا هم أشد ممن كانوا يعادون الإسلام في تلك الأيام . . . !؟ لا أبدا.

فإذا كنا نريد أن نعرف السبب فلنراجع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] فالخيرية والعزة كانت عندما كنا نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، والخيرية كانت في الجهاد «فما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا» .

والعزة كانت في العمل لإخراج البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فعندما كنا نبتغي العزة من عند الله كنا أعزاء، وعندما كنا مؤمنين حقا كنا سادة ومعلمين إنما أعزكم الله بالإسلام، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] فمهما ابتغيتم العزة في غيره أذلكم الله.

هذه حقيقة ثابتة فالجهاد نبع العزة الذي لاينضب، ففي ظلاله تعيش الأمة مرفوعة الرأس خفاقة رايتها . . لأنها بحد السيف تقتلع سلطان الشيطان من الأرض، وتثبت سلطان الله العادل .

أخي المسلم . . إن الجهاد تجارة، وإن له لمعادلات، كلها لصالح المسلم المجاهد، فالتجارة مع الله، نعم، يا أخي المسلم، فأنت المسكين الضعيف تصبح بالجهاد بائعا ومشتريا مع الله، تبيع نفسك التي هي ملك لله، وتشتري الجنة، هذه التجارة فيها كل العزة ونتائجها كلها ربح .

وإن للجهاد لمعادلات، أنت وحدك في الأرض أيها المسلم الذي يملكها، إن كل أقوياء الأرض لايملكون من هذه المعادلة إلا الطرف المادي منها، ولكن المسلم وحده هو الذي يملكها من جميع أطرافها، وتتحدد نتيجتها بكلمتين عظيمتين، إما النصر وإما الشهادة، وكلاهما ربح ، فإنك عندما تنهض للجهاد فأنت الفائز في كل الحالات، وغيرك يعيش بين احتمالين . . إما النصر وإما الهزيمة، والعاقبة هي النار في كل الأحوال . .

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٩ .

أخي المسلم. . . فلا تحد عن الجهاد، وربِّ روحك في ظلاله، وتفيأ من عزته التي لاتنتهي. . وجدد مجد أمتك وتاريخها وأمجادها، ولن يتيسر ذلك إلا أن تكون أنت والسائرون معك في درب واحد من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، وتكونون مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1] وقول الله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2] . .

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠.

النصوص

نص (١)

ملی خائن

هغه دی چي د ملّت ژبه كتور عادات ، استقلال او ملی عنعنان محوه كوی او د پرديو د تقليد خواته يی بيايی-

هغه دی چي دملت تر منځ تفرقه اوعناد پيدا كوی ، د عدالت نه مخالف امتيازات يی په منځ كي راولی-

هغه دی چي دملت دينی حقه احساسات وژنی او دينی شعائر، تعاليم او محاسن له منځه بيائی-

هغه دی چي دخپل شخصی نفسانی خواهشاتو دپوره كولو له پاره د ملت مال، آبرو او ويني قربانوی-

هغه دی چي د ملّت په ننګ او ناموس باندی پروا نكړی-

هغه دی چې دخپل شخصیت د لویولو په غرض د ډیرو خلقو شخصیتونه محوه کوی۔

هغه دی چې دخپل خدمت داثباتولو له پاره ډیر بې گناه خلق د مجرم په نوم تر مجازات لاندې نیسی۔

هغه دی چې په خپل هیواد کښې دپردیو له پاره پرو پاگندونه او کارونه کوی۔

هغه دی چې دخپل ملّت لوړ شخصیتونه ورته هیڅ نه ښکاری او د پردیو بې شخصیته خلقو ته په لوړ شخصیت گوری۔

هغه دی ـــــ

نص (۲)

د خلاصون لار

انسان په خپل ژوند کښې کله کله له داسي مشکلاتو او ستنزو سره مخامخ شی چي دچا خبره لار ګودر تري ورک شی، بیا په دي نه پوهیږی چي څه وکړی اوپه کومه لاره روان شی ترڅو د خلاصون لاره ومومی، ډیر انسانان په دغه شان حالاتو کښي خپل ځان داسي ورک کړی چي بیا یی چاته پته هم ونه لګیږی ، خو هغه څوک چي د هر ډول حالاتو په مقابل کښي تسلیمول عار ګڼړی او په دي فکر وی چي په هره تیاره پسي رڼړا او په هره شپه پسي صبا راروان دی نوبیا کوشش کړی چي هم خپل ځان او هم دخپلی ټولني اوسیدونکی په داسي لاره روان کړی چي په هغي کښي د دوئ دصبا ورځی نیکمرغی پرته وی- نن چی زمونږ په ګران هیواد افغانستان د کفر، الحاد، کمونیزم، ظلم، وحشت او بربریت تورو تیارو خپله برستن خوره کړی ده، نن چي زمونږ د ګران وطن په لوړو ، ژورو، غرونو او دهشتو،

باغونو او کروندو، کورونو او باندو، ښارونو او کليو باندی د ناپالم ګولۍ وريږی، نن چي زمونږ د ښکلی او جنت نشان وطن کانړی او بوټي، ونې او غنی د شهيدانو په پاکو وينو رنګ دی، نن چي زمونږ د مسلمان او باشهامته ملت مسلمان او باايمانه خلق په ډيرو تنګو شرايطو کښي توپک په مټ په سنګرونو کښي پراته دی، نن چي زمونږ کونډی او بوړی د بي وسۍ اوښکي تويوی ، نن چي زمونږ په زرګونو يتيمان د بابا په نعرو سترې شول او نن چي زمونږ د ګران وطن څه د پاسه پنځه مليونه خلق د سر سيال اميرياليزم د ناروا ظلمونو د لاسه ګاونډيو هيوادونو او نورو ملکونو ته په کډه تللی دی، دا ټول داسي ستونزی او مشکلات دی چي د له منځه وړلو دپاره يی سم تدبر، سالم فکر، مثبت اقدام او کټور وهلو ځلو ته ضرورت ليدل کيږی۔

که څه هم د ګران هيواد په ګوټ - ګوټ کي مسلمان مجاهدين ښه په نره جهاد ته دوام ورکوی او په د ښمن يی رنړا ورځ تيارهٔ کړی ده، خو که دغه له سره تير مجاهدين پخپلو کښي سره يو موټي شی، تر يوی قوماندی لاندی او ديو بيرغ په سيوری کښي سره

راغوند شی نو تاسو دا ومنئ چي د اوس په نسبت به مو په سلو کی سل بریالیتوبونه په نصیب شی۔

نو ای د سیاست په ډګر کښي ولاړو مجاهدینو افغانانو نن چي ستا سره مسلمان رونړه په خپلو وینو کي لمبیری او نن چي ستاسو ښارونه، کلی، بانډي، باغونه او کروندي د دښمن د بمباریو له عمله په کنډوالو بدلي شوي دی اونن چي ستاسو افغانان رونړا په پردیو وطنو کښي د دربدری شپي صبا کوی لړ. پخپلو ګریوانونو کښي سرونه ښکته کړی اوله دغو ستونزو، کړاوونو، دردونو او غمونو د خلاصون داسي لار ولټوی چي ستاسو مسلمان او مجاهد ملت دتل لپاره د امن او سوکالی ژوند ته دوام ورکړی۔ چي البته دخلاصون دغه لار یوازی او یوازی ستاسو تر منځ یووالی او پیوستون دی، که څه هم تاسو هم په دي له بل هر چانه زیات پوهیږئ، خو چي تراوسه پوري مو دغه کار ته اقدام نه وی کړی ښایی ځینی علتونه به موجود وی خو دغه شان علتونه ستاسو د واقعی هلوځلو او ریښتیانی صمیمیت له برکته له منځه تللای شی نو راشئ چي دلوئ خدائی جل جلاله په دغه

مبارک کلام باندي په ایمان لرلو سره چي فرمایی " واعتصموا بحبل الله جمیعا ولا تفرّقوا" پخپلو کي د ورور ولئی منګلوے لاسونه سره ورکړو ترڅو د خلاصون لار او هغه لاروموو چي زمونږ ریښتیانی نیکمرغی پکي پرته ده۔ لوئ او توانا ذات دي زمونږ مسلمان او مجاهد اولس مرستندوی وی۔

(و من الله التوفیق)

قائمة
المراجع والمصادر

المراجـع

أولا ـ المراجع الأفغانية :

أثر، عبد الحليم :

تير هير شاعران، پشتو أكيديمي، پشاور ١٩٦٣م .

پشتو أدب، إداره إشاعت سرحد، پشاور ١٣٧٠هـ .

أحمد زي، ديدارخان :

د انقلاب غوغا (ديوان شعر) ١٣٦٧هـ.ش .

بابا، عبد الرحمن :

د رحمان بابا ديوان، پشتو تولنه، كابل ١٣٥٦هـ ش = ١٩٧٧م .

د عبد الرحمن بابا ديوان، يونيورستي بك إيجنسى، پشاور ١٩٧٦م .

د عبـد الـرحمن بابـا ديوان، په شعـر كي د أمير حمزه شينوارى أردو ترجمه، پشتو أكيديمي، بشاور ١٩٨٧م .

بينوا، عبد الرءوف :

هوتكيان، د تاريخ تولنه، كابل ١٣٤٥هـ ش .

بشتو د شاها نويه در بار كي، د ١٣٢٣هـ ش كال كالني، كابل .

پشتو أكيديمي :

مياشتني بشتو مجله، د ١٩٨٧كال د أكست، أو د سپتمبر، أو د أكتوبر كني أو د ١٩٨٨ كال د مارج أو د أبريل كني، پشاور.

پشتو تولنه : د كابل مجله، زياتي مختلفي كني، كابل .

يشتو ـ فارسي قاموس، كابل .

تسكين، عبد المتين :

هجرونه أو زجرونه (ديوان شعر) ١٣٦٧هـ ش .

جوهري، جوهر :

د لعلونو خزانه (ديوان شعر) ١٣٦٤هـ ش .

حافظ، أليوري:

ديوان حافظ الألپوري، إسلام بك ستور، منكوره ١٩٨٣م.

حبيبي، عبد الحي (پوهاند):

د پشتو أدبياتو تاريخ لومري توك، كابل ١٣٢٥هـ ش.

د پشتو أدبياتو تاريخ دوهم توك، بشتو تولنه، كابل ١٣٤٢هـ ش.

پشتانه شعراء، لومري توك، بشتو تولنه، كابل ١٣٢٠هـ ش = ١٣٣١هـ.

د أفغانستان بيبن ليك، كابل ١٣٥٣هـ ش ١٩٧٤م.

خان، قاضى عطاء الله:

د بشتنو تاريخ، لومري توك، حربي پوهتون، كابل ١٣٥٦هـ ش = ١٩٧٧م.

خان، مير عبد الصمد:

رحمان بابا ـ شاعر إنسانيت، پبلشنك هاوس، پشاور ١٩٨٤م.

ختك، أفضل خان:

تاريخ مرصع، تحقيق دوست محمد خان كامل يونيورستي بك إيجنسي، پشاور ١٩٧٤م.

ختك، خوش حال خان:

كليات، لومري توك، د أفغانستان د علومو أكاديمي، كابل ١٣٥٩هـ ش.

كليات، عظيم پبلشنك هاوس، پشاور.

خليل، هميش:

پشتانه ليكوال، پبلك آرت پريس، پشاور ١٩٥٨م.

دار مستتر، جيمس:

د پشتونخوا د شعر هار وبهار، پشتو تولنه، كابل ١٣٦٥هـ ش.

پشتو خيرني، بشتو ترجمه، بشتو تولنه، كابل ١٣٢٦هـ ش.

د أفغانستان إسلامي جمعيت:

مجله «مجاهد» ١٣٦٩هـ ش كال دپس لي خاصة كنه.

د أفغانستان د پوهني وزارت:

پشتو آريانا دائرة المعارف (دائرةالمعارف الآرية الأفغانية).

د أفغانستان د علومو أكاديمي:

بشتو- پشتو قاموس (١ ـ ٤) كابل.

درويزه، أخون (أخوند):

تذكرة الأبرار والأشرار، بشاور ١٣٠٨هـ.

رشتين، صديق الله:

بشتانه شعراء دوهم توك، بشتو تولنه، كابل ١٣٢١هـ ش.

د يشتو د أدب تاريخ، بشتو تولنه، كابل ١٣٢٥هـ ش = ١٩٤٧م.

رضا، محمد أفضل:

د بشتو د نثر تاريخ، عظيم پبلشنك هاوس، پشاور ١٩٧٨م.

د بشتو غزل، أول توك، بشتو أكيديمي، بشاور يونيورستي، بشاور ١٩٧٨م.

رفيع، حبيب الله:

كلي أو كلي (ديوان شعر) د أمان كتاب خپرول، بشاور ١٣٦٧هـ ش.

بشتو پانكه لومري توك، بشتو تولنه، كابل ١٣٥٤هـ ش.

بشتو پانكه دوهم توك، بشتو تولنه، كابل ١٣٥٦هـ ش.

د بشتو پخواني تذكري، د أفغانستان د علومو أكاديمي كابل ١٣٥٠هـ ش.

زدران، كل زرك:

د حق جيغه (ديوان شعر) ١٣٦٦هـ ش.

سمندر، سمندر خان:

د توحيد ترنك (نداء التوحيد) لس توكه، بشتو أكيديمي، بشاور

شاه، بير معظم:
تواريخ حافظ رحمت خاني، تقديم محمد نواز طائر، بشتو أكيديمي، بشاور ١٩٨٧م.
صافي، محمد حسن ضمير:
بشتني سندري، بشتو تولنه، كابل ١٣٣٥هـ ش.
عبد الرحمن خان أو نورستان، آريانا مجله ٣ او ٤ كنه، كابل ١٣٥٦هـ ش.
صميم، محمد آصف:
د رحمان بابا ديوان نوم شود، درحمان بابا أدبي جركه، پشاور ١٩٨٦م.
طائر، محمد نواز:
روهي أدب، بشتو أكيديمي، بشاور ١٩٨٦م.
ع. الحاج ننكيال:
وينه به قلم كي، د أفغانستان د جهادي خپرونو مركز، بشاور ١٣٦٨هـ ش.
غمخور، عبد الله:
لويه هنكامه (ديوان شعر) يونيورستي بك إيجنسي، پشاور ١٣٦٧هـ ش = ١٩٨٩م.
غمكين:
د جهاد جذبه، دويم توك (ديوان شعر) د إسلامي جمعيت فرهنكي كوميته ١٣٦٦هـ ش.
غيرت، عبد الباري ـ كاكا خليل، سيد بهادر:
شكلي أشعار (ديوان شعر) ١٣٦٣هـ ش.
شاه ظفر:
پشتانه (پختانه) د تاريخ به رناكي، يونيورستي بك إيجنسي، پشاور ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م.

كاكر، سيال (بروفيسر) :
پشتو او پشتانه، لومري توك، بابر ستيشنرز ايند بك سيلرز، كويته ١٩٧٦م.
مومند، م. ج. سيال:
د پشتنو قبيلو شجري، يونيورستي بك إيجنسي، پشاور ١٩٨٦م = ١٣٦٥هـ ش.
نوميالي، محمد أنور:
پشتو أدبيات، كابل ١٣٦٣هـ ش.
هوتكي، محمد بن داود:
پته خزانه، تحقيق أو تعليق عبد الحي حبيبي، كابل ١٣٢٣هـ ش.

ثانيا ـ المراجع الدرية :

أحمد، فضل :
رهنماى أفغانستان، پشتو تولنه، كابل ١٣٢٨هـ ش
اسفزارى، معين الدين محمد :
روضات الجنات في أوصاف مدينه هرات (دو جلد) تهران ١٣٣٩هـ ش.
اعتمادي، كويا :
تجمل وتمدن غوريان، كابل . . . ؟
بهار، محمد تقي (ملك الشعراء) :
سبك شناسي ٣ جلد مؤسسه انتشارات امير كبير، تهران.
پجواك، عتيق الله :
غوريان، أنجمن تاريخ أفغانستان، دولتي مطبعه، كابل ١٣٤٥هـ ش.
جلالي، غلام جيلاني :
غزنه وغزنويان، د بيهقي كتاب خپرولو مؤسسه، كابل ١٣٥١هـ ش.

جوزجاني، منهاج الدين عثمان بن سراج الدين:
طبقات ناصري، تحقيق عبد الحي حبيبي، كابل ١٣٤٣هـ ش
خليلي، خليل الله:
سلطنت غزنويان، أنجمن تاريخ أفغانستان، كابل ١٣٣٣هـ ش.
حبيبي، عبدالحي:
پشتو ولويكان غزنه، كابل ١٣٤١هـ ش.
زرنج، كابل ١٣٢٠هـ ش.
تاريخ أفغانستان بعد أز إسلام جلد أول، أنجمن تاريخ أفغانستان كابل ١٣٤٥هـ ش.
تاريخ مختصر أفغانستان، دو جلد، كابل.
يشتو ولويكان غزنه، كابل ١٣٤١هـ ش.
رشتيا، سيد محمد قاسم:
أفغانستان در قرن نزده، أنجمن تاريخ أفغانستان، كابل ١٣٣٦هـ ش.
رضا، شيخ محمد (مرحوم):
رياض الألواح، أنجمن تاريخ أفغانستان دولتي مطبعه، كابل ١٣٤٦هـ ش.
سمرقندي، أحمد نظامي عروضي:
جهار مقاله، تحقيق وتعليق دكتر محمد معين، تهران ١٣٣٣هـ ش.
طوسي، نظام الملك:
سياست نامه ياسير الملوك، تهران ١٣٤٠هـ ش.
طيبي، محمد محسن:
تاريخ أدبيات دري در أفغانستان، كابل.
غبار، مير غلام محمد:
أفغانستان در مسير تاريخ، مؤسسه جاب كتب، كابل ١٣٤٦هـ ش = ١٩٦٧م.

فرهنك، مير محمد صديق:
صفـاريان، أنجمن تاريخ أفغـانستان، د كابل عمومي مطبعه، كابل ١٣٣٤هـ ش.
قندهاري، سيد معصوم:
تاريخ معصومي، يا تاريخ سند، بمبي الهند ١٩٣٨م.
كهزاد، أحمد علي:
لشكركاه، أنجمن تاريخ أفغانستان، كابل ١٣٣٢هـ ش.
تاريخ أفغانستان جلد دوم، كابل ١٣٢٥هـ ش.
كهزاد، أحمد علي وصديق، محمد عثمان:
تاريخ أفغانستان، جلد دوم، كابل ١٣٢٥هـ ش.
كوفي، علي بن حامد:
جج نامه يا تاريخ سند، دهلي ١٩٣٩م.
لطيفي، عبد الباقي:
أفغانستان و يكه نكاه إجمالي، دار الفنون، كابل ١٣٢٥هـ ش.
مؤلف نا معلوم:
تاريخ سيستان، طبع بهادر، تهران ١٣١٤هـ ش.
مستوفي، حمد الله:
تاريخ كزيده، تهران ١٣٣٩هـ ش.
ناظم، محمد (الدكتور):
حيات و أوقات سلطان محمود، ترجمه فارسي، كابل ١٣١٨هـ ش.
نعماني، شبلي (بروفيسر):
شعر العجم، ترجمه فارسي، دنياي كتاب، تهران ١٣٦٣هـ ش.
هروى، خواند مير:
حبيب السير، تهران ١٣٣٣هـ ش.
هروى، سيف بن محمد سيفي:
تاريخ نامه هرات، كلكته الهند ١٩٤٢م.

هروى، نعمت الله بن حبيب الله:
مخزن أفغاني، مخطوط كتاب خانه أنجمن تاريخ، كابل.
هزاره، فيض محمد:
سراج التواريخ، كابل ١٣٣٥هـ ش.
هندوشاه، محمد قاسم:
تاريخ فرشته، لكنهو الهند ١٣٢١هـ ق.
وزارت معارف أفغانستان:
آريانا دائرة المعارف ٤، مادة أفغان.

ثالثا ـ المراجع الأردية:

خان، دپتي حيات:
حيات أفغاني، لاهور ١٨٦٧م.
خان، روشن خان:
يوسف زئي قوم كى سركزشت، كراجي ١٩٨٦م.
تذكره، طبع بنجم، كراجي ١٩٨٧م.
تواريخ حافظ رحمت خاني، تحقيق، اردو. بشتو أكيديمي، بشاور ١٩٧٦م.
كيرو، أولف (سر):
پتهان، بشتو أكيديمي، بشاور، دوسري بار ١٩٨٨م.
ناغر، محمد زردار خان:
صولت أفغاني، كانبور الهند ١٨٧٦م.

رابعا ـ المراجع العربية:

ابن الأثير، :
الكامل في التاريخ، الأجزاء: ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، القاهرة.

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر:
تاريخ ابن الـوردي (تتمـة المختصـر في أخبار البشر) جزآن، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.
أبو سعيد، حامد غنيم (الدكتور):
عصر الدول الإقليمية، الجزء الأول، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٧٠م.
أبو العنين، فهمي محمد:
أفغـانستـان بين الأمس واليوم، دار الكـاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٩م.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر:
تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر.
أحمد، محمد حلمي (الدكتور):
الخلافة والدولة في العصر العباسي، الطبعة الثانية، مكتبة الشباب، القاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م.
أحمد، محمد عبد القادر (الدكتور):
المسلمون في أفغانستان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
أم القعقاع:
أفغانستان مقبرة الغزاة، المجموعة الإعلامية جدة . . . ؟
البار، محمد علي (الدكتور):
أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي، دار العلم للطباعة والنشر جدة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
بدر، فاروق حامد:
تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة ١٩٨٠م.

بريغش، محمد حسن:
في الأدب الإسلامي المعاصر - دراسة وتطبيق، مكتبة الحرمين، الرياض ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
البلاذري، أحمد بن يحيى:
فتوح البلدان، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة . . . ؟
بول، لين ستانلي:
طبقات سلاطين الإسلام، الترجمة العربية، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة البصرى، بغداد ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد:
كتاب الهند، حيدر آباد دكن الهند ١٩٥٨م.
البيهقي، أبو الفضل:
تاريخ البيهقي، الترجمة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. . . ؟
توينبي، أرنولد:
بين امودريا وجمناء الترجمة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة . . . ؟
جماعة من المستشرقين:
دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، مادة أفغانستان، الشعب، القاهرة.
الجهشياري، محمد بن عبدوس:
كتاب الوزراء والكتاب، القاهرة ١٩٣٨م.
حافظ، صلاح الدين:
أفغانستان . . الإسلام والثورة، المكتب المصري الحديث، القاهرة . . . ؟
حبيبي، عبد الحي (پوهاند):
لغة البشتو، المكتب الثقافي بالسفارة الأفغانية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة . . ؟

حسن، إبراهيم حسن:
تاريخ الإسـلام السياسي والديني والثقافي، ٤ أجزاء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
حسنين، عبد المنعم محمد:
سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٨٠هـ = ١٩٧٠م.
الحناوي، محمد:
في الأدب والأدب الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
خطاب، محمود شيت (اللواء):
قادة فتح بلاد فارس (إيران)، دار الفكر، بيروت ١٩٧٤م = ١٣٩٤هـ.
خليل، عماد الدين (الدكتور):
مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
خليلي، خليل الله:
هرات.. تاريخها. آثارها. رجالها، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
دراز، عصام:
القصـة الـدامية للغـزو السـوفيتي لأفغـانسـتـان دار الاعتصام، القاهرة...؟
الساداتي، أحمد محمود:
تاريخ المسلمين في شبـه القـارة الهنـدية وحضارتهم، جزآن، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهـرة ...؟
تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، القاهـرة ...؟
أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة، القاهـرة ...؟

سلجوقي، صلاح الدين:
أضواء على ميادين الفلسفة والعلم واللغة والفن والأدب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهـرة ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.
سليمان، أحمد السعيد:
تاريخ الـدول الإسلامية والأسر الحاكمة، جزآن، دار المعارف بمصر. . . ؟

الشابي، علي (الدكتور):
الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، دار النشر، تونس ١٩٦٥م.
شاه، ناصر الدين:
أفغانستان والغزو الشيوعي ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
شبولر، برتولد:
العالم الإسلامي في العصر المغولي، الترجمة العربية، نشر وتوزيع دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٢م.
شفق، رضا زاده:
تاريخ الأدب الفارسي، الترجمة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩٧٤م.
صافي، محمد أمان (الدكتور):
أفغـانستان والأدب العربي عبر العصور، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
بست وسيستان وأهميتهما التاريخية والأدبية، القاهرة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
السيد جمال الدين الأفغاني بين الحقيقة والافتراء، القاهرة ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.
الأدب العربي في أفغانستان، رسالة الدكتوراه غير مطبوعة.
ضيف، شوقي (الدكتور):
عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهـرة . . . ؟

طاش، عبد القادر (الدكتور):
أفغانستان .. الجرح والأمل، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:
تاريخ الرسل والملوك، الأجزاء: ١، ٢، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، دار المعارف بمصر.
عبادة، عبد الفتاح:
انتشار الخط العربي، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية دار الغد العربي، القاهرة ...؟
العتبي، محمد عبد الجبار:
تاريخ اليميني، القاهرة ١٢٩٠هـ ق.
عرفة، ثريا حافظ:
الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
عمارة، محمد:
الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ...؟
القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الدمشقي:
كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت...؟
قنديل، إسعاد عبد الهادي (الدكتورة):
فنون الشعر الفارسي، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.
الكتاني، علي المنتصر (الدكتور):
رحلة ابن بطوطه، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

كريستنسن، أرتر (مستشرق):
إيران في عهد الساسانيين، الترجمة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م.
الكيلاني، نجيب (الدكتور):
مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة، ١٤٠٧هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، دولة قطر، مطابع الدوحة ١٤٠٧هـ.
لوبون، غوستاف:
حضارة الهند، الترجمة العربية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م.
ماجنوس، رالف هـ:
مشكلة أفغانستان. قضايا. خيارات. سياسات. الترجمة العربية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة . . . ؟
المرداوي، محمود:
أفغانستان والاجتياح الروسي، شركة الشعاع للنشر، الكويت . . . ؟
المقدسي، أنيس:
الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
النحوي، عدنان علي رضا:
ملحمة الجهاد الأفغاني، دار النحو للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
هاليداى، فريد:
أفغانستان . . حرب أم ثورة، الترجمة العربية، الدار الحديثة، بيروت ١٩٨٠م.
هلال، محمد غنيمي:
مختارات من الشعر الفارسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥هـ ش = ١٩٦٥م.

هويدي، فهمي:
حدث في أفغانستان، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٧٩م.
يونس، محمد:
الحدود تتكلم . . . . . . ؟

خامسا ـ المجلات:

الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان:
البنيان المرصوص، مجلة عربية.
النفير العام، مجلة عربية.
الثبات، صحيفة عربية.
الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان:
الجهاد، مجلة عربية.
نجات، مجلة أفغانية.
جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة:
المجاهد، مجلة عربية.
دعوت، مجلة أفغانية.
جمعية أفغانستان الإسلامية:
المجاهدون، مجلة عربية.
ميثاق خون، مجلة أفغانية.
مجاهد، صحيفة أفغانية.
جمعية أهل الحديث في أفغانستان:
الإحسان، مجلة عربية.
الحزب الإسلامي الأفغاني رقم ١:
الموقف، مجلة عربية.
شفق، مجلة أفغانية.
شهادت، صحيفة أفغانية.

الحزب الإسلامي الأفغاني رقم ٢ :

النور، صحيفة أفغانية .

دار الجهاد (بإشراف الدكتور عبدالله عزام) :

الجهاد، مجلة عربية .

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الزعيم محمد يونس خالص ومقاله خائن الأمة (ملى خائن)	٣٤٠
الشيخ قيام الدين كشاف ومقاله الجهاد باللسان والقلم	٣٤٣
توريالي زازي ومقاله استقبال الربيع	٣٤٧
عيسى محمد ومقاله ذكريات مواسم الربيع المنصرمة	٣٤٩
محمد عارف غروال ومقاله طريق الخلاص	٣٥٤
سيد محي الدين هاشمي ومقاله ثلاثون نعشا	٣٥٧
عبد رب الرسول سياف ومقاله أخي امسلم	٣٦٥
النصوص الأفغانية	٣٦٩
المراجع والمصادر	٣٧٥
الفهرست	٣٩٣


الإمام
مطابع الجامعة



ردمك : ٠٤-٠٨٩-٥